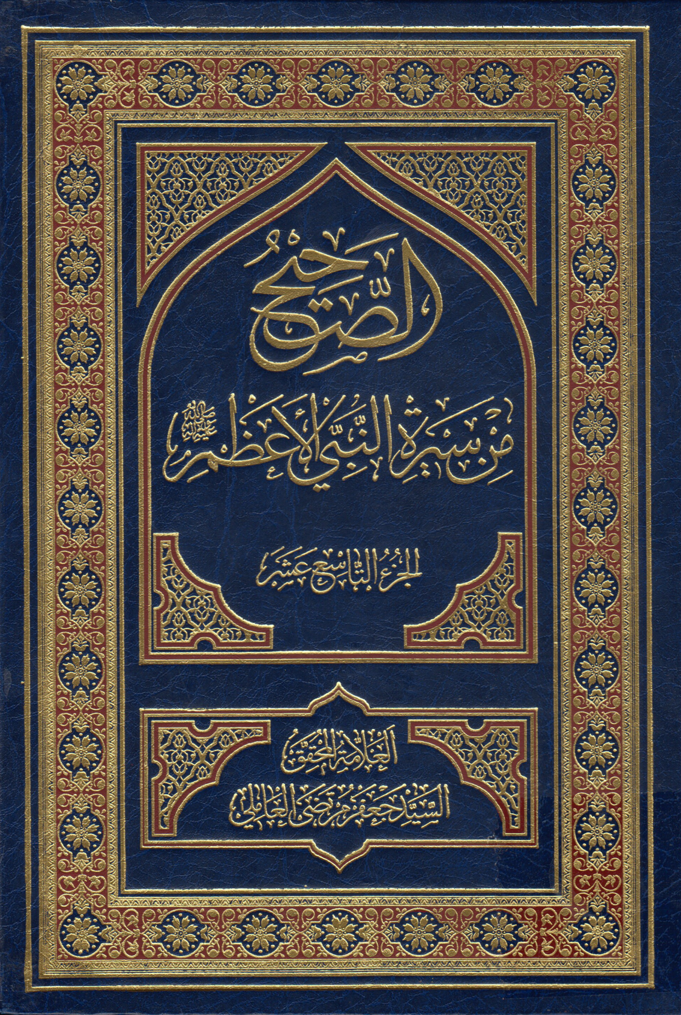
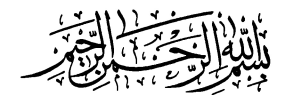

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
الجزء التاسع عشر
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم







العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء التاسع عشر

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء التاسع عشر)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٧٧٤٠٥٢٣ ـ ٠٢٥١ ٧٧٤ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 191 - 8



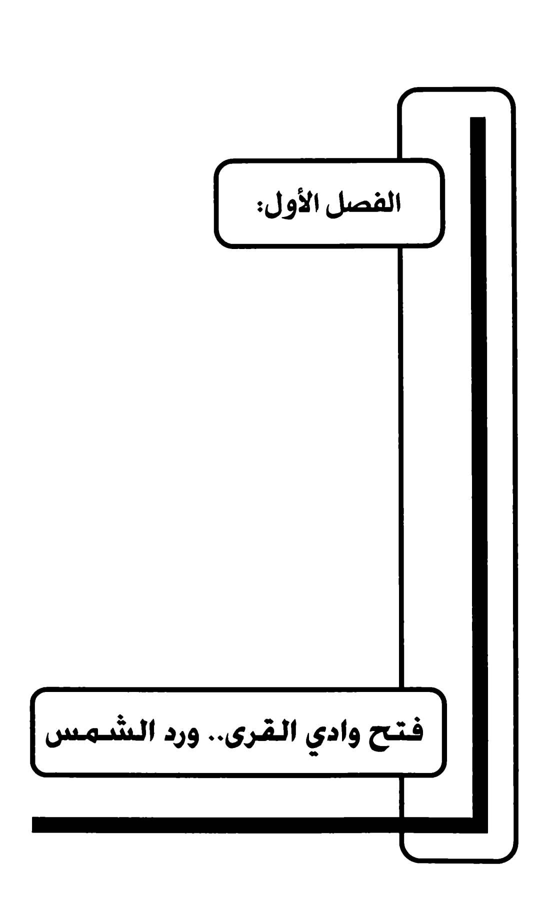
الباب العاشر

بـيــن خـيـبــر ومـؤتــة

[illegible]

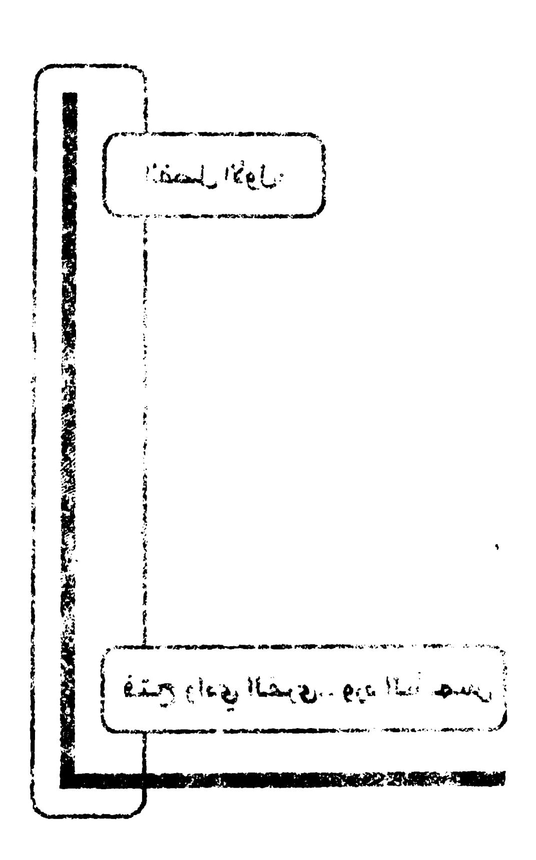
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الأول:

فتح وادي القرى.. ورد الشمس



انصراف الرسول ﷺ من خيبر إلى وادي القرى:

وبعد فتح خيبر، انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى وادي القرى..

قال محمد بن عمر: لما انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن خيبر، وأتى الصهباء سلك على برمة، حتى انتهى إلى وادي القرى، يريد من بها من يهود.

قال أبو هريرة: نزلناها أصيلاً مع مغرب الشمس، رواه ابن إسحاق.

قال البلاذري: فدعا أهلها إلى الإسلام، فامتنعوا من ذلك، وقاتلوا، ففتحها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنوة، وغنمه الله أموال أهلها، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً، فخمس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، وتركت الأرض والنخل في أيدي يهود، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر[1].

وكان أبو هريرة يحدث فيقول: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيبر إلى وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ ومعجم البلدان ج٥ ص٣٤٥ وفتوح البلدان ج١ ص٣٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥١.

وهب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عبداً أسود يقال له: مِدْعَم وكان يرحِّل لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود، وقد ضوى إليها ناس من العرب، فبينما مدعم يحط رحل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد استقبلتنا يهود بالرمي حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون في آطامهم، فيقبل سهم عائر، فأصاب مدعماً فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم، لم يصبها المقسم، تشتعل عليه ناراً»[1].

فلما سمع الناس بذلك، جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بشراك أو شراكين، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «شراك من نار، أو شراكان من نار».

وعبأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه للقتال، وصفَّهم، ودفع

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٢٣٥ والمحلى ج٧ ص٣٥٠ ونيل الأوطار ج٨ ص١٣٦ وعن صحيح مسلم للنووي ج١ ص٧٦ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦١٥ وسنن النسائي ج٧ ص٢٤ والديباج على مسلم ج١ ص١٣٠ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٨٨ والطبقات الكبرى ج١ ص٤٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢٨٣ وفتوح البلدان ج١ ص٣٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٤١ و ٢٤٨ وج٥ ص٣٤١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٠١ و ٤١٢ وج٤ ص٦٣١.

لواءه إلى سعد بن عبادة، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر.

ثم دعاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله تعالى.

فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير بن العوام فقتله.

ثم برز آخر، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام» فقتله.

ثم برز آخر، فبرز إليه أبو دجانة فقتله.

ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله. حتى قتل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد عشر رجلاً، كلما قُتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام[1].

ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذٍ، فيصلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا.

وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنوة، وغنّمه الله تعالى أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بوادي القرى أربعة أيام.

وقسّم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود، وعاملهم عليها.

قال البلاذري: وولاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن سعيد

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٩.

بن العاص، وأقطع رسول الله «صلى الله عليه وآله» جمرة بن هوذة العذري رمية بسوطه من وادي القرى.

ونلاحظ هنا أموراً نجملها فيما يلي:

١ ـ إن من حق كل أحد أن يدعو الآخرين إلى دينه، فإما أن يرفضوا، أو يقبلوا، ولا يستطيع أحد أن يكره أحداً على هذا الأمر، لأن القضية ترتبط بالعقل والقلب معاً. فالعقل، وإن استسلم للدليل، لكن ليس بالضرورة أن يتحقق الإيمان، إذ قد يلجأ إلى الجحود، والإنكار، رغم وضوح الأمر لديه، وذلك على قاعدة: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1].

٢ ـ وإن بعض الناس لا يكتفون بالجحود، فيتجاوزونه إلى الحرب والقتال، تماماً كما فعل مشركو مكة، وكما فعل يهود وادي القرى، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاهم إلى الله تعالى، ومن حقه ذلك.. ولكنهم لم يكتفوا بالإمتناع عن قبول الحق، بل أعلنوا الحرب عليه، وقاتلوه بغياً منهم، وكانوا هم الذين بدأوه بالعدوان، واستقبلت سهامهم المسلمين بمجرد وصولهم، وقبل أي سؤال أو جواب، وقتلوا أحد أصحابه حتى وهو ينزل رحل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأرض.

فكان لا بد أن يواجهوا جزاء هذا البغي، وفتح الله تعالى بلدهم عنوة، وغنّمَ الله المسلمين أموالهم، وصارت أرضهم للمسلمين..

٣ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرد أن يمعن في مجازاتهم بما يستحقونه، بل اتخذ سبيل السهولة والعفو، فقبّلهم (أي كتب لهم بها

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

قبالات، وجعلها بتصرفهم) الأرض، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر.

٤ ـ وإن هذا العدوان السافر، الذي باشروه، قَبل أي سؤال أو جواب، لم يمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يعاملهم بالرحمة والشفقة، فهو في نفس الوقت الذي يهيئ فيه جيشه، ويرفع من مستوى استعداده للردع ـ حيث عبأه، وأعطى الألوية والرايات لأهلها ـ لم يبادر إلى المقابلة بالمثل، بل دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما لهم إن أسلموا، وأعلمهم أنه ليس له طمع بأموالهم، بل المطلوب منهم هو الكف عن العدوان أولاً، ثم إنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم.. فالمطلوب منهم هو إعلان الإسلام، والحال أنه ليس مسؤولاً عن دخائلهم، وما في ضمائرهم. بل حسابهم في ذلك على الله تعالى..

وقد يقال: بأن دعوة الناس إلى الإسلام بهذا الشكل ـ أعني مجرد إعلان الشهادتين ـ قد تشجع الناس على النفاق، لحقن دمائهم، وحفظ أموالهم ، وهذا يشكل تهديداً حقيقياً للإسلام فيما بعد؟!!

ونجيب:

إن هذا المحذور غير وارد، من حيث إن ذلك لا يشجع على النفاق، بل هو أول خطوة هامة جداً في سلسلة التنازلات، التي تسقط الإصرار على المقاومة، وتهيئ للإندماج الثقافي، واعطاء المجال لإعمال الفكر والتعقل والتدبر في أمر هذا الدين ورفع العوائق عن ممارسة الحوار البناء الذي هو الخطوة الأهم على طريق الوصول إلى أسلمة المجتمعات تدريجاً من خلال طي مراحل من التنازلات، التي تبقى تحت السيطرة والهيمنة في نطاق

سياسة احتواء النشاطات المعادية ومنعها عن التحرك بشكل علني وسافر، قد يشجع الكثيرين لاتخاذ نفس النهج العدواني الذي يمنع الكثيرين من رؤية الحقايق، ومن التعامل معها بروية وأناة..

٥ ـ بل هو «صلى الله عليه وآله» لم يكف عن دعوتهم إلى الله تعالى، حتى حين بدأت الحرب واستمرت.. بل كان كلما قُتل رجل منهم جدّد دعوته لمن بقي منهم إلى الإسلام.. أي أنه أبقى باب النجاة أمامهم مفتوحاً، ولم يتخذ بغيهم وعدوانهم ذريعة للإيقاع بهم، رغم أن ذلك من حقه، وهذا هو الجزاء العادل لهم، بل هو قد استمر على معاملتهم بالإحسان، الذي هو فوق العدل..

وكان كلما حضر وقت الصلاة انصرف إليها، فيصلي بأصحابه، ثم يعود إليهم فيدعوهم إلى الله ورسوله..

٦ ـ ما ذكرته الرواية المتقدمة: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى لواءه إلى سعد بن عبادة، وأعطى رايات إلى عباد بن بشر، والحباب بن المنذر، وسهل بن حنيف.. لا يمكن قبوله، فقد تقدم في غزوة أحد: أن علياً «عليه السلام» كان صاحب لواء ـ أو صاحب راية ـ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر، وفي كل مشهد..

٧ ـ بالنسبة لما ذكرته الرواية: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد حكم على مدعم بكونه ليس من أهل الجنة؛ لأن الشملة التي غلها من غنائم خيبر تشتعل عليه ناراً.. نقول:

قد تقدم منا حين الحديث عن غنائم خيبر، في فقرة الغلول في خيبر: أن أمثال هذه القضايا والأخبار تحتاج إلى مزيد من التأمل والتدقيق في صحتها،

لأكثر من سبب ولا أقل من أنه أغراض بعض اصحاب المأرب الدنيئة حيث يتخذون منها وسلية للتستر، وتبرير وتقليل من بشاعة وشناعة فعل المجترئين على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث اتهموه بأنه قد عل حتى احتاج إلى نزول الوحي في هذا.. فتأتي هذه الأباطيل لتقدم المبررات لشكوكهم والمسوغات، لإطلاق تلك التهم الشنيعة.. والله هو العالم بالحقائق.

نوم النبي ﷺ عن صلاة الصبح:

روى مسلم، وأبو داود عن أبي هريرة، وأبو داود عن ابن مسعود، وابن إسحاق عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قالوا:

انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وادي القرى راجعاً بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى، فلما كان قريباً من المدينة سرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلته، حتى إذا كان قبيل الصبح بقليل نزل وعرَّس، وقال: ألا رجل صالح حافظ لعينه، يحفظ علينا الفجر، لعلنا ننام؟

قال بلال: يا رسول الله، أنا أحفظه عليك.

فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقام بلال يصلي ما شاء الله أن يصلي. ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفجر يرقبه، فغلبته عينه، فنام، فلم يستيقظ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٩ وج٨ ص١٦٠، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ والبحار ج٢١ ص٤٢ وج١٧ ص١٢٠ وعن الكازروني في كتاب المنتقى، وعن الموطأ ج١ ص١٣ وتنوير الحوالك ص٣٣ والمحلى ج١ ص٦ وعن صحيح مسلم ج٢ ص١٣٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٢٧ و ٢٢٨ وسنن أبي داود ج١ =

وفي بعض الروايات: أن الألسنة أخذت بلالاً وكان أشدهم عليه أبو بكر.

وذكرت الروايات أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أول أصحابه هبَّ، فقال: «ما صنعت بنا يا بلال»؟

قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك.

قال: «صدقت».

ثم اقتاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعيره غير كثير، ثم أناخ، وأناخ الناس فتوضأ، وتوضأ الناس، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فلما فرغ، قال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[1]»[2].

= ص١١٨ و ١١٩ حديث رقم (٤٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٢١٧ وعن فتح الباري ج١ ص٣٨٠ وعون المعبود ج٢ ص٧٣ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٠٢ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٢٣ وإرواء الغليل ج١ ص٢٩٢ والدر المنثور ج٤ ص٢٩٣ والكامل ج٥ ص٣٢٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٠٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧١١ و٧١٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص٧٧ وصحيح البخاري باب ٣٨٧ من أبواب مواقيت الصلاة.

(١) الآية ١٤ من سورة طه.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ والبحار ج٢١ ص٤٢ عن المنتقى في مولد المصطفى للكازروني، والثقات ج٢ ص٢٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٥٥ وعن الموطأ ج١ ص١٥ وراجع: كتاب الأم ج١ ص٩٧ والمغازي =

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» التفت إلى أبي بكر، وقال له: إن الشيطان أتى بلالاً، وهو قائم يصلي، فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام.

ثم دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلالاً، فأخبر بلال رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمثل ما أخبر به «صلى الله عليه وآله» أبا بكر.

فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله[1].

وفي رواية: فاستيقظ القوم وقد فزعوا، فأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: هذا واد به شيطان، فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي[2].

ونقول:

إن ذلك لا يصح، وقد تحدثنا عنه أكثر من مرة، فإن هؤلاء القوم ما زالوا في المواطن المختلفة يذكرون هذا الأمر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد قلنا: إن رواياتهم ظاهرة الاختلاف فيما بينها..

ص٣٥٥ وعن الموطأ ج١ ص١٥ وراجع: كتاب الأم ج١ ص٩٧ والمغازي = = للواقدي ج٢ ص٧١١ و ٧١٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص٧٧ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٢٧ و ٢٢٨ وسنن أبي داود ج١ ص١١٨ و ١١٩ وصحيح البخاري باب ٣٨٧ من أبواب مواقيت الصلاة.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ وكتاب الموطأ ج١ ص١٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ و ٦٠ والموطأ ج١ ص١٤ وكتاب الأم ج١ ص٩٧ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٤٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٦٠.

فهي تارة تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أول من استيقظ، حسبما تقدم.

وأخرى تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» استيقظ على كلام جرى بين أصحابه[1].

ومن جهة أخرى: فإنهم تارة يقولون: إن ذلك كان في حال رجوعه من الحديبية.

وأخرى: في مرجعه من حنين.

وثالثة: في مرجعه من تبوك.

ورابعة: في مرجعه من وادي القرى[2].

ومن جهة ثالثة: فتارة يقولون: إن حارسهم كان بلالاً كما تقدم.

وأخرى: ابن مسعود[3].

وثالثة: أنه ذو مخبر[4]. وهو رجل حبشي كان يخدم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٥٥ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٢٦ وسنن أبي داود ج١ ص١١٨ و ١١٩ ونصب الراية ص٢٨٢ و ٢٨٣.

(٢) راجع ما تقدم في المصادر التي ذكرناها في الهوامش المتقدمة بالإضافة إلى: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٦٨ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج٥ ص٤٢٣ ومجمع الزوائد ج١ ص٣١٨ و ٣٢٣ وسنن أبي داود ج١ ص١٢٢٢ والمغازي للواقدي ج٣ ص١٠١٥.

(٣) نصب الراية ج١ ص٢٨٢ ومجمع الزوائد ج١ ص٣١٨ و ٣١٩.

(٤) مجمع الزوائد ج١ ص٣١٩ و ٣٢٠.

ورابعة: أنس[١].

وخامسة تقول: إنهم كانوا سبعة أشخاص، وقد ناموا كلهم[٢].

وإن لا نستسيغ حتى احتمال حدوث هذه الواقعة، فضلاً عن تكرارها مرات كثيرة، فإننا نبادر إلى القول: بأن ذلك كله يدل: على أن ثمة إصراراً قوياً على نسبة هذا الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ومما يدلنا على عدم صحة هذه الترهات:

أولاً: إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد سرى في الناس في تلك الليلة، فذلك يعني أن الجميع مرهقون، وأنهم كلهم بحاجة إلى النوم، فالطلب من أي واحد منهم أن يبقى مستيقظاً يكون على خلاف ما يقتضيه الرفق، بل فيه ترجيح من دون مرجح ظاهر، إذ لماذا ينعم هؤلاء بالراحة، والنوم الهادىء، والأحلام اللذيذة، ويبقى ذاك الآخر يغالب نفسه ليقهرها على مواصلة السهر، ومعاناة التعب؟!

ثانياً: إن هذا النوم الذي يستغرق فيه جميع الجيش باستثناء شخص واحد، وهو نوم يأتي بعد الضنى، والتعب والسهر، يفسح المجال لأي إنسان أو مجموعة شريرة للتسلل تحت جنح الظلام؛ للسرقة أو للفتك بمن أرادوا

---

(١) سنن أبي داو باب من نام عن الصلاة ج١ ص١١٩.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٢٩٨ وصحيح مسلم ج٢ ص١٣٩ ومسند ابن الجعد ص٤٥٠ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٢١٤ واللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي ص٣٧ والطبقات الكبرى ج١ ص١٨١ وتاريخ مدينة دمشق ص٢٨ ص٦٩ وج٦٧ ص١٤٤ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٢٤٨ وسنن أبي داو باب من نام عن الصلاة ج١ ص١١٨ و ١١٩ ح ٤٣٧.

منهم، حتى برسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا سيما إذا كان الحارس مشغولاً بالصلاة، ومتوجهاً إلى جهة واحدة، ولا يراقب سائر الجهات، وبالأخص إذا كان ذلك بالليل، حيث الظلام يصد البصر في كل اتجاه..

يضاف إلى ذلك: أنه إذا نام ألف وخمس مائة رجل ومعهم من الإبل والخيل المئات فإن المساحة التي يحتاجون إليها في نزولهم سوف تكون واسعة وشاسعة، يصعب مراقبة حالها حتى في وسط النهار، وحتى لو تشارك في هذا الأمر عدد من الرجال. فكيف إذا كان ذلك في الليل، فإن حراسة هذا الجيش من أي مكروه يتعرض له تحتاج إلى عشرات الرجال..

ثالثاً: إننا لم نجد مبرراً لأن يسري بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» طوال الليل إلى قريب الصبح، إذ ليس هناك من عدو يخشى أن يسبقه إلى جهة لا يريد أن يسبقه إليها، ولا شيء يخشى فواته، ليجهد نفسه، ويجهدهم من أجل الوصول إليه، والحصول عليه..

رابعاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما تنام عيناه، ولا ينام قلبه[1]. فكيف ينام عن صلاة الصبح؟!..

خامساً: إن ما حصل لم يكن باختيار بلال، فلماذا يلام عليه؟ ولماذا

---

(١) أرشد في كتاب المعجم المفهرس لألفاظ السنة النبوية إلى المصادر التالية: صحيح البخاري، (التهجد) باب ١٦ (والتراويح) باب ١ (والمناقب) باب ٢٤ وصحيح مسلم (مسافرين) ١٢٥ وسنن أبي داود (طهارة) ٧٩ (تطوع) ٢٦ والجامع الصحيح (مواقيت) ٢٠٨ (فتن) ٦٣ وسنن النسائي (ليل) ٣٦ والموطأ (ليل) ٩ ومسند أحمد ج١ ص٢٢٠ و ٢٧٨ وج٢ ص٢٥١ و ٤٣٨ وج٥ ص٤٠ و ٥٠ وج٦ ص٣٦ و ٧٣ و ١٠٤.

تأخذه الألسنة فيه؟ ولماذا يكون أشدهم عليه أبو بكر؟ ولماذا لا يترك هذا أمره لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد قال: أرواحنا كانت بيد الله عز وجل فأرسلها أنى شاء.. فهل كان هؤلاء اللائمون أشد حرصاً من نفس النبي «صلى الله عليه وآله»..

الشيطان وبلال:

وأما حديث الشيطان وبلال، فلا مجال لقبوله أيضاً لأكثر من سبب..

فأولاً: إن بلالاً قد شعر بهذا الشيطان حين جاء إليه، وصار يهدئه، حسبما صرحت به الرواية، فلماذا لم يسأله ـ بلال ـ عن نفسه من هو؟..

وكيف اطمأن واستسلم إليه، إلى حد أنه جعل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى ينام؟!.. مع أنه شخص غريب عنه، ولا يعرف عنه شيئاً؟!

وألم يكن المفروض ببلال أن ينذر النائمين بوجود هذا الغريب؟!

وأليس ذلك هو مهمته التي سهر من أجلها؟!

ثانياً: إن الرواية تقول: إن الشيطان قد جاء إلى بلال وهو يصلي، وصار يهدئه حتى ينام، مع أن الروايات المتقدمة صرحت: بأن بلالاً قد صلى ما شاء الله أن يصلي، ثم أسند ظهره إلى بعيره، واستقبل الفجر يراقبه، فغلبته عينه، فنام..

ثالثاً: بالنسبة لخروجهم من ذلك الوادي الذي كان به شيطان نسأل: لماذا لم يهرب الشيطان من ذلك الوادي بمجرد وصول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليه؟!..

وهل لذلك الشيطان دور في نومه «صلى الله عليه وآله» عن صلاته؟!..

وكيف يكون له دور في ذلك، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؟![1].

رابعاً: أين كان عمر بن الخطاب آنذاك؟!

أليس يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر؟![2] أو: ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك؟![3].

---

(١) الآية ٩٩ من سورة النحل.

(٢) أسد الغابة ج٤ ص٦٤ ونوادر الأصول للحكيم الترمذي ص٥٨ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٣ و ٣٥٤ باختلاف، ودلائل الصدق ج١ ص٣٩٠ و ٣٩١ عن الترمذي وج٢ ص٢٩٣ وصححه هو والبغوي في مصابيحه، وليراجع: الغدير ج ٨ ص٦٤ و ٦٥. والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٧٧ والتراتيب الإدارية ج٢ ص١٣١.

(٣) عن صحيح البخاري ج٤ ص٩٦ و ١٩٩ وج٧ ص٩٣ و ١١٥ فضائل أصحاب النبي (٦) والأدب (٦٨) وبدء الخلق (١١)، وعن صحيح مسلم ج١٥ ص١٦٥ والصحابة (٢٢) ومسند أحمد ج١ ص١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧ والبحار ج٣١ ص٢٥ والغدير ج٨ ص٩٤ وإفحام الأعداء والخصوم ص١٠٤ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨ وج١٠ ص٣٩٩ وج١١ ص٤٥٧ والديباج على مسلم ج٥ ص٣٠٨ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٢٢ و ١٢٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٦٠ ومسند أبي يعلى ج٢ ص١٣٣ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣١٦ ورياض الصالحين ص٦٩٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص١٧٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٧٥ وج١٢ ص٦٠٢ وكشف الخفاء ج٢ ص٣٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٠٥ والمستصفى للغزالي

بل إن شياطين الجن والإنس يفرون منه[1] كما رووا عنه «صلى الله عليه وآله»؟!

فلماذا لم يسلك هذا الشيطان المزعوم فجاً آخر غير ذلك الوادي، ألم يعلم: أن عمر قد نزل فيه؟!

إلا أن يقال: إن الشيطان قد استغل فرصة نوم عمر لينال من بلال!!

خامساً: لماذا يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه بالخروج من الوادي، لأن فيه شيطاناً؟! أليس في ذلك تخويف لهم من الشيطان إلى حد أنه «صلى الله عليه وآله» يحملهم على الهروب من الوادي!!

ألم يكن الأنسب أن يقويهم، ويرفع من معنوياتهم ضد ذلك الشيطان؟! ويعلِّمهم ما يوجب خزيه وهروبه؟!

ص١٧٠ والمحصول ج٦ ص١٣٤ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤ ص٧٨ و ٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٧٥.

(١) دلائل الصدق ج١ ص٣٩٠ والتاج الجامع للأصول ج٣ ص٣١٤ والغدير ج٨ ص٦٥ وعن مصابيح السنة ج٢ ص٢٧١ وعن مشكاة المصابيح ص٥٥٠ وعن الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٨ وحياة الصحابة ج٢ ص٧٦٠ و ٧٦١ عن منتخب كنز العمال ج٤ ص٣٩٣ عن ابن عساكر، وابن عدي، والمشكاة ص٢٧٢ عن الشيخين والمسترشد ص١٨٥ وأضواء على الصحيحين ص٣٠٤ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٨٥ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٢٤ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٣٠٩ والجامع الصغير ج١ ص٤٠١ وفيض القدير ج٣ ص١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٤ ص٨٢.

رد الشمس لعلي عليه السلام في خيبر:

وذكروا: أن الشمس قد ردت ـ بعدما غربت ـ لعلي «عليه السلام» في الصهباء، قرب خيبر(١).

وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» كان مشغولاً بقسم الغنائم في خيبر.

وفي نص آخر: كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسله في حاجة فعاد، فنام «صلى الله عليه وآله» على ركبته، وصار يوحى إليه.. فغابت الشمس، أو كادت.

وفي بعض الروايات: أنها قد ردت إليه مرات عديدة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا: «رد الشمس لعلي عليه السلام»، فراجع.

غير أننا سوف نكتفي هنا: بالإلماح إلى نقاط يسيرة، حول ما كان في

---

(١) مصادر ذلك كثيرة، فراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥١٧ ومشكل الآثار ج٢ ص٩ وج٤ ص٣٨٩ وكفاية الطالب ص٣٨٥ والشفاء ج١ ص٢٨٤ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٤٥ وكنز العمال ج١٢ ص٣٤٩ وعمدة القاري ج١٥ ص٤٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٨٠ واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ ومنهاج السنة ج٤ ص١٩١ و ١٨٨ و ١٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠١ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٨٦ و ٣٨٥ والبحار ج٤١ ص١٦٧ و ١٧٤ و ١٧٩ وج٢١ ص٤٢ و ٤٣ عن علل الشرائع ص١٢٤ وعن المناقب ج١ ص٣٥٩ و ٣٦١ وعن الخرايج والجرايح، ونسيم الرياض ج٣ ص١٠ و ١١ و ١٢ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢٠٩ و ٢١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ وعن المنتقى في مولد المصطفى للكازروني.

غزوة خيبر، فنقول:

رواة حديث رد الشمس:

إن حديث رد الشمس لعلي «عليه السلام» في المواضع المختلفة قد روي عن ثلاثة عشر صحابياً، وقد وردت رواية اثني عشر منهم في مصادر أهل السنة أيضاً. وهم:

١ ـ علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

٢ ـ والإمام الحسين «عليه السلام».

٣ ـ وأسماء بنت عميس.

٤ ـ وأبو هريرة.

٥ ـ وأبو ذر.

٦ ـ وأم هانئ.

٧ ـ وعبد خير.

٨ ـ وأم سلمة.

٩ ـ وجابر بن عبد الله الأنصاري.

١٠ ـ وأبو سعيد الخدري.

١١ ـ وسلمان.

١٢ ـ وأنس.

١٣ ـ وأبو رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(١) تجد هذه الروايات في: كتاب مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٩٦ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٧٠ ومشكل الآثار ج٢ ص٨ وج٤ ص٣٨٨ ـ ٣٩٠

وكفاية الطالب ص٣٨١ ـ ٣٨٨ وفتح الملك العلي ص١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ =
= و ٢١ و ١٤١ و ١٤٤ وعن الرياض النضرة ص١٧٩ و ١٨٠، وراجع:
البداية والنهاية ج٦ ص٧٧ ـ ٨٧ والمناقب للخوارزمي ص ٣٠٦ و ٣٠٧
ولسان الميزان ج٥ ص٧٦ و ١٤٠ و ٣٠١ وكنز العمال ج١٢ ص٣٤٩ وج١١
ص٥٢٤ وج١٣ ص١٥٢ والشفاء لعياض ج١ ص٢٨٤ وترجمة الإمام علي
«عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٨٣ ـ ٣٠٧
وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ وصفين لنصر بن مزاحم ص١٣٥ وينابيع المودة
للقندوزي ص١٣٨ وتذكرة الخواص ص٤٩ ـ ٥٣ ونزل الأبرار ص ٧٦ ـ ٧٩
والضعفاء الكبير للعقيلي ج٣ ص٣٢٧ و ٣٢٨ ولسان الميزان ج٥ ص١٤٠
والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٤٥ ـ ١٥٨ ومنهاج السنة ج٢ ص١٨٦ ـ ١٩٥
ومجمع الزوائد ج٣ ص٥٠ وج٨ ص٢٩٧ وكشف الخفاء للعجلوني ج١
ص٢٢٠ و ٤٢٨ والمقاصد الحسنة للسخاوي ص٢٢٦ والخصائص الكبرى
للسيوطي ج٢ ص٣٢٤ وعمدة القاري للعيني ج١٥ ص٤٣ واللآلي المصنوعة
للسيوطي ج١ ص٣٣٦ ـ ٣٤١ والفصل لابن حزم ج٢ ص٨٧ وج٥ ص٣ و ٤
عن كتاب رد الشمس للفضلي العراقي وفتح الباري ج٦ ص١٥٥ عن الطبراني
في الكبير، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، والطحاوي، وفرائد السمطين ج١
ص١٨٣، ونهج السعادة ج١ ص١١٧ وج٧ ص٤٤٨ و ٤٤٩ والإمام علي
«عليه السلام» لأحمد الهمداني ص ١٧٧ ـ ١٧٩ وإفحام الأعداء والخصوم
ص٢٦ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٥ ـ ٤٧ وتذكرة الموضوعات للفتني
ص٩٦ وحقائق التأويل ص٧٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٩ و ١٠ ـ ١٦ ورجال
النجاشي ص٨٥ و ٤٢٨ والفهرست ص٧٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٢٥
وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج١ ص ١١١ ـ ١١٤ و ١١٧ و ١١٨ و
١١٩ والإحتجاج (ط النجف) ج١ ص١٦٦ ومائة منقبة ص٨ والمستجاد من

الإرشاد ص١٣٥ والصراط المستقيم ج١ ص١٦ و ٩٩ و ١٠٤ و ١٥٣ و٢٠١=
= وحلية الأبرار ج٢ ص٣٢٧ وكشف الظنون ج٢ ص١٤٩٤ وبشارة المصطفى، ومرآة الجنان ج٤ ص١٧٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٩٧ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٨ ـ ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠١ و ٢٠٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٨٣ ـ ٣٨٧ والبحار ج٤١ ص١٦٦ ـ ١٩١ وج٢١ ص٤٣ وج٩٧ ص٢١٧ وج٩٩ ص٣٠ وج١٧ ص٣٥٧ و ٣٥٨ وج٥٥ ص١٦٦ وج٨٠ ص٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥ وقرب الإسناد ص٨٢ والخرايج والجرايح ج٢ ص٥٠٠ و ٥٠٢ والمناقب لابن شهرآشوب (ط الحيدري) ج٣ ص٥١، وعن أمالي المفيد ص٩٤، وعن الكافي ج٤ ص٥٦١ و ٥٦٢ وأمالي ابن الشيخ ص٦٤ وعن السرائر وعدة الداعي ص٨٨ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣٤٦ وتفسير العياشي ج٢ ص٧٠ وتفسير البرهان ج٢ ص٩٨ وج٤ ص٣٨٧ ونسيم الرياض ج٣ ص١٠ ـ ١٤ وشرح الشفاء للملا علي القاري (بهامش نسيم الرياض) ج٣ ص١٠ ـ ١٣ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج١٦ ص٣١٦ ـ ٣٣١ وج٥ ص٥٢١ ـ ٥٣٩ وج٢١ ص٢٦١ ـ ٢٧١ وفيض القدير ج٥ ص٤٤٠ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢٠٩ ـ ٢١١ وشرح المواهب للزرقاني ج٦ ص٢٨٤ ـ ٢٩٤.

وراجع أيضاً: عيون المعجزات ص٧ و ٤ و ١٣٦ وبصائر الدرجات ص٢١٧ و ٢٣٩ و ٢٣٧ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص١٣٥ ـ ١٣٨ وكتاب المزار الكبير لابن المشهدي ص٢٥٨ و ٢٠٥ وإقبال الأعمال ج٣ ص١٣٠ والمزار للشهيد الأول ص٩١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٨١ وج١٤ ص٢٥٥ وج٣ ص٤٦٩ وج١٠ ص٢٧٧ وج٣٠ ص٣٠ و ٣٨ وج١٩ ص٣٢٨ و ٣٤٠ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٣٠ و ٦١١ والهداية الكبرى ص١٢٣ ـ ١٣٠ والمسترشد ص٢٦٥ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥١٦ و

وهذا الحدث متواتر، فلا حاجة إلى امتكم حول اسانيده وقد صححه، أو حسنه عدد من الحفاظ، من علماء أهل السنة أنفسهم، مثل الطحاوي، وعياض، وأبي زرعة، والطبراني، وأبي الحسن الفضلي، والقسطلاني، ودحلان، وغيرهم(١).

وقال الدياربكري: وهذا حديث ثابت الرواية عن ثقات(٢).

بل قال بعضهم: يتعذر الحكم على هذا الحديث بالضعف(٣).

---

٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ وخاتمة المستدرك ج٤ ص٩٤ و ٢٢٤ و ٢٢٦ = = وروضة الواعظين ص١٢٩ و ١٣٠ وخصائص الأئمة ص٥٢ و ٥٦ و ٥٧ والخصال ص٥٥٠ ومعالم العلماء ص٥٦ و ٧٨ و ١١٣ و ١٥٢ وإيضاح الإشتباه ص١٠٢ ورجال ابن داود ص٣٩ ونقد الرجال ج١ ص١٢٩ وج٥ ص٣٥٣ و ٣٥١ وجامع الرواة ج١ ص٥٣ وج٢ ص٥٣١ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٢ ص٧٧ وتهذيب المقال ج٢ ص٢٢ وج٣ ص٣٥٣ و ٣٥٦ وج٤ ص٤٥٣ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٢٠٠ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٥٤٤ والكشف الحثيث ص٤٤ وإعلام الورى ج١ ص٣٥٠ و ٣٥١ وقصص الأنبياء للراوندي، ونهج الإيمان لابن حجر ص٧٠ وكشف اليقين ص١١٢ ودفع الشبهة عن الرسول للحصني الدمشقي ص٢٠٦ ومدينة المعاجز ج١ ص١٩٦ و ١٩٧ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١٧ وج٤ ص٢٥٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٢ و ٤١٧ و ٤١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص١٤٧.

(١) راجع كتابنا: رد الشمس لعلي «عليه السلام»، فصل: الأسانيد والرواة.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ والبحار ج٢١ ص٤٣ عن المنتقى في مولد المصطفى.

(٣) راجع: البحار ج٤١ ص١٧٥ عن مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥ والبداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و ٨٠ و ٨٧ والمواهب اللدنية ج٢

لماذا لم تنقل الأمم ذلك؟!

وقد حاولوا التشكيك بهذ الحادثة، بأن الشمس لو ردَّت بعدما غربت لرآها المؤمن والكافر، وهو أمر غريب تتوفر الدواعي على نقله، فالمفروض أن ينقله جماعةكثيرة من الأمم المختلفة[1].

والجواب:

أولاً: إن الدواعي لدى كثير من أهل الإسلام كانت متوفرة على كتمان هذا الحديث، لأنه مرتبط بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي سبوه حوالي ألف شهر على منابرهم، ولم يدخروا وسعاً في تصغير قدره، وإبطال أمره، والتشكيك بفضائله، وإنكار مقاماته إن أمكنهم ذلك.

ورغم ذلك، فإن هذه الحادثة قد نقلت عن ثلاثة عشر صحابياً.

ثانياً: إن الشمس قد حبست ليوشع بالاتفاق، وهو حدث كوني أيضاً، وإنما وصل إلينا خبر ذلك بواسطة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[2]. ولم تنقله الأمم في كتاباتها، ولا أهل الأخبار في مروياتهم.

وقد عبرت بعض الروايات: بحبس الشمس لعلي «عليه السلام»..

كما أن بعضها قال: إن الشمس حين رُدَّت، كانت قد غابت، أو كادت

ص٢١١ ومنهاج السنة ج٤ ص١٨٧ و ١٨٩ وغير ذلك.

(١) راجع: البحار ج٤١ ص١٧٥ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥، وراجع: البداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و ٨٠ وراجع ص٨٧ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١١ ومنهاج السنة ج٤ ص١٨٧ و ١٨٩. وغير ذلك..

(٢) منهاج السنة ج٤ ص١٨٤.

تغيب[1].

فلماذا لا يقال: إن الشمس حبست في بعض المرات، وردّت في بعضها الآخر، في وقت كان نورها لا يزال غامراً للأفق، فلم يلتفت الناس إلى ما جرى، إلا الذين كانوا يراقبونها، كأولئك الذين جرت القضية أمامهم، ويريد الله ورسوله أن يريهم هذه الكرامة لعلي «عليه السلام»..

ثالثاً: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن حصول هذا الأمر كان على سبيل الكرامة والإعجاز الإلهي، وإنما يجب أن يري الله تعالى معجزته لمن أراد سبحانه إقامة الحجة عليه وإظهار كرامة له، كما سيتضح.

لم تحبس الشمس إلا ليوشع:

وزعم أبو هريرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع، أو نحو ذلك. وقد تمسك البعض بهذا الحديث لإنكار حديث رد الشمس[2].

---

(١) راجع: البحار ج١٧ ص٣٥٩ وج٨٠ ص٣٢٤ عن صفين للمنقري، وعن الخرائج والجرائح، وراجع: البداية والنهاية ج٦ ص٧٧، وتاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ترجمة الإمام علي ج٢ ص٢٩٢ و(ط دار الفكر) ج ٤٢ ص٣١٤ والموضوعات لابن الجوزي (ط أولى) ج١ ص٥١ وغير ذلك كثير.

(٢) السيرة الحلبية ج١ ص٢٨٥ وراجع الحديث في: مشكل الآثار ج٢ ص١٠ وج٤ ص٣٨٩ وعن المعتصر من المختصر، وتذكرة الخواص ص٥١ ونزل الأبرار ص٧٨ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٧٠ والضعفاء الكبير للعقيلي ج٣ ص٣٢٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٢٤ وفتح الباري ج٦ ص١٥٤ والبداية والنهاية ج٦ =

ويرد عليه:

أولاً: إن أبا هريرة لا يؤتمن فيما يرويه على علي «عليه السلام»، كيف وقد ضرب على صلعته في باب مسجد الكوفة، ثم روى لهم حديث: من أحدث في المدينة أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله. ثم شهد بالله أن علياً «عليه السلام» أحدث في المدينة[1].

مكذباً بذلك آية التطهير، وجميع أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام»، مثل أن علياً مع الحق والحق مع علي، ونحو ذلك..

ومن جهة أخرى، فقد روي عن علي «عليه السلام» قوله: ألا إن أكذب الناس، أو أكذب الأحياء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أبو هريرة[2].

= ص٧٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠٢ ونسيم الرياض ج٣ ص١٠ و ١١ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج٣ ص١١ و ١٣ والجامع الصغير حديث رقم (٧٨٨٩) ومسند أحمد (ط دار الحديث في القاهرة) ج٨ ص٢٧٥ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١٠.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٦٧ وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي رية ص٢١٨ وشيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبي رية ص٢٣٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٥٩ وخلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج٣ ص٢٥٥ والنص والإجتهاد ص٥١٤ وكتاب الأربعين لمحمد طاهر الشيرازي ص٢٩٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٤٥.

(٢) الإيضاح لابن شاذان ص٤٩٦ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٦٨ وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي ريـة ص٢٠٤ =

وقد وضع معاوية قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام»، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب فيه، فاختلقوا ما أرضاه. منهم أبو هريرة[١].

ثانياً: لو صح هذا الحديث، فلعل أبا هريرة قد دلس فيه، ورواه عن شخص آخر. ويكون صدور هذا الحديث عن النبي «صلى الله عليه وآله» قبل رد الشمس لعلي «عليه السلام» في خيبر وفي بدر..

ثالثاً: إن هذا الحديث لو صح: فإنما ينفي حبس الشمس لغير يوشع، ولا ينفي ردها..

رابعاً: قد روي حبسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» صبيحة الإسراء، وفي الخندق[٢].

خامساً: قد حبست الشمس، وردَّت لغير رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فقد روي: أنها حبست لداود «عليه السلام».

= وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٦٠ وشيخ المضيرة أبو هريرة، لمحمود أبي رية ص١٣٥ عن سير أعلام الذهبي ج٢ ص٤٣٥. وراجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٦.

(١) المناقب للخوارزمي ص٢٠٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٦٣ و ٦٤.

(٢) راجع: عمدة القاري ج١٥ ص٤٢ و ٤٣، وراجع: فتح الباري ج٦ ص١٥٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٨٣ ونسيم الرياض ج٣ ص١١ و ١٢ و ١٣ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج٣ ص١٣ وفيض القدير ج٥ ص٤٤٠ والبحار ج١٧ ص٣٥٩ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١٠ و ٢١١.

وردت لسليمان «عليه السلام».

وحبست لموسى «عليه السلام».

وزعموا: أنها حبست لأبي بكر.

وحبست في أيام حزقيل.

وزعموا: أنها حبست للحضرمي[1].

سادساً: قال الشافعي: إن الشمس إذا كانت قد حبست ليوشع ليالي قتال الجبارين، فلابد أن يقع نظير ذلك في هذه الأمة أيضاً[2].

الذين يرون المعجزة:

وبعد.. فإن الذين يجب أو يمكن أن يروا المعجزة هم:

إما الصفوة الأخيار، الذين تزيدهم يقيناً وإيماناً.

وإما الذين يراد إقامة الحجة عليهم، أو ردّ التحدي الوارد من قبلهم، وتحطيم كبريائهم، وبغيهم.

ويراها أيضاً أولئك الذين خدعوا بهؤلاء، من أجل تعريفهم بزيفهم، وبباطلهم، وجحودهم..

وأما الآخرون الغافلون فقد يجب أن لا يراها الكثيرون منهم، وهم الذين يصابون بالخوف، والهلع، الذي يُفقِدُ إيمانهم قدرته على التأثير في جلب المثوبة لهم، لأن المناط في جلب المثوبة هو الإختيار، البعيد عن أجواء

---

(١) راجع كتابنا: رد الشمس لعلي «عليه السلام» ص٦٣ ـ ٦٥ للاطلاع على بعض تفاصيل ذلك، وعلى بعض مصادره.

(٢) نسيم الرياض ج٣ ص١٢ واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٤١.

الإلجاء، والاضطرار، ليكون إيماناً مستنداً إلى الوعي والالتفات، وإلى القناعة الناتجة عن روية وتبصر، وعن تأمل وتفكر، ووعي وتدبر.

إختلال النظام الكوني:

وقد زعموا أيضاً: أن رد الشمس لعلي «عليه السلام» غير ممكن، لأنه يوجب اختلال الأفلاك[1].

ونقول:

أولاً: إن أمر الكون بيد الله تعالى، فهو يخضعه للمعجزة، دون أن يوجب حدوثها أي اختلال في نظامه.. لأن صانع المعجزة هو إله قادر عالم حكيم.. وليس عاجزاً ولا جاهلاً.

ثانياً: إن هذا الكلام لو صح للزم تكذيب جميع المعجزات التي لها ارتباط بالنظام الكوني، ومن ذلك معجزة انشقاق القمر. ومعجزة حبس الشمس ليوشع. وغير ذلك..

لو ردت لعلي عليه السلام لردت للنبي ﷺ:

وقالوا: لو ردت الشمس لعلي «عليه السلام» لردت للنبي «صلى الله عليه وآله»، حينما نام هو وأصحابه عن صلاة الصبح في الصهباء، وهو راجع من غزوة خيبر نفسها[2].

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٥ والبحار ج٤١ ص١٧٥ وتذكرة الخواص ص٥٢ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥.

(٢) البداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و ٨٠ و ٨٧ وراجع: منهاج السنة ج٤ ص١٨٧ و ١٨٩.

ونقول:

أولاً: تقدم: أن حديث نوم النبي «صلى الله عليه وآله» عن صلاة الصبح لا يمكن قبوله.

ثانياً: تقدم أيضاً: أن الشمس ردت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة الخندق وغيرها، وحبست له «صلى الله عليه وآله» حين الإسراء.

وتقدم أيضاً: أنها ردَّت وحبست لغيره من الأنبياء والأوصياء السابقين..

بل زعموا: أن ذلك قد حصل لغير هؤلاء أيضاً من هذه الأمة، حيث تقدم أنهم زعموا: أنها حبست للحضرمي، ولأبي بكر أيضاً.

ثالثاً: قال الخفاجي: «إنما ردت إلى علي «عليه السلام» ببركة دعائه «صلى الله عليه وآله». مع أن كرامات الأولياء في معنى معجزات الأنبياء».

إلى أن قال: «مع أن المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد في الفاضل. كما يلزم منه القول بعدم حبسها ليوشع»[1].

ولعله يقصد بقوله: قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل: أن بعض المصالح قد توجب حدوث أمر للمفضول، ولا يكون هناك ما يوجب حدوثه للفاضل..

فإذا كان هناك من سوف يعاند علياً «عليه السلام» في إمامته، وفي خصوصيته، وفي أفضليته على البشر جميعاً، باستثناء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن الله يختصه بكرامات تثبت لهم ذلك كله، وتقيم عليهم الحجة فيهم، فيولد علي «عليه السلام» في الكعبة، ولا يولد رسول الله

---

(١) شرح الشفاء للقاري (مطبوع مع نسيم الرياض) ج٣ ص١٣.

«صلى الله عليه وآله» فيها، ويقلع علي «عليه السلام» باب حصن خيبر، وترد له الشمس و.. و.. الخ.. ولا يكون هناك ما يقتضي حدوث ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

علي عليه السلام لا يترك الصلاة:

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» أجلُّ من أن يترك الصلاة[1]. فإذا ورد ما ينسب ذلك إليه، فلابد من ردِّه.

ونقول:

أولاً: صرح النص الذي ذكر رد الشمس لعلي «عليه السلام» في منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المدينة، بأن علياً «عليه السلام» قد صلى إيماءً، وأراد الله أن يظهر كرامته، فردها عليه ليصلي صلاة المختار.

ثانياً: ذكرت بعض النصوص: أن الله تعالى رد الشمس عليه، أو حبسها له بعدما كادت تغرب.

وهذا معناه: أن صلاة العصر لم تكن قد فاتته، لأن وقتها يمتد إلى وقت غروب الشمس.

وقد قال ابن إدريس في السرائر: «ولا يحل أن يعتقد أن الشمس غابت، ودخل الليل، وخرج وقت العصر بالكلية، وما صلى الفريضة «عليه السلام»، لأن هذا من معتقِدِه جهل بعصمته «عليه السلام»، لأنه يكون مخلاً بالواجب المضيق عليه. وهذا لا يقوله من عرف إمامته، واعتقد

---

(١) منهاج السنة ج٤ ص١٨٦ و ١٩٥.

بعصمته»[1].

وعلى كل حال: فإن مناوئي علي «عليه السلام» قد سعوا بكل ما لديهم من طاقة وحول إلى إبطال هذه الكرامة الكبرى له «عليه السلام»، أو إثارة الشبهات والتشكيكات حولها، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الشانئون، والحاقدون، والحاسدون لعلي «عليه السلام»، وللأئمة الطاهرين من ولده «عليهم السلام»..

فمن أراد الاطلاع على المزيد مما يرتبط بهذا الموضوع، فليرجع إلى كتابنا الموسوم بـ: «رد الشمس لعلي عليه السلام»، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

عصى الرسول ﷺ فوجد ما يكره:

ولما انتهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الجرف ليلاً، نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً، فطرق رجل أهله، فرأى ما يكره، فخلى سبيلها ولم يهجر، وضَنَّ بزوجته أن يفارقها، وكان له منها أولاد، وكان يحبها، فعصى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأى ما يكره[2].

جبل أحد يحبنا ونحبه:

قالوا: ولما نظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جبل أحد، قال:

---

(١) راجع: السرائر ج١ ص٢٦٥ والبحار ج٨٠ ص٣١٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٥٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٤.

«هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إني أحرم ما بين لابتَي المدينة»[1].

ونقول:

١ ـ قد يحب الإنسان جبلاً أو مكاناً بعينه، باعتبار أنه مصدر أنس له، لكونه يتلذذ بمنظره، أو لأجل ذكريات عزيزة كانت له فيه، أو ما إلى ذلك.. ولكنها تبقى حالة مرتبطة بالفرد، وبمشاعره الشخصية، ولا تتعداه إلى غيره..

ولا نرى أن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لجبل أحد كان من أجل هذا أو ذاك، بل هو حب يتناسب مع أهدافه «صلى الله عليه وآله»، ومع ما يفيد في تأييد هذا الدين، وزيادة اليقين.

٢ ـ يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يحصر الأمر بنفسه الشريفة، بل هو تحدث عن نفسه وعن غيره، فقال: نحبه، ولم يقل: أحبه. وقال: يحبنا. ولم يقل: يحبني.

وهذا يؤكد على أن في جبل أحد خصوصية ومعنىً يجعل الإنسان المؤمن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٣ ص٣٦٨ وج٥ ص١٥٠ وراجع: الأحكام ج٢ ص٥٤٦ وعن كتاب الموطأ ج٢ ص٨٨٩ و ٨٩٣ وعن مسند أحمد ج٣ ص١٤٩ و ١٥٩ و ٢٤٣ وعن صحيح البخاري ج٣ ص٢٢٣ و ٢٢٥ وج٤ ص١١٨ وج٥ ص٤٠ وج٦ ص٢٠٧ وج٨ ص١٥٣ وعن صحيح مسلم ج٤ ص١١٤ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٧٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٩٧ وج٦ ص٣٠٤ وج٩ ص١٢٥ وعن فتح الباري ج٦ ص٦٤ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٩٢ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٣٧٠ و ٣٧١ وشرح معاني الآثار ج٤ ص١٩٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٧٨ وذيل تاريخ بغداد ج٣ ص٦٩ وفضائل المدينة ص٢١.

يحب هذا الجبل.. فما هي تلك الخصوصية، وما هو ذلك المعنى يا ترى؟!

وربما يفيد في الإجابة على هذا السؤال القول: بأن هذا الجبل كان يحتضن أجساداً طاهرة لشهداء أحد، وفي مقدمتهم أسد الله وأسد رسوله الشهيد حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد كانت الزهراء «عليها السلام» تزور قبورهم بصورة رتيبة ودائمة، وقد صنعت سبحتها من تراب قبر حمزة «عليه السلام».

كما أن لجبل أحد ارتباطاً ظاهراً بوقائع حرب أحد، فإن الاستناد إليه قد وفَّر مانعاً لجيوش الشرك من الالتفاف على أهل الإيمان، والإيقاع بهم.

فلأجل هذا وذاك لابد أن تتعلق به قلوب المؤمنين، وأن يحبوه، وأن يقصدوه لزيارة الأولياء والشهداء.

٣ ـ وأما أن جبل أحد يحب النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، فذلك أمر قد يصعب إدراكه للوهلة الأولى، غير أن مما لا شك فيه: أن كل شيء يتعامل معه الإنسان بروح الاستقامة والطهر، والتقوى، يتأثر إيجاباً بالصلاح وبالطهر، والتقوى، وكذلك يتأثر سلباً بالفساد والإفساد، فإن لخبث الباطن ولطهره تأثيرهما على الأرواح والأجساد، بل على النَّفَس الذي يتنفسه، وعلى الأشياء التي يلامسها. وعلى الهواء الذي يستنشقه وما إلى ذلك..

ولعل في بعض الآيات الشريفة إشارات إلى ذلك أيضاً، فلاحظ قوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ..**﴾[1] وغير ذلك

(١) الآية ٤١ من سورة الروم.

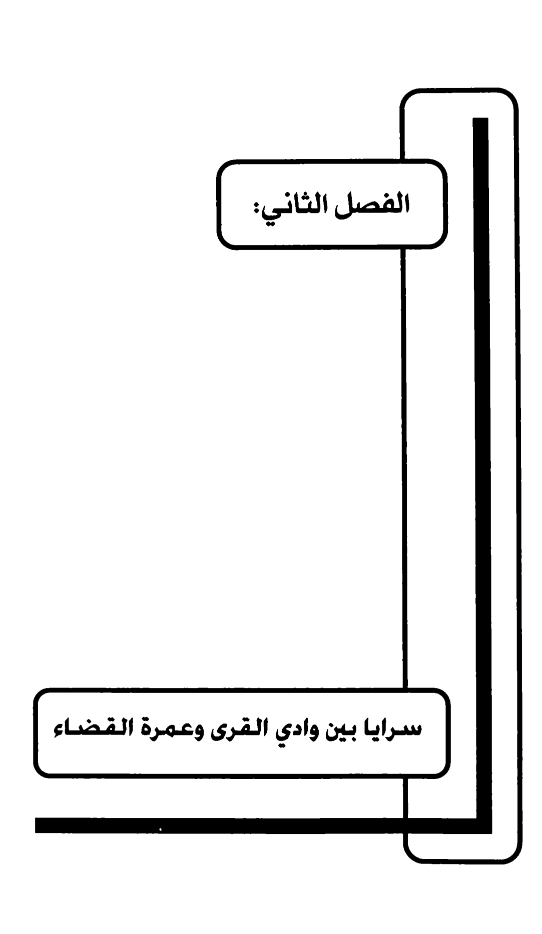
من آيات..

وفي الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن آثار الأعمال وعن تأثيراتها في الأمور الخارجية الكثير مما يدل على ذلك، فبسبب الأعمال الصالحة يكون النماء والبركة، وبسبب الأعمال السيئة تسلب البركة، وتشح الأرزاق، وتظهر الأسواء في كل اتجاه.. بل إن للنوايا الصالحة والسيئة تأثيراتها في ذلك أيضاً..

ولا شك أن ما ترتاح إليه الموجودات وتنتعش فيه، وتمتلئ حيوية ونشاطاً هو ما ينسجم مع طبيعتها، ومع الهدف الذي أوجدها الله تعالى من أجله..

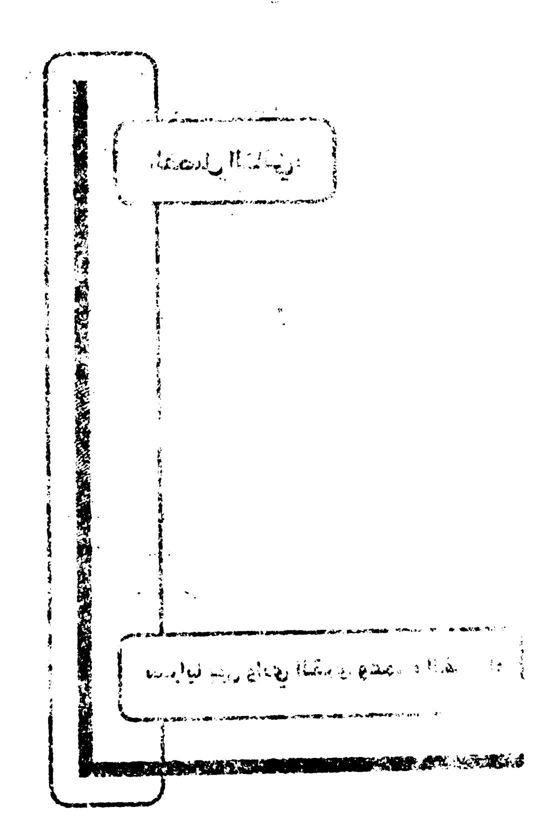
ومن جهة أخرى فإن الآيات قد دلت على أن للجبال خشية وخشوعاً إلى حد التصدع، وإلى أن لها تأويباً وتسبيحاً، وإلى أن تجلي شيء من عظمة الله تعالى للجبل يجعله دكاً..

إلى غير ذلك مما ألمحت إليه وصرحت به الآيات والروايات الشريفة، فلا غرو إذن إذا كان جبل أحد يحب النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحب المؤمنين، ويبغض أهل الكفر والجحود، ويمقت المنحرفين والفاسقين..



الفصل الثاني:

سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء



سرية عمر إلى تربة:

يقول المؤرخون: إنه في شعبان سنة سبع بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى بني نصر بن معاوية، وبني جشم بن بكر. وهم الذين يقال لهم: «عجزُ هوازن»[1]، أرسله إلى موضع يقال له: تربة، على أربع ليال من مكة، على طريق صنعاء ونجران[2].

لكن هناك من يقول: إنه واد على يومين من مكة، يصب في بستان ابن عامر[3].

فخرج بهم عمر، ودليله رجل من بني هلال، فكانوا يسيرون بالليل،

---

(١) راجع: القاموس المحيط ج٢ ص١٨١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٥ و ١٨٦ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص١١٧ وج٣ ص٢٧٢ وتاريخ المدينة ج٢ ص٦٦٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٣٠٨ وعن البداية ولنهاية ج٤ ص٢٥١ وعن عيون الأثر ص٢ ص١٥٣ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٠ ولسان العرب ج٥ ص٣٧٢ وتاج العروس ج٤ ص٥٢.

(٢) الطبقات الكبرى ج٢ ص٨٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥١ وتاج العروس ج١ ص١٥٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٠.

ويكمنون بالنهار. وأتى الخبر هوازن فهربوا.

وجاء عمر إلى محالهم، فلم يلق منهم أحداً.

وانصرف راجعاً إلى المدينة، فلما كان بالجَدْر ـ موضع على ستة أميال من المدينة ـ قال له الهلالي: هل لك في جمع آخر تركته من خثعم، جاؤوا سائرين قد أجدبت بلادهم؟!

فقال عمر: لم يأمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهم، إنما أمرني أن أصمد لقتال هوازن بتربة. وواصل طريقه إلى المدينة[1].

ونقول:

لنا ملاحظات عديدة، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إننا نعطي الحق لعمر في امتناعه عن مهاجمة الخثعميين، الذين لم يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بشيء في شأنهم، ونود أن يكون الحفاظ على حرفية أوامره «صلى الله عليه وآله» هو الداعي له إلى ذلك، وليس هو الخوف من أن يحيق به مكروه في ساحات الحرب والنزال، فقد تعودنا منه النكوص والإحجام عن مثل هذه الساحات..

ولعل ما يعزز هذا الاحتمال الأخير: أننا وجدناه لا يلتزم بحرفية الأوامر في كثير من المواقع والحالات، بل هو يصر على مخالفتها. ومن ذلك تمرده على أوامر النبي يوم الحديبية وقبلها ومنعه للنبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٨.

من كتابة كتاب لا تضل الأمة بعده أبداً، وقوله: إن النبي غلبه الوجع، أو إن النبي ليهجر، أو نحو ذلك..

وقد تقدم عن قريب، كيف أنه يأمر بقتل يهودي، وجده في نوبة حراسته، دون أن يراجع النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك.

٢ ـ إن مشورة ذلك الدليل على عمر بمهاجمة الخثعميين تشير إلى أن هؤلاء كانوا يظنون أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرسل هذه السرايا لأجل السلب والنهب، والقتل، والأسر.. مع أن الأمر ليس كذلك، بل الهدف هو دفع العدوان حين يتبين له «صلى الله عليه وآله» أنهم يخططون، ويدبرون لهذا الأمر، ويجمعون الجموع له..

٣ ـ إن توصيف الموضع الذي قصده عمر بن الخطاب يدل على أنه بعيد كثيراً عن المدينة، وأن الوصول إليه يتطلب السير الحثيث لعدة أيام.

فإذا فرض أن هؤلاء القوم كانوا يدبرون ويجمعون لشن الغارات على المدينة، أو على أطرافها، أو على جماعات من المسلمين الذين كانوا في مناطق قريبة لهم.. فلابد أن يكون عددهم كثيراً، يمكِّنهم من القيام بأمثال تلك التحرشات الخطيرة. فما معنى أن يهربوا، ويخلوا أماكنهم بمجرد سماعهم بأن ثلاثين راكباً يقصدونهم؟!

بل إنهم حتى لو لم يكونوا قد حشدوا واجتمعوا، فإن هروب هوازن من ثلاثين راكباً ليس له ما يبرره، خصوصاً وأن أمير السرية هو عمر بن الخطاب، وليس علي بن أبي طالب «عليه السلام»، أسد الله الغالب، الذي كان يعرف كل أحد أن مواجهته في أي موقع، وموقف لن تعود عليه بالخير.. وقلعه لباب خيبر، وقتله لمرحب فارس اليهود، ولعمرو بن عبد

ود، فضلاً عما سوى ذلك، لا يزال الناس يتداولونه، ويتناقلونه في مجالس الأسمار والأسحار..

٤ ـ إن إرسال سرية بهذا العدد القليل والضئيل إلى تلك البلاد البعيدة، التي يتمكن الأعداء من محاصرتها بكثراتهم، وقطع المدد عنها، ومنعها من الاتصال بالمدينة، التي هي مصدر قوتها، ثم الإيقاع بها، والقضاء عليها بسهولة.. إن ذلك أمر غير عقلائي، ولا يتوقع صدوره من عقل الكل، ومدبر الكل، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم يكن لدى عمر صيت ذائع في الشجاعة، لترهبه الأبطال، وتهرب من وجهه الجموع.

ولا نظن أنه كان لديه من الشجاعة والإقدام ما يدفعه إلى الإقدام على مخاطرة من هذا القبيل.. وقد تعودنا منه الفرار من الزحف، والنكوص عن منازلة الأقران في أكثر من موقف وموقع.. على الرغم من وجود المسلمين ورسول الله «صلى الله عليه وآله» معه، أو بالقرب منه..

ولأجل ذلك كله نقول:

لو صح أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أرسل سرية بهذه المواصفات، فلابد أن تكون سرية استطلاع واستكشاف، لا سرية قتال ونزال..

أو يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعلم بأن أحداً سوف لا يجرؤ على التعرض لسراياه، بعد أن رأى الجميع ما جرى في خيبر، فأرسل هذه السرايا ليظهر لهم حضوره في المنطقة، وهيمنته على الموقف..

سرية أبي بكر إلى نجد:

وقالوا: إنه في شعبان سنة سبع، بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر إلى نجد، فبيَّت ناساً من هوازن، قال حمزة: فسبينا هوازن، وقال هشام: فسبى ناساً من المشركين، فقتلناهم.

قال سلمة بن الأكوع: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا: أمت، أمت(١).

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة هذه القصة، التي وردت على هذا النحو من الإبهام، والإيهام، حيث لم يذكر عدد أفراد تلك السرية، ولا الموضع الذي أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» إليه من نجد، ولا السبب الذي أرسلت تلك السرية من أجله، ولا.. ولا.. الخ..

خصوصاً ونحن نرى سلمة بن الأكوع يتحدث عن نفسه، ويسطِّر لها البطولات الخارقة، التي لم يذكرها له أحد سواه، ولكنها ليست بطولات في ساحات الحرب والنزال، بل هي صولات على أسرى مغلولي الأيدي، لا

---

(١) مغازي الواقدي ج٢ ص٧٢٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٨٥ و(ط دار صادر) ج٢ ص١١٨ وج ٣ ص١٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٢ و ١٣١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص١٩٩ وعن مسند أحمد ج٤ ص٤٦ وعن سنن أبي داود ج١ ص٥٩٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٩ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٦٤٧ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٤٨ و ٥٢ و ٥٣ وعن الكامل ج٥ ص٢٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٩٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٢٧.

يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

واللافت هنا: أنه حتى هذه الصولات على الأسرى لم يتحدث عنها، سوى سلمة بنفسه، فلم يذكر لنا أبو بكر، ولا أحد من أفراد تلك السرية شيئاً عن هؤلاء الذين قتلهم هذا البطل العظيم، الذي يريد أن يجعل مما ينسبه لنفسه حديث النوادي، ومجالس السمر، من أول الليل إلى وقت السحر!!

ثم إنه إذا كان سلمة قد قتل وحده سبعة أهل أبيات، فكم قتل غيره من أفراد تلك السرية يا ترى؟!

ولماذا لم يتحدث التاريخ لنا بالتفصيل عن هذا الحدث الكبير؟!

وهل جاؤوا بغنائم؟! وما هو مقدارها؟!

ولماذا أجمل حمزة الكلام، فأشار إلى السبي بصورة مطلقة؟!

بل إن كلمة حمزة ظاهرة في أنهم قد سبوا معظم هوازن، حيث قال: فسبينا هوازن، وهذا حدث عظيم، فلماذا لم يذكره غير حمزة؟!

بطولات سلمة بن الأكوع:

وذكر سلمة هنا أيضاً: أنه لقي جماعة منهم يهربون إلى الجبل، فرمى بسهم بينهم وبين الجبل، فوقفوا، فأتى بهم إلى أبي بكر يسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة مع ابنة لها من أحسن العرب، فأخذ أبو بكر ابنتها، وقدموا المدينة، وما كشف لها ثوباً.

فلقيه النبي «صلى الله عليه وآله» في السوق مرتين في يومين، فطلبها منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: هي لك يا رسول الله.

فبعث بها إلى مكة، ففدى بها ناساً من أسرى المسلمين»[1].

ونقول:

إن هذه القصة بعينها ـ تقريباً ـ قد تقدمت في غزوة أم قرفة، التي يقال: إنها كانت في شهر رمضان من سنة ست، وقد ذكرنا هناك ما يشير إلى عدم إمكان الاطمينان إلى صحتها، فراجع..

قتل سبعة أهل أبيات:

ربما يقال: إن قول بعضهم: فسبى ناساً من المشركين فقتلناهم، فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين يدل على أنهم قتلوا أولئك الذين وقعوا في السبي، فيأتي السؤال أولاً عن سبب قتلهم بعد سبيهم.

ثانياً: هل قتل سبعة أهل أبيات بما في ذلك النساء والرجال والشيوخ والأطفال؟ أم اقتصر القتل على المقاتلين منهم؟!

وقد يجاب، بأنه:

ربما لم يقتلهم بعد سبيهم، إذ يمكن أن يكون الضمير وهو كلمة «هم»

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٠ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٢ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص١١٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٤ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٢ ونيل الأوطار ج٥ ص٢٦٢ وعن مسند أحمد ج٤ ص٤٦ و ٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٢٩ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٤٢٢ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٠٠ والمعجم الكبير ج٧ ص١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٩٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٧ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٢.

في قوله: «فقتلناهم» عائداً على المشركين الذين أرسلوا للإغارة عليهم.

وهو جواب ضعيف يخالف ظاهر الكلام، كما هو واضح.

أو يقال: إنها تطلق على خصوص سبي النساء، لكن يصح إطلاقها أيضاً على كل من يؤخذ حياً من الأعداء بما في ذلك الرجال والنساء.

ويشهد له قول علي «عليه السلام» لما اعترض البعض عليه لعدم إقدامه على أخذ سلب عمرو بن عبد ود، وهو أنفس سلب: كرهت أن أبزَّ السبي ثيابه.

فعبر عن الذي قد استولى عليه وقهره، ثم قتله بأنه سبيّ.

فقوله: سبى ناساً من المشركين معناه: أنه أسر ناساً منهم.. وربما يكون في جملتهم نساء وشيوخ، وأطفال أيضاً.

وبعدما تقدم نقول:

يحتمل أن يكون سلمة قد قتل سبعة أهل أبيات بما في ذلك النساء، والرجال، والشيوخ، والأطفال، وإن لم يقاتله إلا رجالهم، ويحتمل أن يكونوا قاتلوه نساءً ورجالاً وأطفالاً، فقتلهم من أجل ذلك.

سرية بشير بن سعد إلى فدك:

ويذكرون أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث في شعبان سنة سبع بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك، فلقي رعاتهم فسألهم عنهم، فقالوا: هم في بواديهم (أو نواديهم، أو واديهم). والناس يومئذ شاتون، لا يحضرون الماء.

فاستاق النعم والشاء، وعاد بها إلى المدينة، فخرج الصريخ، فأدركوه عند

الليل، فباتوا يراموهم بالنبل، حتى فنيت نبل أصحاب بشير، وأصبحوا، وحمل بنو مرة عليهم، فقتل من أصحاب بشير من قتل، وهرب من هرب، (وقتل كثير من الصحابة).

وقاتل بشير قتالاً شديداً حتى ارتث، وضرب كعبه، ووقع في القتلى، وقيل: قد مات.

ورجع بنو مرة بنعمهم، وشائهم إلى بلدهم..

ووصل خبر ما جرى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أوصله إليه علبة بن زيد الحارثي.

وأمهل بشير بن سعد، وهو في القتلى، فلما أمسى تحامل حتى أتى فدكاً، فأقام عند يهودي بفدك أياماً حتى ارتفع من الجراح، ثم رجع إلى المدينة[1].

فلما علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما جرى، قرر اتخاذ موقف حاسم، فكانت:

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٣ و ٧٢٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٠ و ٦١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٢ والبحار ج٢١ ص٤٨ عن الكامل لابن الأثير، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص١١٩ وج٣ ص٥٣١ وعن الثقات ج٢ ص٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٢٨٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٥ وراجع: تاريخ خليفة بن خياط ص٤٦ والتنبيه والإشراف ص٢٢٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٤.

سرية غالب الليثي إلى فدك:

فقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هيأ الزبير بن العوام، فقال له: سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير، فإن ظفرك الله بهم فلا تبقِ فيهم (وأمره أن يستأصلهم).

وهيأ معه مائتي رجل، وعقد له اللواء، فبينما هو على ذلك إذ قدم غالب بن عبد الله من الكديد، بعد أن ظفره الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للزبير: اجلس.

وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، كان فيهم أسامة بن زيد، وكعب بن عجرة، وعلبة بن زيد، وغيرهم.

فلما دنا غالب من بني مرة بعث الطلائع، فبعث علبة بن زيد في عشرة ينظر إلى جماعة منهم في محالّهم، فرجعوا إليه، فأخبروه. فأقبل غالب يسير، حتى إذا كان منهم بمنظر العين ليلاً، وقد احتلبوا، وعطنوا[1]، وهدأوا، خطب أصحابه. ثم ألف بين كل رجلين، وشرط أن لا يفارق كل رجل زميله.

ثم كبر وكبروا، وأخرجوا السيوف، فخرج إليهم الرجال، فقاتلوا ساعة، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاؤوا.

وفي نص آخر: أغاروا عليهم مع الصبح، وقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل كثير من المشركين، وأخذ المسلمون كثيراً من الأسارى، والإبل والغنم، فكانت سهام كل رجل عشرة أبعرة، أو عدلها من الغنم، (كل جزور بعشرة من الغنم).

---

(١) أي: سقوا الإبل، ثم أناخوها وحبسوها عند الماء (لسان العرب ج١٧ ص١٥٨).

وخرج أسامة بن زيد في أثر رجل منهم، يقال له: نهيك بن مرداس فأبعد.

ثم أخذوا النعم، والنساء، فقال غالب: أين أسامة؟!

فجاء بعد ساعة من الليل، فذكر لهم: أنه لحق برجل، حتى إذا رهقه بالسيف قال: لا إله إلا الله.. ولكن أسامة قتله رغم ذلك.

قال أسامة: فأتيت إلى المدينة، فاعتنقني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقبّلني، واعتنقته.

ثم ذكر أنه أخبره بما جرى، فقال «صلى الله عليه وآله»: قتلته يا أسامة، وقد قال: لا إله إلا الله؟.

قال فجعلت أقول: يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً من القتل.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ألا شققت قلبه، فتعلم أصادق هو أم كاذب؟!

فقال أسامة: لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله. قال أسامة: وتمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ[1].

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٣ و ٧٢٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٧ و ٦٨ عن معالم التنزيل، وعن روضة الأحباب، والبحار ج٢١ ص٦٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ و ١٨٧ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٨ وج٨ ص٣٦ وعن صحيح مسلم ج١٠ ص٦٨ وشرح مسلم للنووي ج٢ ص١٠٠ والديباج على مسلم ج١ ص١١٢ ورياض الصالحين للنووي ص٢٣١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٣ و ٣١٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٦ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٣ وعن النص والإجتهاد =

ومن جهة أخرى: فقد روي عن المقداد بن عمرو، قال: قلت يا رسول الله: أرأيت رجلاً من الكفار يقاتلني، وضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أقتله بعد أن قالها؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تقتله.

قال: فإني قتلته، فماذا؟!

قال: فإنه بمنزلتك التي كنت بها قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال(١).

= ص١١٢ وعن مسند أحمد ج٥ ص٢٠٠ أسباب نزول الآيات ص١١٧ وعن فتح الباري ج١٢ ص١٧٢ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٢ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٥٧ وراجع: روضة الطالبين ج٧ ص٢٨٨ ومسند أبي داود الطيالسي ص٨٧ والمعجم الكبير ج١٩ ص١٦٥ وعن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٢٢.

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٥ و ٧٢٦ وكتاب الأم ج١ ص٢٩٦ وج٦ ص٤ و ١٧٠ والمغني ج١٠ ص١٠٢ والشرح الكبير ج١٠ ص٩٤ ونيل الأوطار ج٧ ص١٩٨ وعن كتاب المسند ص١٩٧ وعن مسند أحمد ج٦ ص٤ و ٦ وعن صحيح البخاري ج٥ ص١٩ وج٨ ص٣٥ وعن صحيح مسلم ج١ ص٦٧ وشرح مسلم للنووي ج٢ ص٩٨ وعن سنن أبي داود ج١ ص٥٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٩ و ١٩٥ والديباج على مسلم ج١ ص١٠٩ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٧٥ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٥٥ والمعجم الكبير ج٢٠ ص٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥١ ورياض الصالحين ص٢٣٠ وكنز العمال ج١ ص٩٧ وإرواء الغليل ج٨ ص١٣٦ وأحكام القرآن ج٢ ص٣٠٩ وتهذيب الكمال ج١٩ ص١١٦ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٨٦ وعن سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٠١.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

أين تقع فدك؟!

ذكر بعضهم: أن المقصود بفدك هنا: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال[1].

وهو كلام غير دقيق، فإن فدكاً تقع على بعد يومين أو ثلاثة من المدينة.

بل في بعض النصوص: أنها على ستة ليال من المدينة[2].

لماذا ثلاثون رجلاً؟!:

ويعود السؤال ليطرح نفسه من جديد، ولكنه مزود هذه المرة بالشاهد القوي، والقاطع للعذر، فيقول: إذا كان التغلب على بني مرة في فدك يحتاج إلى مائتي مقاتل، كما ظهر من تجهيز هذا العدد بقيادة غالب بن عبد الله، فلماذا يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً فقط؟!

وإذا كان بنو مرة قد واجهوا المائتين، وقاتلوهم، فهل سوف يتركون ثلاثين رجلاً يستاقون نعمهم، دون أن يلاحقوهم، وينزلوا بهم ضرباتهم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ وعن سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٦٩ و ٤١١.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج٣ ص١٢٨٠ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٣٠٠ والتنبيه والإشراف ص٢١٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٧ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٧.

القوية والمهلكة؟!

ويزداد هذا الأمر وضوحاً إذا لوحظ: أن المقصود بالهجوم هو أناس يبعدون عن المدينة مسافات طويلة، تحتاج إلى مسير ثلاثة أيام!!

فكيف إذا كانوا في محيط اليهود المعروفين بغدرهم وخياناتهم، وبحقدهم على أهل الإسلام؟! وبالأخص إذا كان ذلك قد حصل بعد أن أوقع المسلمون بهم، وهزموهم شر هزيمة؟!

أهداف تلك السرية:

قلنا أكثر من مرة: إننا لا نتعقل أن يكون هدف النبي «صلى الله عليه وآله» من إرسال تلك السرايا هو مجرد الإيقاع بالناس، وقتل رجالهم، وسبي نسائهم وأطفالهم، واستياق مواشيهم، واستلاب أموالهم من دون دعوة مسبقة لهم إلى الله تعالى، كما هي عادته «صلى الله عليه وآله»..

حتى إنه «صلى الله عليه وآله» في آخر غزواته ليهود وادي القرى، كان يعاود الدعوة لهم عند كل صلاة، وبعد قتل كل رجل منهم[1]، فما معنى أن يرسل بالسرايا لتغير على الآمنين، وتأخذ الناس على حين غرة، وتقتلهم، وتسبي نساءهم وأطفالهم، وتأخذ أموالهم، وتستاق مواشيهم؟!

إننا من خلال كل ما قدمناه وسواه نرى: أن هذه السرايا هي سرايا دعوة إلى الله، وبعضها كانت مهمته الرصد والرقابة.. حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧١٠.

إمكان نجاة السرية من القتل:

ذكر النص المتقدم: أن بني مرة لحقوا المسلمين في أول الليل، فباتوا يراموهم بالنبل، حتى فنيت نبال أصحاب بشير..

والسؤال هو: لماذا لم يغتنم أصحاب بشير الفرصة، ويتخذوا الليل جملاً للنجاة بأنفسهم، إذا كانوا يعلمون أنهم لا يقدرون على المواجهة؟! وأن مصيرهم سيكون هو البوار والدمار؟!

إذ إنهم بعد أن فني نبلهم ليلاً لابد أن يعرفوا: أنهم في خطر أكيد، وضيق شديد، فإما أن يستعملوا خطة أخرى، أو أن يتحيزوا إلى فئتهم، لكي يأتوا بقوة قادرة على حسم الأمور لصالحهم.

من هم القتلى؟!:

وقد تعودنا من المؤرخين، ومن رواة المسلمين أن يذكروا أسماء قتلاهم في الحروب المختلفة، فراجع حرب بدر، وأحد، وخيبر، وغير ذلك، بل هم يذكرون أسماء القتلى من المشركين وغيرهم من أعدائهم أيضاً، فما بالهم لم يذكروا أسماء ولا عدد من قتل في سرية بشير بن سعد هذا؟!

ولابد أن تتنامى توقعاتنا لذلك، ونحن نرى مدى اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بالانتقام لهم، حتى إنه يبادر إلى تجهيز جيش، وإرساله لهذا الغرض.

بشير بن سعد الجريح الناجي!!:

ونلاحظ هنا أيضاً: أن هذا الذي ذكروه عن بشير بن سعد، من أنه

ضرب كعبه، فظنوا موته، ثم نجا بنفسه؛ قد ذكر ما يشبهه في سرية أخرى، هي سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة في ذي القصة.. وجاء فيها:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث محمد بن مسلمة في عشرة إلى بني ثعلبة، فورد عليهم ليلاً، فكمن القوم حتى نام، ونام أصحابه، فأحدقوا بهم، وهم مائة رجل، فما شعروا إلا بالنبل وقد خالطتهم، فوثب ابن مسلمة، وعليه القوس، ووثب من معه، فتراموا بالنبل ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم، فقتلت ثلاثة منهم، ثم قتلوا الباقين، ووقع ابن مسلمة جريحاً، فضرب كعبه فلم يتحرك.. فتركوهم..

ثم نجا محمد بن مسلمة بواسطة رجل مسلم مر على القتلى، فحمله حتى ورد به المدينة.

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا عبيدة في أربعين رجلاً إلى مصارعهم، فلم يجد أحداً، فاستاق نعماً ورجع[1].

وستأتي قضية أخرى تشبه هذه القضية أيضاً، وهي سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم في سنة سبع.

ومثلها سرية ذات أطلاح أيضاً.

وهذا التشابه يلقي ظلالاً من الشك على صحة أكثر هذه النصوص.

قاتل حتى ضرب كعبه!!:

وورد في النص المتقدم كلام غير مفهوم، فقد قال: قاتل قتالاً شديداً

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٥٥١ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٣ والبحار ج٢٠ ص٢٩١ و ٣٠٨ وعن إعلام الورى ج١ ص٢٠٠.

حتى ضرب كعبه.

وقيل: قد مات..

فما هو ربط القتال الشديد بضرب الكعب؟!

وكيف أصبح ضرب الكعب هو أقصى شيء في القتال؟!

إلا أن يقال: إنه حين جرح، ضربوا كعبه، ليعرفوا موته من حياته، فلم يتحرك.

وقيل: قد مات.. ولذلك زاد الحلبي عبارة: «اختباراً لحياته»(١) فراجع.

ولكن لماذا تم اختيار الكعب لمعرفة موته من حياته؟!

بل لماذا يضربون كعبه، ولا يضربونه بموضع قتّال، فيحصل لهم اليقين بموته؟!

إلا إن كان لهم غرض بأسره ومفاداته، أو نحو ذلك..

لماذا عدل عن الزبير؟!:

لقد ذكر النص المتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» جهز الزبير أولاً، وعقد له اللواء، وأمره بالمسير إلى بني مرة، ولكنه عاد وأمره بالجلوس، واستبدله بغالب بن عبد الله من دون أن يفصح عن الداعي إلى ذلك..

رغم أن غالباً كان قد قَدِمَ لتوه من سرية أخرى، ولم يسترح من عناء السفر.. مع ملاحظة: أنهم لم يفصحوا لنا ـ أيضاً ـ عن أيِّ شيء يرتبط بتلك السرية التي عاد منها غالب!!

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٢.

والسؤال هنا هو:

هل اعرض النبي «صلى الله عليه وآله» عن ارسال الزبير، لأن الزبير امتنع من القيام بهذه جبناً وخوراً، أو اعتذر عنها بمشاغل رأى أنها أهم من تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فإن كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر لنا المؤرخون..

وإن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي انصرف عنه فالسؤال هو: هل وجد «صلى الله عليه وآله» من الزبير أي هناة تمنع من إرساله في مهمة كهذه؟!

أو أنه لم يكن أهلاً لقيادة سرية بهذه الحجم، ولها مهمة كهذه؟!

فإن كان الأمر من هذا القبيل أو ذاك، فلماذا قدمه أولاً؟

ألم يكن عالماً بعدم كفاءته، أو بالهنات التي صدرت منه؟!

وإن كان الأمر كذلك، فكيف يقدم على أمر لم يتثبت فيه، ولم يستكشف حقيقته؟! ويقف على ما ينبغي له أن يقف عليه؟!

وإن كان الزبير بريئاً من كل عيب، وكان كفؤاً للمهمة التي رُشِّح لها، فلماذا نحاه عنها؟!

ألا يعتبر ذلك بمثابة تشكيك في أهليته، أو الطعن في إخلاصه؟! فلماذا لم يقل أي شيء من شأنه أن يبعد الشبهة عنه؟!

أم أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يتفاءل بالنصر الذي حصل للسرية السابقة، كما يوحي به قول الراوي: «فقدم غالب بن عبد الله من سرية قد ظفره الله عليهم»؟!

ولكن هل يصح أن يكون هذا التفاؤل بقيمة إثارة الشبهات حول

الزبير، أو بقيمة تحقيره، وتصغير شأنه بين أقرانه؟!

على أن من يلاحظ السرايا وأمراءها، لا يجد للزبير ذلك النصيب الذي يتوقع من مثله!! ولاسيما فيما يتعلق بإمارة تلك السرايا، وكذلك الحال بالنسبة لعدد من أقرانه. فما هو السبب يا ترى؟!

الزبير.. وبشير بن سعد:

فهل المقصود من ذلك كله: هو تخصيص بشير بن سعد بالفضائل والكرامات، لأنه كان أول من بايع أبا بكر، وكسر شوكة ابن عمه سعد بن عبادة في يوم السقيفة؟!

أما الزبير، فكان معارضاً لهم، ومؤيداً لمن أبغضوه، وناوأوه، واغتصبوا حقه!! وإن كان قد انقلب بعد ذلك على عقبيه، فقاتل إمامه في حرب الجمل، بعد بيعته له، فقتل هو في تلك الحرب التي أثارها.

حرب إبادة:

وأغرب من ذلك كله، أن نجده «صلى الله عليه وآله» يصدر أمراً لقائد سريته، بإبادة بني مرة إن ظفر بهم.

فقد زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: «فإن ظفرك الله بهم لا تبقي فيهم..»[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٢٩٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٣ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٦ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٠.

أو قالوا: أمره بأن «يستأصلهم».

فهل يمكن أن يصدر أمر كهذا من نبي الرحمة، الذي يقول بعد استشهاد عمه حمزة وعشرات من أصحابه في حرب أحد: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»؟!

ولماذا هذه القسوة منه «صلى الله عليه وآله» على قوم قد جاءهم من انتهب منهم النعم والشاء، فهبُّوا لتخليصها واسترجاعها، ودفع المهاجمين عن أنفسهم؟!

ثم لماذا أصر المهاجمون والمغيرون على مواصلة الحرب مع بني مرة حتى قتلوا عن آخرهم؟! مع قصور الرواية التاريخية عن التصريح بشيء يدل على أن بني مرة

قد جمعوا لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو تآمروا عليه، أو نقضوا عهده، أو ما إلى ذلك!!

الغنائم والأسرى:

وبعد.. فإنه إذا كان نصيب كل واحد من المقاتلين من الغنيمة عشرة أبعرة، فسيكون مجموع ما غنموه من بني مرة حوالي ألفي بعير، أو عدلها من الغنم، على أن يكون مقابل كل جزور عشرة من الغنم.

فأين كانت تلك المواشي ترعى؟! وكيف كانت تؤوى؟!

ومن الذي كان يحمي تلك الأبعرة والأغنام الكثيرة في ذلك المحيط الذي كان يمارس أهله الغارة والسلب في كل اتجاه؟ وكيف غفل عنها أصحاب الغارات، وطلاب اللبانات؟! وكانوا يجوبون المنطقة طولاً وعرضاً، خصوصاً

إذا كانت حاميتها ضعيفة إلى هذا الحد؟!

وكم ينبغي أن يكون هناك من الرجال، ليحموها من سباع وفرسان القبائل، برماحهم وسيوفهم؟! إذ لابد أن يكون عدد حماتها متناسباً مع حجم التحدي الذي يتهددها في تلك المنطقة.

وهل قتلهم جميعاً غالب ومن معه؟! أم أنه قد أسر أحداً منهم؟! مع العلم بأن الوصية له من رسول الله «صلى الله عليه وآله» هي كما زعموا: «فإن ظفرك الله بهم لا تبقي فيهم..».

ومع العلم بأن النص لم يشر إلى أسر أحد منهم، بل قال: «فوضعنا السيوف حيث شئنا منهم، ونحن نصيح بشعارنا: أمت أمت..».

إلى أن قال: «وحوينا على الحاضر، وقتلنا من قتلنا، ومعنا النساء والماشية»[1].

وإذا كانوا قد سبوا النساء، فلابد أن يكون عدد السبايا بلغ المئات.

ومن المتوقع أن يكون لها ذكر يتناسب مع كثرتها.

وأن يكون لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بعض الصُّفَى منهن.

وأن يقع التنازع، أو التنافس في الحصول على الجميلات منهن.

أو يكون ذكر لمن في نصيبه من تُذْكَرُ منهن بجمال، كما رأينا في مناسبات أخرى.

ولكننا لم نعثر على شيء من ذلك في كتب السير، ولم نقف له على أي أثر.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٤.

قصة أسامة بنحو آخر:

وعن قصة أسامة نقول:

إنها رويت بنحو آخر، وهو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله في خيل إلى بعض قرى اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: مرداس بن سليم، لما أحس بهم جمع إبله وماله في ناحية الجبل، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمر به أسامة، فقتله.

ثم تذكر الرواية: ما جرى لأسامة مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال له: «لا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في قلبه علمت».

وفيه أنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾[1].

وربما تكون هذه الرواية هي الأقرب إلى الصحة، مع ملاحظة: أنها مختصرة إلى درجة الإخلال باللوم الشديد، الذي وجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأسامة، وهي أوضح من الرواية الأولى التي تحاول التخفيف من قبح وبشاعة ما صدر عن أسامة، وأن تعطي أسامة منزلة خاصة من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكننا رغم ذلك لابد أن نتوقف قليلاً مع بعض ما ورد فيها، فنقول:

ألا شققت قلبه؟!:

إن أسامة بن زيد يقتل من شهد أن لا إله إلا الله، ثم يزعم لرسول الله

---

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

«صلى الله عليه وآله»: أن ذلك المقتول لم يشهد الشهادتين عن قناعة، وإنما قال ذلك بلسانه لينجو من القتل، مع أنه عاجز عن التحقق من ذلك، وعن إثباته..

وحتى لو كان يعلم بذلك، فالمفروض هو: قبول ذلك منه.. تأسياً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي يعلم الناس كلهم: أنه كان يعرف بنفاق كثير من أصحابه، وقد أعلم حذيفة بعدد منهم. ولكنه «صلى الله عليه وآله» كان يعاملهم وفق ما يظهرونه، وليس على حسب ما يعلمه منهم..

بل إن الكثيرين منهم كانوا يقدِّمون الدليل تلو الدليل على عدم صحة إيمانهم، ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يرتب أثراً على ذلك في مقام التعامل معهم.. وقد انخذل عنه «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن أبي ـ في ثلث الجيش ـ في واقعة أحد.. كما أن جماعة من الصحابة قد نفَّروا به «صلى الله عليه وآله» ناقته، لكي يقتلوه، وكان يعرفهم بأسمائهم، وأشخاصهم، ولكنه لم يعلن بذلك للناس.

وقد ندد القرآن الكريم في كثير من آياته بهم، وأدان تصرفاتهم، وفضحهم، وشنع عليهم في كثير من المناسبات..

ولم يعاقبهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما صدر منهم تجاهه، ولا حاسبهم، ولا طالبهم بغير ما كانوا يظهرونه.

وتلك هي سماحة الإسلام، وبالغ حكمته، ودقة تعاليمه، فإنه يريد أن ينتزع السلاح من يد هؤلاء، فلا يشهرونه في وجهه، ويريد لهم أن يعيشوا هم وكل من يلوذ بهم من أقرباء، وعشائر، وأصدقاء، أجواء الإسلام من دون أي تكلف أو حرج، فعسى ولعل، ولعل وعسى أن يُقْبِلَ الله بقلوبهم

ولو بعد حين.

بل إن القاعدة التي أرساها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في التعامل مع الأغيار، هي: أن من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حقن بها ماله، ودمه. فما معنى التعدي عن هذه القاعدة، وتمحل الأعذار لذلك؟!

تهافت.. لا علاج له:

يدَّعي أسامة: أن ذلك الرجل تشهد الشهادتين بعدما ضربه أسامة بالسيف.

فقد روي أنه قال لأميره: «خرجت في أثر رجل منهم، فجعل يتهكم بي، حتى إذا دنوت منه وضربته بالسيف، قال: لا إله إلا الله.

فقال له الأمير: بئس ما فعلت وما جئت به، تقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله؟! فندم أسامة الخ..».

ونقول:

لا نشك في عدم صحة هذه الرواية، إذ يرد عليها ـ بالإضافة إلى أنها لا تنسجم مع الرواية التي ذكرت ـ ما يلي:

أولاً: لقد ذكرت: أن ذلك الرجل كان يتهكم بأسامة، وأنه: قد شهد الشهادتين بعد أن ضربه أسامة بالسيف.

فلماذا يلام أسامة إذن؟!

ولماذا يتهم بأنه قد قتل رجلاً مسلماً؟!.

ثانياً: إن هذا النص لا يبقي مجالاً لقول أسامة: إنما قالها متعوذاً؛ لأن التعوذ إنما يكون قبل إصابة السيف له لا بعده. كما أنه لا يبقي مجال لأن يلومه الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويقول له: هلا شققت عن قلبه؟ وغير ذلك..

والظاهر هو: أن المقصود بهذه الصيغة؛ التخفيف من حدة النقد الذي ربما يوجه إلى أسامة على فعلته هذه..

لا أقتل أحداً يقول: لا إله إلا الله:

قال الحلبي: «ومن ثم لم يشهد أسامة رضي الله عنه مع علي كرم الله وجهه قتالاً، وقال له: لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها.

أو قال: لو كنت في فم الأسد لدخلت فيه معك. ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قتلت ذلك الرجل، الذي شهد أن لا إله إلا الله. وقلت له: أعطي الله عهداً: أن لا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله».

وإذا كان أسامة بن زيد قد تعهد بأن لا يقتل أحداً يقول: لا إله إلا الله[1]، فذلك لا يبرر تخلُّفه عن نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» والإمام علي «عليه السلام»، حين يقاتل البغاة عليه، ولا يبرر مخالفته لأمره، إذا أمره بالخروج لحربهم.

وليس له الاعتذار: بأنه قد تعهد بأن لا يقتل مسلماً، إذ إنما يصح له أن يتعهد بما يرجع أمره إليه، ويكون باقتراح ومبادرة منه. أما إذا كان الله تعالى هو الآمر له ـ باعتبار أنه أمره بطاعة نبيه وإمامه ـ فإنه يصبح أمام أحد خيارين: إما الطاعة الموجبة للمثوبة الإلهية، وإما المعصية المؤدية إلى الهلاك والعقوبة في نار جهنم.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٥ والجمل ص٤٥. وراجع: الأمالي للطوسي ص٧١٦ والبحار ج٢٨ ص١٥٣ وج٣٢ ص٧٠ وراجع الغارات ج٢ ص٥٧٧.

فلا يصح لأحد الاعتذار بذلك لأسامة في تخلفه عن حروب أمير المؤمنين «عليه السلام» للبغاة، كما صرحت به بعض الروايات[1].

وقد أغضب ذلك إمامه «عليه السلام»، حتى حرمه من العطاء، وقال له: هذا المال لمن جاهد عليه[2]. ولو أنه «عليه السلام» وجد أن ذلك يبرر موقف أسامة؛ لَعَذَرَه، ولم يحرمه من العطاء..

وأما ما روي من أنه: انحرف عن أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم رجع إليه[3]، فسنده ضعيف، فإن كان ذلك قد حصل بالفعل، فهو الفلاح والنجاح، والسداد والرشاد.

---

(١) تفسير القمي ج١ ص١٤٨ وراجع: البحار ج٢١ ص١١ وج٢٥ ص٩٣ وج٦٢ ص٢٣٥ والتفسير الصافي ج١ ص٤٨٥ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٣١ وكنز الدقائق ج٢ ص٥٨٠.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٢ والغارات (ط الأولى) ج٢ ص٥٧٧ والبحار ج٢٨ ص١٥٣ وج٩٤ ص٥٨ وج١٠٠ ص٥٨ وج٢١ ص٦٥ ونهج السعادة ج٤ ص١٢٧ وعن ميزان الحكمة ج٤ ص٢٩٩٦ والدرجات الرفيعة ص٤٤٥ وتاريخ المدينة ج٣ ص١١٣٩، ومستدرك الوسائل ج١١ ص٩٧ وتكملة الرجال ج١ ص١٧٤ والغارات للثقفي ج٢ ص٥٧٧.

(٣) قاموس الرجال (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج١ ص٧١٦ و ٧١٧ ورجال الكشي ص٣٩ وراجع: كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٧٩٧ ورجال ابن داود ص٥٠ وإتقان المقال ص٢٥٩ والتحرير الطاووسي ص٥٠ و ٥١.

ماذا عن سؤال المقداد رحمه الله؟!

وأما بالنسبة لقصة المقداد بن عمرو..

فربما يقال: إن قصد هؤلاء القوم منها هو إيجاد شريك لأسامة، في هذا الأمر القبيح الذي صدر منه، وإيهام: أن المقداد كأسامة قد قتل امرءاً مسلماً أيضاً.

مع أن المقداد كان من خيرة أصحاب علي «عليه السلام»، وكان معروفاً بالطاعة المطلقة له «عليه السلام»، وبالتسليم التام لما يريده الله سبحانه، ولما يأمر به رسوله «صلى الله عليه وآله». على أن التأمل في القصة التي يرويها هؤلاء يعطي أنها لا تفيدهم فيما قصدوه، لأن ظاهرها: أن المقداد قد طرح على الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» سؤالاً افتراضياً، ولم يكن يتحدث عن نفسه أبداً.

والذي يظهر لنا:

أن الأقرب إلى الاعتبار: هو أن بعض الناس ربما لم يبلغهم تغيُّظ رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أسامة، فظنوا أو خدعتهم ادعاءات صحة ما أقدم عليه أسامة، فأراد المقداد أن يعرِّفهم هذه الحقيقة من لسان النبي «صلى الله عليه وآله»، مباشرة فطرح السؤال على سبيل الافتراض، مضمناً إياه خصوصية تزيد في وضوحه، فقد ذكر في سؤاله الأول: أن ذلك الكافر المقاتل قطع يد مهاجمه (الذي هو السائل) بسيفه، ثم أعلن إسلامه.

وجاء الجواب: بتحريم قتل ذلك الرجل.

وهذا سؤال افتراضي جزماً، لأن المقداد لم تقطع يده أصلاً..

ثم رتب على هذا السؤال وجوابه سؤالاً افتراضياً آخر يقول: لنفترض

أنني قتلته بعد إعلانه الإسلام، فما هو الحكم في ذلك؟

فجاء الجواب في هذه الحالة أيضاً: بأن الحكم هو كذا وكذا..

هل هذا هو النص الصحيح للقضية؟!

تقدم أننا نحتمل: أن يكون ثمة سعي للتخفيف من وقع جريمة أسامة بادِّعاء: أن ذلك المقتول قد أظهر الإسلام حين رهقه أسامة بالسيف..

مع أن ثمة ما هو صريح في: أن إسلام ذلك الرجل كان متقدماً على ذلك، كان معروفاً ومشهوراً.

وتقدم أيضاً: النص الذي ذكره القمي، وهو لا ينسجم مع هذه الادعاءات.. كما أنهم قد رووا ما يؤيده عن ابن عباس، وهو: أن نهيك بن مرداس كان من أهل فدك، وكان مسلماً، ولم يسلم من قومه غيره، فسمعوا بأن سرية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تريدهم، وكان على السرية غالب بن فضالة الليثي، فهربوا، وأقام الرجل، لأنه كان على دين الإسلام.

فلما رأى الخيل خاف أن يكونوا من غير أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فألجأ غنمه إلى عال من الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون، فعرف أنهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكبر ونزل، وهو يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. السلام عليكم.

فقتله أسامة، واستاق الغنم.

ثم رجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبروه، فوجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجداً شديداً، وكان قبل ذلك قد سبق الخبر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أقتلتموه إرادة ما معه؟!

ثم قرأ هذه الآية على أسامة بن زيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُواْ﴾[1]، فقال: يا رسول الله استغفر لي.

فقال: فكيف بلا إله إلا الله؟!

قالها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات.

قال أسامة: فما زال رسول الله يكررها ويعيدها، حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ.

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استغفر لي بعد ثلاث مرات، وقال: اعتق رقبة.

وروى عكرمة، عن ابن عباس: أنه مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه غنم له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم، فقاموا، وقتلوه، وأخذوا غنمه، وأتوا بها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُواْ﴾»[2].

وفي رواية أبو ظبيان قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسامة بن زيد مع جماعة إلى الحرقات من جهينة، فصبحوهم، فهزموهم، وقتل أسامة رجلاً ظنه متعوذاً بقول لا إله إلا الله، فكرر رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٢) راجع: مسند أحمد ج١ ص٢٧٢ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٠٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١١٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٥٧٧ وج٧ ص٦٥٢ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٥٩ وموارد الظمآن ص٣٣ وجامع البيان للطبري ج٥ ص٣٠٢ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص١١٥.

وآله» قوله له: أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله، حتى قال: تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

ونقول:

١ ـ إن التأمل في هذا النص يجعلنا نشك في أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استغفر لأسامة، وذلك لأنه طلب منه أن يستغفر له، فقال له ثلاث مرات: فكيف بلا إله إلا الله؟!

ثم لم يزل «صلى الله عليه وآله» يكررها، ويعيدها، حتى تمنى أنه لم يسلم إلا يومئذٍ.

وهو جواب ينضح بالألم، ويشي بالاستياء الشديد، من فعل أسامة.. فكيف يمكن الركون إلى زعمهم: أنه استغفر له؟!

٢ ـ وإذا كان جشع أسامة، وحبه للمال يدفعه لارتكاب جريمة القتل حتى للمسلم.. فلست أدري إن كان قد وفِّق بعد ذلك للتخلص من شرهه وجشعه هذا؟! أم أنه بقي على حاله؟! أو ربما يكون قد تنامى وتعاظم. وتعمق وترسخ حب الدنيا في نفسه؟!

وربما يشير إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» قد عاقبه بحرمانه من بعض هذا المال الذي يحبه، حيث قطع عطاءه، وقال: إن هذا المال لمن جاهد

---

(١) راجع: المحلى لابن حزم ج٧ ص٣١٦ وج١٠ ص٣٦٨ والبحار ج٢١ ص٦٥ والديباج على مسلم ج١ ص١١١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٥٧٥ وج٧ ص٦٥٠ وج٨ ص٤٦٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٧٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٦ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٨ وعن صحيح مسلم ج١ ص٦٧.

عليه. حسبما تقدم.

٣ ـ إن هذا النص يصرح بأن الرجل المقتول جاء إلى جيش المسلمين، وسلم عليهم، وذلك يجعلنا نرتاب فيما زعموه من أن أسامة قد قتله في ساحة الحرب، وأنه لما رهقه بالسيف نطق بالشهادتين، وربما يكون الدافع إلى ادعاء ذلك هو التخفيف من حدة النقد لهذا القاتل، ومن قبح الذنب الذي صدر منه.

٤ ـ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى الإعلان القاطع عن دوافع أسامة لقتل ذلك الرجل. وقد ساق كلامه بصورة الإخبار عن أمر يقيني.

واليقين بذلك لا يتأتى إلا لمن يكون نبياً، قد علم ذلك عن طريق الوحي، أو من خلال اطلاعه على الغيب، ولو عن طريق إشرافه على اللوح الذي تكتب فيه الغيوب، التي أذن الله تعالى له بالاطلاع عليها، ويسَّر له ذلك، بما آتاه إياه من قدرات..

٥ ـ إن رواية أبي ظبيان تحاول أن تنسب القتل إلى قوم آخرين يحكي أسامة لنا: أن هذا القتل قد صدر منه، بعد أن اعتبروا تسليم ذلك الرجل عليهم كان من أجل التعوذ به منهم.

مع أن الرواية المتقدمة تصرح بأن أسامة انفرد به، وقتله.

٦ ـ إن هذه الرواية التي رواها أسامة تثير أكثر من سؤال.

فإنه إن كان يريد أن يبرئ نفسه من هذه الجريمة، وينحي باللائمة على غيره؛ فالروايات كلها تكذبه في ذلك.

وإن كان يتحدث عن أن غيره فعل ذلك، وكان هو معهم..

فإن كان ما فعلوه قد حدث قبل أن يرتكب هو جريمته بحق ذلك

الرجل، فالسؤال هو: أن آية «فتبينوا» إن كانت نزلت لتحكي ما فعلته تلك الجماعة في هذه المناسبة، فكيف يقدم هو بعد نزول الآية فيهم على قتل ذلك المتعوذ ـ بزعمه ـ بلا إله إلا الله، محمد رسول الله؟!..

ولماذا لم يتبين أمره، ولم يتحقق مما صدر منه، وفقاً لما أمر الله تعالى به؟!

وإن كان ذلك قد حصل بعد أن فعل أسامة فعلته، وبعد استنكار رسول الله «صلى الله عليه وآله» فعله ذاك.. فكيف لم يعتبر أولئك القوم الذين هم من الصحابة بما جرى لأسامة؟!

وكيف يقدمون على أمر من هذا القبيل، بعد البيان النبوي الواضح والصريح؟

وكيف يصح من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يغفر لهم ذلك، ولا يعاقبهم عليه؟!

هذا، وسيأتي بعض الكلام عما جرى لمحلم بن جثامة في سرية أبي قتادة إلى بطن إضم، وفي أواخر حرب حنين، والطائف، فانتظر.. فإنها تشبه قضية أسامة إلى حد بعيد.

سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة:

وفي شهر رمضان سنة سبع، وبعد أن رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من غزوة الكدر، أقام مدة، ثم قال له يسار (مولاه): يا رسول الله، إني علمت غِرَّة من بني عبد بن ثعلبة، فأرسل معي إليهم (وإلى بني عوال).

فأرسل معه النبي «صلى الله عليه وآله» غالب بن عبد الله في مائة وثلاثين رجلاً إلى الميفعة، بناحية نجد، على ثمانية برد من المدينة.

وقد خرج بهم يسار، فسار بهم في غير الطريق، حتى فنيت أزوادهم، وجهدوا، واقتسموا التمر عدداً.

وساء ظنهم بيسار، وفي صحة إسلامه. ثم وصلوا إلى وادٍ قد حفره السيل، فساروا فيه حتى انتهوا إلى أكمة. كان الذين يقصدونهم خلفها، فأغاروا عليهم، واستاقوا نعماً وشاء، وقتلوا من أشرف لهم منهم..

واستاقوا النعم إلى المدينة، ولم يسمع أنهم جاؤوا بأسرى..

وفي نص آخر: ولم يأسروا أحداً[1].

ونقول:

أولاً: لقد ذكروا: أن قصة أسامة بن زيد، وقتله لذلك الرجل الذي أسلم، ثم قول النبي «صلى الله عليه وآله» لأسامة: ألا شققت عن قلبه ـ ذكروا ـ أن ذلك قد حصل في هذه الغزوة[2].

وتقدم وسيأتي قولهم: إنها كانت في سرايا أخرى أيضاً..

ثانياً: إننا نقول هنا نفس ما قلناه في سائر المواضع، وهو: إن النبي

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٦ و ٧٢٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣ والبحار ج٢١ ص٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٨ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص١١٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٦.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٦١ عن المواهب اللدنية، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٣ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج٢ ص١١٩ ومسند أحمد ج٥ ص٢٠٧ وجامع البيان ج٥ ص١٢٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٦ و ١٨٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٨ والتنبيه والإشراف ص٢٢٧.

الكريم «صلى الله عليه وآله» لا يغير على قوم لمجرد استلاب أموالهم، ولا يقتل أحداً قبل دعوته إلى الله تعالى، فإن لم يكن «صلى الله عليه وآله» قد دعا هؤلاء القوم إلى الإسلام، ولم يكونوا نقضوا عهداً، أو ارتكبوا جرماً، أو جمعوا جمعاً للإغارة على أهل الإسلام، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يستحل الإغارة عليهم بهذه الطريقة. وحيث لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص ما يثبت شيئاً من ذلك، فلا نستطيع تأكيد صحة ما زعموه..

هذا مع غض النظر عن أننا لابد أن نسأل عن هذا التفاوت في التعبير عن موضوع الأسرى، فتارة يقال: لم يسمع عن أسرى أتي بهم منهم.

وأخرى يصرحون: بأنه لم يؤسر منهم أحد!!

سرية بشير بن سعد إلى الجناب:

وقالوا أيضاً: إنه في سنة سبع قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجل من أشجع، يقال له: حسيل بن نويرة. وكان دليل النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، فقال له «صلى الله عليه وآله»: من أين يا حسيل؟

قال: قدمت من الجناب.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما وراءك؟

قال: تركت جمعاً من غطفان بالجناب، (وقيل: فزارة وعذرة)، قد بعث إليهم عيينة يقول لهم: إما تسيروا إلينا، وإما نسير إليكم.

فأرسلوا إليه: أن سر إلينا، حتى نزحف إلى محمد جميعاً. وهم يريدونك، أو بعض أطرافك.

قال: فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر وعمر، فذكر لهما

ذلك، فقالا جميعاً: ابعث بشير بن سعد.

فبعثه في ثلاث مائة رجل، وبعث معهم حسيل بن نويرة دليلاً، فساروا حتى أتوا يمن وجبار، فنزلوا بسَلَاح (موضع أسفل من خيبر) أو سلاج[1] ثم دنوا من القوم، فأغاروا على النَّعم، فأصابوا نعماً كثيراً، ملأوا منه أيديهم، ونفر الرعاء، وحذروا قومهم، فتركوا محالهم، فلما هجم عليها المسلمون لم يجدوا بها أحداً.

ثم رجعوا، فأخذوا في الطريق عيناً لعيينة، فقتلوه.

ثم لقوا جمع عيينة، وعيينة لا يشعر بهم، فناوشوهم.

ثم انكشف جمع عيينة، وتبعهم المسلمون، فأسروا منهم رجلاً أو رجلين ـ على اختلاف الروايات ـ فقدموا بهما على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلما، فأطلق سراحهما[2].

وأما عيينة فانهزم على فرس له، فاستوقفه حليفه الحارث بن عوف المري. فلم يقف له، وقال: لا، ما أقدر، الطلب خلفي، أصحاب محمد. وهو يركض.

فقال له الحارث: أما لك أن تبصر ما أنت عليه؟ إن محمداً قد وطئ البلاد، وأنت توضع في غير شيء. ثم تنحى الحارث عن الموضع الذي

---

(١) راجع: معجم البلدان ج٥ ص١٠١ ووفاء الوفاء ج٢ ص٣٢٣ وعن الثقات ج٢ ص٢٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٨ وعن سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٤.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٧ و ٧٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٤ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦١ وعن الطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٧ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٨.

يتوقع أن تمر فيه الخيل لكي يراهم، ولا يراه أحد منهم.

فأقام من حين زوال الشمس ظهراً إلى الليل، فلم يمر به أحد. ولا طلبه أحد منهم، ولكن الرعب الذي دخله صوَّر له ذلك..

ثم إن الحارث ذكر ذلك لعيينة، فأقر له به، وأنه خاف أن يؤسر.

فقال له الحارث: أيها الرجل قد رأيت ورأينا معك أمراً بيِّناً في بني النضير، ويوم الخندق، وقريظة، وقبل ذلك قينقاع، وفي خيبر، إنهم كانوا أعز يهود الحجاز كله، يقرون لهم بالشجاعة والسخاء، وهم أهل حصون منيعة، وأهل نخل.

والله، إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم، لقد سارت حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان، فامتنعوا بهم من الناس. ثم قد رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة! وكيف أديل عليهم!!

فقال عيينة: هو ـ والله ـ ذاك! ولكن نفسي لا تقرُّني.

فقال الحارث: فادخل مع محمد!

قال: أصير تابعاً؟! قد سبق قوم إليهم، فهم يُزْرُونَ بمن جاء بعدهم، يقولون: شهدنا بدراً وغيرها.

قال الحارث: وإنما هو على ما ترى، فلو تقدمنا إليه لكنا من علية أصحابه، قد بقي قومه بعدهم منه في موادعة، وهو موقع بهم وقعة ما وطئ له الأمر.

قال عيينة: أرى والله.

فاتَّعدا يريدان الهجرة، فمر بهم فروة بن هبيرة القشيري يريد العمرة، وهما يتقاولان، فأخبراه بأمرهما. فطلب منهما الانتظار إلى أن ينظرا ما يصنع أهل مكة، فأخرا القدوم.

ومضى فروة إلى مكة، فإذا هم على عداوتهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبرهم بما جرى لأهل خيبر، وبأن رؤساء الضاحية على عداوتهم أيضاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسألوه عن رأيه، فأشار عليهم أن يتموا مدة العهد الذي بينهم وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم يجمعون العرب لغزوه «صلى الله عليه وآله» في عقر داره.

وسمع نوفل بن معاوية الديلي بوجود فروة بن هبيرة في مكة، فنزل إليه من باديته، فأخبره فروة بما قال لقريش.

فطلب منه نوفل أن يستنصر له قريشاً على خزاعة، التي كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يغيبون عنه حرفاً من أمورهم.

فكلم فروة رؤساء قريش في ذلك: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعبد الله بن أبي ربيعة، فاعتذروا وقالوا: إذن يغزونا محمد فيما لا قبل لنا به؛ فيوطئنا غلبة، وننزل على حكمه، ونحن الآن في مدة، وعلى ديننا.

فأخبر فروة نوفلاً بما جرى. ثم رجع إلى عيينة والحارث، فأخبرهم، وقال: رأيت قومه قد أيقنوا عليه، فقاربوا الرجل، وتدبروا الأمر.

فقدَّموا رجلاً، وأخروا أخرى[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقفات، هي التالية:

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٢٧ و ٧٣١.

التآمر.. والاستعداد:

صرحت النصوص المتقدمة: بأن سبب إرسال هذه السرية هو: أن الغطفانيين قد جمعوا، وتآمروا، واجتمعوا مع جماعات أخرى، ليزحفوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، أو إلى بعض أطرافه، فكان لابد من تسديد ضربة استباقية لهم، تفل جمعهم، وتبطل كيدهم.

ولا يصح الانتظار إلى أن يأتوا هم لغزو البلد، وهتك حرمته، وكسر هيبته، ولا يجوز في منطق الحرب أن تعطى للعدو الفرصة لاختيار الزمان، والمكان، والخطة الحربية، وطريقة القتال، وأساليبه ووسائله.

بل لابد من استلاب الفرصة من يده، وإرباكه، وإشعاره بأنه لن يكون آمناً، لا في الزمان، ولا في المكان، ولن يكون قادراً على اختيار الإقدام أو الإحجام، ولابد من زعزة ثقته بالوسائل التي يملكها، وبالخطط التي يضعها، وبالتحالفات التي يعقدها، ويعتمد عليها.

وهذا ما حصل للغطفانيين بالفعل، فإنَّ شن الغارة عليهم، وبعثرة جمعهم، قد حقق النتائج الباهرة، سواء بالنسبة إليهم، أم بالنسبة لعيينة بن حصن، الذي أراد الاعتضاد بهم في مواجهة أهل الإسلام..

مشورة العمرين:

وأما ما ذكرته الرواية المتقدمة: من أنه «صلى الله عليه وآله» دعا أبا بكر وعمر، وذكر لهما ذلك، فقالا جميعاً: ابعث بشير بن سعد..

فلا نستطيع أن نؤيده بصورة حاسمة، إذ لم يكن هناك داع للاستشارة في أصل إرسال السرية، لأن المصلحة كانت ظاهرة في هذا الأمر، وهي

ضرورة إيراد الضربة القاضية بأولئك المتآمرين. وفق ما جرت عليه عادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مثل هذه الحالات.

وأما بالنسبة لاختيار الأشخاص، فليس لنا أن نظن: أنه «صلى الله عليه وآله» كان في حيرة من أمره فيهم، علماً أنه كان لديه من القادة كثيرون، وقد أثبتوا جدارتهم في المواقف. ولم يكن لبشير بن سعد أي امتياز، يقتضي ترجيحه عليهم، أو يفرض ترشيحه لمثل هذه المهمة دونهم..

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان مسدداً بالوحي، ولم يكن بحاجة لرأي أحد..

فمن أجل ذلك كله نقول:

ربما يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرض على أبي بكر وعمر أن يتوليا هذه المهمة، فاعتذرا عن قبولها، وأشارا عليه ببشير بن سعد..

وربما يكون قد أعلن أو أراد أن يعلن اسم شخص بعينه، فبادرا إلى اقتراح بشير بن سعد، فأحرجاه به.. وربما.. وربما..

لماذا بشير بن سعد دون سواه؟!:

ويبقى سؤال يحتاج إلى الإجابة عليه هنا، وهو لماذا رجحا هذا الرجل دون سواه؟! وقالا معاً بصوت واحد: ابعث بشير بن سعد؟!.. فهل كانا قد تداولا هذا الأمر، واتفقا عليه؟!

أم أن الأمر جاء منهما على سبيل الاتفاق، وبعفوية تامة؟!

إن الإجابة على هذا السؤال نتركها للقارئ الكريم!!

غير أننا نشير إلى ما يلي:

١ ـ إن اختيار النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ثلاث مائة رجل لهذه المهمة يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» أراد حسم الأمر، وضمان النصر، وإبعاد أي احتمال في الاتجاه الآخر بصورة عملية..

٢ ـ إننا لا نستغرب اهتمام أبي بكر وعمر ببشير بن سعد، وترجيحهما له على من عداه، فإن الوقائع اللاحقة أثبتت: أن هذا الرجل كان من المؤازرين لهما على ما أراداه من الاستئثار بأمر الأمة، فقد كان أول من بايع أبا بكر في السقيفة، حتى إنه سبق عمر وأبا عبيدة إلى ذلك[1].

وهو الذي أشار عليهما بعدم الإلحاح على سعد بن عبادة، فقبلوا مشورته «واستنصحوه لما بدا لهم منه»[2].

وقد قال قيس بن سعد ـ الذي كان مع علي «عليه السلام» ـ للنعمان بن بشير الذي كان مع معاوية في صفين: «..ولعمري لئن شغبت علينا، لقد شغب علينا أبوك»[3].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٥٨ والبحار ج٢٨ ص٣٢٥ وفدك في التاريخ ص٧٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٣٩ وج٦ ص١٠ والدرجات الرفيعة ص٣٢٧ وبيت الأحزان ص٥٧ والسقيفة وفدك ص٦١ وعن الإمامة والسياسة ج١ ص٢٦ والغدير ج٢ ص٨٢.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٥٩ والبحار ج٣٢ ص٥١٨ والإحتجاج ج٢ ص١٤٨ وعن الإمامة والسياسة ج١ ص٢٧.

(٣) صفين للمنقري ص٤٤٩ والبحار ج٣٢ ص٥١٨ ومواقف الشيعة ج١ ص٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج٨ ص٨٨ والدرجات الرفيعة ص٣٤٥ وعن الإمامة والسياسة ج١ ص١٣١.

ولا شك في أن هذا الموقف من بشير بن سعد لم يأت من فراغ، وكان له ممهدات، ونال عليه رشاوى مسبقة، فلعل اتفاق العمرين على تخصيصه بإمارة هذه السرية ـ التي كانت بشائر النصر فيها لائحة ـ كان إحدى هذه الرشاوى الجليلة التي نالها مسبقاً!!

نصرت بالرعب:

ويستوقفنا هنا أيضاً هذا الرعب الذي ظهر من عيينة، واستخرجه منه، وفضحه فيه حليفه الحارث بن عوف، فقد تجلى لكل أحد كيف أهمته نفسه، لأنه كان يظن بالله غير الحق ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾[1].

وقد صدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث يقول: نصرت بالرعب مسيرة شهر[2].

---

(١) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: البحار ج١٦ ص١٧٩ وراجع: ص٣٠٨ و ٣١٧ وج٢٠ ص٢٩ وج٧٧ ص٢٧٧ والمبسوط للسرخسي ج١٥ ص٣ وج٢٣ ص٣ وحاشية رد المحتار ج١ ص٢٤٦ والمغني لابن قدامة ج١ ص٦ والمحلى لابن حزم ج١ ص٦٥ وسبل السلام ج١ ص٩٣ وفقه السنة ج١ ص٧٧ وج٢ ص٦٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٤١ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٠٩ وعوالي اللآلي ج٢ ص١٤ ونور البراهين ج١ ص١٩٧ وعن مسند أحمد ج٥ ص١٤٥ وعن صحيح البخاري ج١ ص٨٦ و ١١٣ وج٤ ص١٢ وعن سنن النسائي ج١ ص٢١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٢١٢ و ٤٣٣ وج٩ ص٤ وعن فتح الباري ج١ ص٣٧٠ وج٦ ص٩٠ وتحفة الأحوذي ج٥ ص١٣٥ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤١١ =

وهكذا ينصر الله تعالى أولياءه، ومنهم الإمام الحجة من آل محمد «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فإن الرعب يسير معه أيضاً[1].

هلا لنفسك كان ذا التعليم:

تقدم: أن الحارث بن عوف قال لعيينة: أما لك أن تبصر ما أنت عليه؟! إن محمداً قد وطئ البلاد، وأنت توضع في غير شيء.

وقد سبق للحارث أن قال لعيينة نفس هذا الكلام، وذلك حين وصل

= ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٤٩ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٣٠٨ ونظم درر السمطين ص٣٩ وعن نصب الراية ج٢ ص٣٧٩ وعن الجامع الصغير ج١ ص١٧٧ وكنز العمال ج١١ ص٤١٢ و ٤٤٠ وعن فيض القدير ج١ ص٧٢٠ وإرواء الغليل ج١ ص٣١٥ والتبيان ج٣ ص١٧ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٤١٤ والتفسير الصافي ج١ ص٣٩١ والتفسير الأصفى ج١ ص١٧٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٠٢ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٢٥٥ وعن أحكام القرآن ج٢ ص٤٩ وعن الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٤٢٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٢٠ و ٥١٨ وج٢ ص٢٦٦ و ٣٣٩ و ٥٤٢ وج٣ ص٥٤٧ وعن فتح القدير ج٥ ص١٩٦ وعن البداية والنهاية ج٣ ص٣٦٤ وج٦ ص١٩٧ و ٢٠٥ و ٢٨٨ و ٣٢٠ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص٢٧٧ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٦١ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢٧١ و ٣١٥ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٢٣٣ و ٤٣٤ ولسان العرب ج١ ص٤٢٠ وج٤ ص٣٨٩ ومجمع البحرين ج٢ ص١٩٣ وتارج العروس ج١ ص٢٧٢ وج٣ ص٢٨٦.

(١) البحار ج٢٨ ص٦٢ وج٥٢ ص٣٤٨ و ٣٥٦ وكامل الزيارات ص٥٤٩ والجواهر السنية ص٢٩٠ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٢ ص٨٨١.

النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، وحاصر حصن النطاة، وسمع الغطفانيون صائحاً يقول: أهلكم، أهلكم بحيفا، فلا تربة، ولا مال.

حيث قال له: يا عيينة، والله لقد غبرت إن انتفعت.

والله إن الذي سمعت لمن السماء.

والله، ليظهرن محمد على من ناوأه، حتى لو ناوأته الجبال لأدرك منها ما أراد الخ..»[1].

وبعد فتح خيبر ـ أيضاً ـ حاول عيينة أن يحصل على بعض الغنائم، فرجع خائباً إلى منزله، فجاءه الحارث بن عوف، فقال له:

«ألم أقل لك: إنك توضع في غير شيء؟!

والله، ليظهرن محمد على من بين المشرق والمغرب.. اليهود كانوا يخبروننا هذا، أشهد لسمعت أبا رافع، سلام بن أبي الحقيق الخ..»[2].

فإذا كان الحارث بن عوف عارفاً بصحة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان على يقين من انتصاره «صلى الله عليه وآله» على أعدائه، وأنه لا فائدة من مناوأته، حتى أصبح يسدي نصائحه مرة بعد أخرى لحليفه عيينة بن حصن، فلماذا لا يبادر ـ الحارث نفسه ـ إلى حفظ نفسه وقومه، وحقن دمه ودمائهم، بإعلان قبوله بالأمر الواقع، واعترافه بما يعلم أنه حق، ويحاول إقناع غيره به؟!

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٠١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٨.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٧٦.

لقد كانت جميع الدلائل متوفرة لديه على لزوم المبادرة إلى ذلك، فإن كان الأمر يتعلق بالآخرة، فقد صرح في النصوص المتقدمة، وفي أقواله لعيينة في حرب خيبر: بأن هذا النبي مؤيد من السماء، وأن اليهود أخبروه بأنهم يجدون في كتبهم ما يدل على صحة نبوته «صلى الله عليه وآله»..

وإن كان الأمر يتعلق بالدنيا، فقد صرح في كلامه لعيينة في خيبر: بأنه لا فائدة من مناوأة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

كما أنه قدم له في هذه المرة الأخيرة شرحاً وافياً، من شأنه أن يقنع عيينة وسواه بأنه يوضعُ في غير شيء..

وذكر له: أن الأحداث التي جرت لبني النضير، وفي الخندق، وقريظة، وقينقاع، وخيبر هي أدلة دامغة على صحة ما يدعوه الحارث إليه.

بل هو يتوقع: أن يوقع النبي «صلى الله عليه وآله» بقريش أيضاً في الوقت المناسب، ولا يجد من عيينة أي اعتراض على ذلك كله..

فلماذا لا يبادر إلى العمل بما كانت المصلحة له ولقومه ظاهرة فيه، بحسب ما يؤمن به ويعتقده؟

ومما يزيد هذه المفارقة وضوحاً: أنه استطاع أن يقنع عيينة بما يراه ويعتقده، حتى لقد اتَّعدا على الهجرة، وإعلان إسلامهما، ولكن فروة بن هبيرة يفسد هذا الاتفاق بكل سهولة وبساطة، حيث اكتفيا بمجرد وعد منه بأن يأتيهما بما تفكر فيه قريش، التي أصبحت معزولة ومحاصرة في محيطها، وقد فشا الإسلام فيها، ولم تعد قادرة على منع المسلمين من ممارسة شعائرهم وحرياتهم حتى في داخل مكة بالذات..

هذا.. وقد تأخر إسلام الحارث بن عوف، ولم يفلح في التشرف

بالإسلام، حتى بعد أن سقطت مقاومة قريش، وفتحت مكة، وجرى ما جرى في حنين، وغيرها، إلى أن كانت غزوك تبوك[1].

إن ذلك كله، لا يمكننا تفسيره، ولا يتسنى لنا تصديقه إلا على قاعدة التعرض للخذلان الإلهي وحجب الألطاف عنه، رغم أن هذا المنقول عنه يشير إلى أنه لم يكن ينقصه عقل ودراية، ولا أثر فيه للتسرع، أو للحمق، والرعونة..

أعاذنا الله من سيئات أعمالنا، وشرور أنفسنا، إنه ولي قدير..

موانع من إسلام عيينة:

وأما ما تذرع به عيينة بن حصن، واعتبره مبرراً لصدوده عن الإسلام، فهو ينبئ عن المزيد من الرعونة والحمق، وسوء التقدير للأمور. ويكفي أن نتذكر قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه: هذا الأحمق المطاع[2].

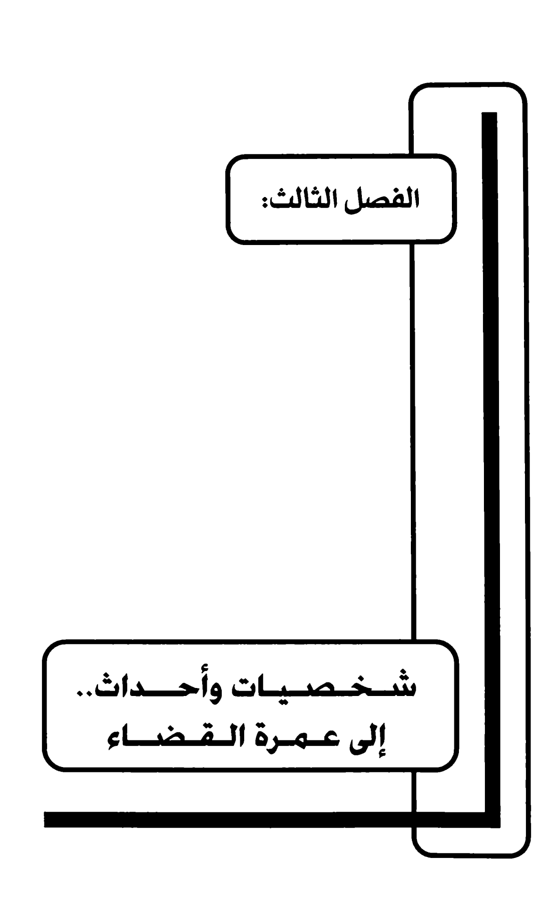
---

(١) راجع: الإصابة ج١ ص٦٨٣.

(٢) الإصابة ج٣ ص٥٤ عن سعيد بن منصور، والطبراني، وشرح الأخبار ج١ ص٢٩١ والبحار ج١٧ ص٢٠٤ وج١٩ ص١٤٧ وج٢٢ ص٦٤ وج٦٩ ص٢٨٢ وعن فتح الباري ج١٠ ص٣٧٨ وج١٣ ص٢١٨ و ٢٥٣ وتأويل مختلف الحديث ص٢١٨ وتفسير القمي ج١ ص١٤٧ وعن تفسير مجمع البيان ج٣ ص١٥٤ والتفسير الصافي ج١ ص٤٨٢ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٢٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٣٠ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٥٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣١٠ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٦٧ و ٥٤٣ وكتاب المحبر ص٢٤٩ وتاريخ المدينة ج٢ ص٥٣٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٩ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق١ ص٣٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٦ وشرح أصول الكافي ج٩ ص٣٦٥.

فهو قد علل صدوده عن الإسلام: بأنه لا يريد أن يصير تابعاً، وأن الذين سبقوه إلى الإسلام سوف يُزرون عليه؛ بأنهم شهدوا بدراً وغيرها دونه، وبأن نفسه تأبى ذلك..

فاسمع، واعجب، ممن يبيع آخرته بأوهام دنيوية، فإنك ما عشت أراك الدهر عجباً..



الفصل الثالث:

شخصيات وأحداث.. إلى عمرة القضاء

الفصل الثالث

قتل شيرويه:

وذكروا: أن شيرويه قتل أباه في سنة سبع، في ليلة الثلاثاء، لعشر مضين من جمادى الآخرة، أو جمادى الأولى.

وروي أنه لما قتله لم يستقم له الأمر حتى قتل سبعة عشر أخاً له، ذوي أدب وشجاعة، فابتلي بالأسقام، فبقي ثمانية أشهر، أو ستة، ثم مات، وعمره اثنتان وعشرون سنة[1].

وكان «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بأن كسرى سيقتل في هذا الوقت، فكانوا ينتظرون هذا الأمر. فلما بلغهم وقوع ما أخبر به «صلى الله عليه وآله» أسلم باذان، وأسلم الأبناء من فارس، الذين كانوا باليمن.

وبعث «صلى الله عليه وآله» إلى باذان بنيابة اليمن كلها[2].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٢٩٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٠ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص١٦ والبحار ج٢٠ ص٣٩١ وج٢١ ص٤٥ وعمدة القاري ج٢ ص٢٨ وج١٨ ص٥٨ وفتح الباري ج٨ ص٩٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٦٥٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٧ وتحفة الأحوذي ج٦ ص٤٤٧ والأخبار الطوال للدينوري ص١١٠.

(٢) راجع في ذلك: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٣٢ عن رسالات نبوية ص٩٤ =

ونقول:

١ ـ ذكروا: أنه لما سمع المنتصر أباه المتوكل العباسي يشتم فاطمة الزهراء «عليها السلام»، سأل رجلاً من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر.

قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لي عمر.

فقتله، وعاش بعده سبعة أشهر(1).

ومن الواضح: أن المنتصر العباسي قد سأل عن أمر لا يعرفه البشر بالوسائل العادية، بل يحتاج إلى النقل، والبيان عن الله تعالى.

وهذا معناه: أن المجيب كان مطَّلعاً على الغيب، عارفاً به، وليس هو إلا الإمام المعصوم من أهل البيت «عليهم السلام»، أو من أخذ عنه..

٢ ـ إذا كانت الحكمة الإلهية تقضي بأن لا يطول عمر من قتل أباه ـ حتى لو قتله بحق ـ أكثر من أشهر معدودة، فذلك معناه: أن الله تعالى يريد للولد القاتل أن يفهم: أن ما فعله، إن كان مرضياً له تعالى، فسيكون

= وشذرات الذهب ج١ ص١٥ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٨ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٦٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٤٥ وعمدة القاري ج٢ ص٢٩ وج٢٥ ص٢٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٣٥ ومجموعة الوثائق السياسية ص١٩٥.

(1) راجع: البحار ج٤٥ ص٣٩٦ و ٣٩٧ وعن الأمالي للطوسي ص٣٣٧ والعوالم ص٧٢٦ وعن مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٢١ وراجع: الغدير ج٣ ص٤١ وشجرة طوبى ج١ ص١٥٧ والمجدي في أنساب الطالبيين ص٣٧٢ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٧٩.

موته في هذه المدة اليسيرة لطفاً به، ورحمة له منه تعالى، وفيه إبعاد له عن أجواء كريهة، لو استمر يعيش قريباً منها فربما تؤثر على حالته الروحية والإيمانية، وتتسبب له بما لم يكن في حسبانه.

ومما يدل على ذلك: أن المنتصر حسب ما ورد في الروايات كان في وضع صعب، وكان إذا جلس إلى الناس يتذكر قتله لأبيه فترتعد فرائصه[1].

ولعل لابن السكيت الفضل في تربية المنتصر على حب أهل البيت «عليهم السلام»، فإنه كان مؤدِباً لأولاد المتوكل، وقد قتله المتوكل لأجل تشيعه، وقصته مشهورة.

أما إذا كان هذا القتل من موجبات سخط الله تعالى، فإن وضع هذه السنة وإجراءها من شأنه أن يؤثر في الردع عن الإقدام على مثل هذه الجريمة، ويكون ذلك تقوية لدرجة حصانة المجتمعات من الوقوع في مآزق ومزالق كبيرة وخطيرة.

جبلة بن الأيهم:

قالوا: وفي سنة سبع كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جبلة بن الأيهم، ودعاه إلى الإسلام، فلما وصل إليه الكتاب أسلم، وكتب جواب كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأعلمه بإسلامه، وأرسل الهدية، وكان ثابتاً على إسلامه إلى زمان عمر بن الخطاب[2].

---

(١) راجع: الأعلام ج٦ ص٧٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٦١ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٠٥ وفي هامشه عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٦٥ ومجموعة الوثائق =

وهناك من يزعم: أنه أسلم في زمن عمر، وأنه قاتل المسلمين في دومة الجندل سنة ١٢ هـ. وحضر وقعة اليرموك سنة ١٥هـ وهو على مقدمة عرب الشام في الجيش الموالي للروم، ثم قدم على عمر فأسلم، أو أنه أسلم، ثم قدم عليه..

ثم قالوا: إنه في نفس سنة إسلامه قدم مكة للحج، وحين كان يطوف في المطاف وطأ رجل من فزارة إزاره فانحل، فلطم الفزاريَّ لطمة هشم بها أنفه، وكسر ثناياه، فشكاه الفزاري إلى عمر، واستغاثه، فطلب عمر جبلة، وحكم بأحد الأمرين، إما العفو، وإما القصاص.

قال: جبلة: أتقتص له مني سواء، وأنا ملك، وهو سوقي؟!

قال عمر: الإسلام ساوى بينكما، ولا فضل لك عليه إلا بالتقوى.

قال: والله، لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

قال عمر: هو ذاك.

قال: فإن كنت أنا وهذا الرجل سواء في هذا الدين فسأتنصَّر.

قال عمر: إذاً أضرب عنقك.

قالوا: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة، فكادت تكون فتنة..

قال: فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري.

فلما كان الليل ركب في بني عمه، وهرب إلى قسطنطينية، وتنصر

= السياسية ص١٢٧ وعن إمتاع الأسماع، وعن اليعقوبي ج٢ ص٦٧ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٨٥ والمنتظم ج٤ ص٧ وأسد الغابة ج٢ ص٣٨٦ ترجمة شجاع بن وهب، وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٣٢ وكتاب المحبر ص٣٧٢ والنصائح الكافية ص٢٠٤.

هناك، ومات مرتداً[1].

قالوا: «وبعض أهل الإسلام على أن جبلة عاد إلى الإسلام، ومات مسلماً»[2].

وله شعر يظهر فيه حسرته، وألمه البالغ مما جرى، فهو يقول:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

زاد في الأغاني قوله:

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

أدين بما دانوا به من شريعة ... وقد يحبس العود الضجور على الدبر[3]

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦١ والوافي بالوفيات ج١١ ص٥٣ وأشار في هامشه إلى: المحبر ص٢٧٦ و ٣٧٢ والمعارف ص٢٥٦ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٥ ص٥٧ والإستيعاب ج١ ص١٢١ ومعجم البلدان ج٣ ص٢٤٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٤٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٧٤ والإصابة ج٢ ص٦٤ وطرفة الأصحاب ص٢١ والأعلام ج٢ ص١٠٢ انتهى. والعقد الفريد (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٥٦ ـ ٦٢ وراجع ج١١ ص١٩ (هامش).

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٦١.

(٣) النص والإجتهاد ص٣٦٠ والوافي بالوفيات ج١١ ص٥٦ والعقد الفريد ج٢ ص٦١ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٥ ص١٦٢ و ١٦٣ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٦٥ ومعجم البلدان ج٣ ص٣١٤ وعن البداية والنهاية ج٨ ص٧١ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٢٨٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٨٣.

وفي نص آخر عن ابن الكلبي: أن الفزاري لما وطئ إزار جبلة لطم جبلة كما لطمه، فوثبت غسان فهشموا أنفه، وأتوا به إلى عمر.. ثم ذكر باقي الخبر(١).

وذكر الزبير بن بكار: أن جبلة قدم على عمر في ألف من أهل بيته فأسلم. وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام، فسب المديني، فرد عليه، فلطمه جبلة، فلطمه المديني، فوثب عليه أصحابه، فقال: دعوه حتى أسأل صاحبه، أنظر ما عنده.

فجاء إلى عمر، فأخبره، فقال: إنك فعلت به فعلاً، ففعل بك مثله.

قال: أوليس عندك من الأمر إلا ما أرى؟

قال: لا، فما الأمر عندك يا جبلة؟

قال: من سبنا ضربناه، ومن ضربنا قتلناه.

قال: إنما أنزل القرآن بالقصاص.

فغضب، وخرج بمن معه، ودخل أرض الروم، فتنصَّر، ثم ندم(٢).

ونقول:

لا شك في أنه كان بإمكان عمر أن يراعي حال هذا الرجل، ويعالج القضية بحكمة ورويَّة، ويستوهب من الفزاري لطمته، وينتهي الأمر.

ويتأكد لزوم ذلك إذا صح أن جبلة قد أسلم لتوِّه، ولم يتعرف بعد على أحكام الإسلام، ولا يزال يعيش زهو الملك، ونخوة السلطان..

---

(١) الأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٥ ص١٥٩.

(٢) الأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٥ ص١٥٩ و ١٦٠.

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغمض النظر عما يرتكبه أصحابه عن جهل، ونحوه، مما يمكن أن يعتبر شبهة تدرؤ عنهم العقوبة.

ويتأكد وجود الشبهة التي تدرؤ الحد، بادعاء جبلة: أن الفزاري قد تعمد أن يطأ إزاره[1]. وأن يكشف عورته.

وأن ذلك الفزاري لطم جبلة أيضاً..

وأن الذين ضربوا الفزاري هم الناس الذين كانوا مع جبلة نفسه.

وإذا صح: أن الفزاري لطم جبلة مقابل لطمته له، وكذا إذا كانت الرواية الأخيرة هي الصحيحة، فذلك يؤكد على أنه كان ينبغي الرفق به في مقام تعريفه بالأحكام، والمبادرة إلى تطييب خاطره، والتأني في بيان الأمر له..

ملاحظة للسيد شرف الدين رحمه الله:

وقد سجل العلامة العلم السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» ملاحظة على صنيع عمر بجبلة بن الأيهم، مفادها مع مزيد من التوضيح والتأييد: أن عمر بن الخطاب أراد أن يسوم عز جبلة الخسف، وأن يجدع منه الأنف، بعد أن وفد عليه بأبهة الملوك، وجلال السلطان.

ونحن نزيد في توضيح هذا الأمر، كما يلي:

يقولون: إن جبلة كان قد كتب إلى عمر يعلمه بإسلامه، ويستأذنه في الوفود عليه، فكتب إليه عمر: أن أقدم، فلك ما لنا، وعليك ما علينا.

فقدم في خمس مائة فارس من عدد جفنة (وقيل: بألف فارس)، فلما دنا

---

(١) الأغاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج١٥ ص١٦٢.

من المدينة ألبسهم الوشي المنسوج بالذهب، والحرير الأصفر، وجلل الخيل بجلال الديباج، وطوَّقها بالذهب والفضة، ولبس جبلة تاجه، وفيه قرطا مارية ـ وهي جدته ـ فلم يبق في المدينة أحد إلا خرج للقائه، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه.

ثم حضر الموسم من عامه ذلك. فبينما هو يطوف إذ وطئ رجل فزاري الخ..»[1].

وقال في نص آخر ذكره أبو الفرج: «ودخل المدينة، فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا تبرجت، وخرجت تنظر إليه، وإلى زيه. فلما انتهى إلى عمر رحب به، وألطفه، وأدنى مجلسه.

ثم أراد عمر الحج، فخرج معه جبلة، فبينما هو يطوف بالبيت، وكان مشهوراً بالموسم، إذ وطأ إزاره رجل من فزارة الخ..»[2].

فهذا العز، والجلال، وهذه الشهرة، وذلك الاستقبال الذي حظي به جبلة، لم يكن ليتحمله عمر، أو يروق له، وهو الذي ضرب شاباً (ابناً له) بدرته حتى أبكاه، لمجرد أنه رآه يلبس ثياباً حسنة، فسألته حفصة عن سبب ذلك، فقال: إني رأيته قد أعجبته نفسه، فأحببت أن أصغرها إليه[3].

وأقبل الجارود العامري، وعمر قاعد والناس حوله، فقال رجل: هذا

---

(١) الوافي بالوفيات ج١١ ص٥٣ والعقد الفريد ج٢ ص٥٦ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٥ ص١٥٨.

(٢) الأغاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج١٥ ص١٥٨.

(٣) تاريخ الخلفاء ص١٣٣ الغدير ج٦ ص١٥٧ والمصنف للصنعاني ج١٠ ص٤١٦ وكنز العمال ج١٢ ص٦٦٨ وعمر بن الخطاب للبكري ص٣٦٣.

سيد ربيعة، فسمعها عمر ومن حوله، وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فسأله الجارود عن السبب.

فقال له عمر: ما لي ولك؟ لقد سمعتها!

قال: وسمعتها!! فمه؟

قال: خشيت أن تخالط القوم.

ويقال: هذا أمير.

وفي لفظ: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطأطئ منك[1].

ودخل عليه معاوية وعليه حلة خضراء، فنظر إليه الصحابة، فقام إليه عمر، وجعل يضربه، فلما سئل عن ذلك، قال: «رأيته ـ وأشار بيده إلى فوق ـ فأردت أن أضع منه ما شمخ»[2].

وقد فعل بضبيع التميمي الأفاعيل حتى أسقطه في الناس، وعاش ذليلاً وضيعاً في قومه حتى هلك، مع أنه كان سيد قومه، وذلك لمجرد أنه كان يسأل عن معنى بعض الآيات[3].

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٨٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٧٣ وج١٨ ص٢٣٣ والغدير ج٦ ص١٥٧ وتاريخ المدينة ج٢ ص٦٩٠ وعمر بن الخطاب ص٢٥١ وكنز العمال ج٣ ص٨٠٩.

(٢) البداية والنهاية (حوادث سنة ٦٠) ج٨ ص١٢٥ والإصابة ج٣ ص٤٣٤ والغدير ج٦ ص١٥٨.

(٣) راجع: سنن الدارمي ج١ ص٥٤ و ٥٥ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٧ والإتقان ج٢ ص٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص١٠٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٣ ص٤١١ ومختصر تاريخ دمشق ج١١ ص٤٦ وعن =

وحين رأى جمال نصر بن الحجاج ـ وهو من بني سليم ـ نفاه عن أهله إلى البصرة، من دون ذنب جناه، سوى أن عمر كان يعس بالليل، فسمع امرأة تقول:

هـل من سبيـل إلى خمـر فأشربهـا   أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج[1]

فقال عمر: لا أرى معي في المدينة رجلاً تهتف به العوائق في خدورهن.

وكذلك فعل بأبي ذؤيب، وهو من بني سليم أيضاً[2].

= تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٣٢ وكنز العمال ج٢ ص٣٣١ وراجع ص٣٣٤ عن الدارمي، ونصر المقدسي، واللالكائي، وابن عساكر، وابن الأنباري، والإصبهاني، والفتوحات الإسلامية ج٢ ص٤٤٥ والدر المنثور ج٦ ص١١١ و ٣١٧ وعن فتح الباري ج٨ ص٢١١ وج١٣ ص٢٧٢ وإحياء علوم الدين ج١ ص٢٨ والصراط المستقيم ج٣ ص١٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٤٢ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٧٣.

(١) الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢٧ ـ ٣٠ وراجع ج٣ ص٥٣ و ٥٩ ووضوء النبي ج١ ص٣٨ وفقه السنة ج٢ ص٢١٢ ولسان العرب ج١٥ ص٢٩٤ وتاج العروس ج١١ ص٣٥٠ وعن كتاب سليم بن قيس ص٢٣٠ والبحار ج٣١ ص٢١ و ٢٣ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٥٣ وعن النص والإجتهاد ص٣٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢٧٥ وج٦٢ ص٢٠ ـ ٢٣ وعن أسد الغابة ج١ ص٣٧١ وج٦ ص٣٨٢ والأعلام ج٨ ص٢٢ وتاريخ المدينة ج٢ ص٧٦٣ وعن البداية والنهاية ج٩ ص١٣٨ والكنى والألقاب ج١ ص٢٥٨ وغريب الحديث ج٢ ص٢٢٣ والنهاية في غريب الحديث ج٤ ص٣٦٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٣٠ و٣١ والبحار ج٣١ ص٢٤ ومناقب آل البيت للشيرواني.

هذا بالإضافة إلى تشدده على سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، ولعل السبب هو ما كان يلمسه فيهما من قوة، ومن اعتداد بنفسيهما[1].

وربما يكون هذا بالذات هو ذنب جبلة، الذي كان يعيش عزة الملك، وزهو السلطان وعنفوانه..

ولكن عمر كان رؤوفاً بالمغيرة بن شعبة، متأنياً في أمره، ساعياً في إبعاد شبح تعرضه لإقامة حد الزنى عليه[2]..

وما ذلك إلا لأن المغيرة كان على حد تعبير السيد شرف الدين: «أطوع لعمر من ظله، وأذل من نعله، وكانت سياسته تقضي إرهاب الرعية، بالتشديد على من كان عزيزاً كجبلة، وخالد.

وربما أرهبهم بالوقيعة بذوي رحمه، كما فعله بابنه أبي شحمة[3]، وبأم فروة

---

(١) راجع: النص والإجتهاد (ط سنة ١٤٠٤ هـ) ص٣٦٣ و ٣٦٤.

(٢) راجع: مستدرك الحاكم ج٣ ص٤٤٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه، والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٣٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢٣٤ ـ ٢٣٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٨١ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٥٩ وعمدة القاري ج٦ ص٣٤٠ وفتوح البلدان للبلاذري ص٣٥٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٦٠٩ وعن الأغاني ج١٦ ص٩٤ و ١٠٠ و ١٠٩ ووفيات الأعيان ج٦ ص٣٦٤ وكنز العمال ج٥ ص٤٢٣.

(٣) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٩٤ والرياض النضرة ج٢ ص٣٠١ والإصابة ج٣ ص٧٢ وعن تاريخ الأمم والملوك (حوادث سنة ١٣) ج٣ ص٥٩٧، وإرشاد الساري ج٩ ص٤٣٩ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٢١٣ والعقد الفريد ج٦ ص٢٦٥ وتاريخ بغداد للخطيب ج٥ =

أخت أبي بكر[١]، وبمن لا فائدة له به، ممن لا يكون في عير السياسة ولا في نفيرها، كما فعله بجعدة السلمي[٢]، وضبيع التميمي، ونصر بن حجاج، وابن عمه أبي ذؤيب الخ..»[٣].

وقال رحمه الله أيضاً: «ليت الخليفة لم يحرج هذا الأمير العربي وقومه، ولو ببذل كل ما لديه من الوسائل إلى رضا الفزاري، من حيث لا يدري ذلك الأمير، أو من حيث يدري. وهيهات أن يفعل عمر ذلك»[٤].

تأييد عودة جبلة إلى الإسلام:

وأما بالنسبة لما قيل: من أن جبلة بن الأيهم قد عاد إلى الإسلام، فربما يمكن تأييده، بشعره المتقدم، وبتصريحات أخرى منقولة عنه، تدل على ندمه

= ص٤٥٥ عن الكامل في التاريخ (حوادث سنة ١٤) ج٢ ص١٢٤.

(١) راجع: كنز العمال ج١٥ ص٧٣٢ والإصابة ج٦ ص٤٢٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٨١ والبحار ج٣١ ص٣٢ والغدير ج٦ ص١٦١ وأضواء على الصحيحين ص٤٢٨ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٥٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج٣ ق١ ص٢٠٥ والإصابة ج١ ص٢٦١ عن الآمدي، وابن عساكر، وعن فتح الباري ج١٢ ص١٤١ ولسان العرب ج٤ ص١٨.

وذكروا: أنه ضربه مائة ونفاه إلى عمان لمجرد: أنه قرأ شعراً لبعض الناس يتهمه فيه بمغازلة النساء. وحتى لو صح ذلك عنه، فإن عقوبته ليس فيها النفي، ولا جلد مائة!!

(٣) النص والإجتهاد (ط سنة ١٤٠٤ هـ ق) ص٣٦٠ و ٣٦١ والموارد الثلاثة الأخيرة ذكرنا مصادرها، فراجع. وراجع: تاريخ المدينة ج٢ ص٧٦٢.

(٤) النص والإجتهاد (ط سنة ١٤٠٤ هـ) ص٣٦٠.

على ما فرط منه.

ويمكن تأييد ذلك أيضاً: بما ذكروه من أن رسولاً كان عمر أرسله إلى هرقل دخل على جبلة، فأجلسه على سرير قوائمه من الذهب، فانحدر عنه، فقال: له جبلة: «لم تأبى الكرامة التي أكرمناك»؟!

قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهى عن هذا.

قال: نعم، «صلى الله عليه وآله»، ولكن نقِّ قلبك من الدنس، ولا تبال على ما قعدت.

قال ذلك الرسول: فلما صلى على النبي «صلى الله عليه وآله» طمعت به، فقلت..

إلى أن قال: قلت: «إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهى عن الأكل في آنية الذهب، والفضة.

قال: نعم، «صلى الله عليه وآله»، ولكن نقِّ قلبك، وكل فيما أحببت الخ..»[1].

بل ربما يستظهر من بعض الروايات أن ابنة جبلة كانت مسلمة أيضاً..

فقد رووا: حرصها على انتصار المسلمين على الروم، وإعلان فرحها بذلك في مقابل بنت هرقل، التي كانت تظهر الفرح بانتصار الروم.

فقد زعموا: أن جيشاً غزا القسطنطينية في زمن معاوية، فكان هناك قبتان مبنيتان، عليهما ثياب الديباج؛ فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من

---

(١) راجع: الوافي بالوفيات ج١١ ص٥٤ والعقد الفريد ج٢ ص٥٨ والأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٥ ص١٦٠ و ١٦١.

إحداهما أصوات الدفوف، والطبول والمزامير.

وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى مثل ذلك..

وكانت الأولى بنت جبلة بن الأيهم، والثانية بنت ملك الروم، فكانت كل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها»[١].

ومن الواضح: أن كلمة «عشيرتها» غير دقيقة، لأن حمية الدين هي الأقوى، فلو كانت بنت جبلة تدين بالنصرانية، فلا يتوقع منها هذا الفرح بانتصار من هم على غير دينها. ومجرد كونهم من عشيرتها لا يبرر ذلك منها.

فلعلها كانت تتظاهر بالعصبية العشائرية للتستر على الدافع الحقيقي لهذا الفرح، وهو أنها تبطن الحب للإسلام، والولاء لأهله..

جبلة يعطي الزكاة لا الجزية:

وذكر اليعقوبي: أنه لما أتى عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس، وعاد منها قاصداً المدينة: «أتاه جبلة بن الأيهم، فقال له: تأخذ مني الصدقة، كما تصنع بالعرب.

قال: بل الجزية، وإلا فالحق بمن هو على دينك.

فخرج في ثلاثين ألفاً من قومه حتى لحقوا بأرض الروم. وندم عمر على ما كان منه في أمره»[٢].

ونقول:

إن هذا النص يستحق الدراسة لفهم مرماه، ومغزاه، فإذا كان جبلة قد

---

(١) الأغاني (ط دار الكتب العلمية) ج١٧ ص٢١٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٤٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص١٨٣.

أسلم قبل هذه الحادثة، في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» مثلاً، فلماذا يريد عمر منه الجزية؟!

وإن كان لم يسلم، فلماذا يعرض على عمر أن يعطيه الصدقة، التي هي الزكاة؟!

ألا يدل هذا على أن جبلة كان مسلماً آنئذٍ؟!

وحين يعرض على عمر أن يعطيه الصدقة، ألا يفترض في الخليفة الاستفهام عن سرّ هذا العرض؟!

ولماذا يأبى إلا أن يعتبره كافراً؟!

وإلَّا أن يفرض عليه الجزية؟!

ولماذا يطرده من بلاد المسلمين بهذه الطريقة، التي تحمل معها المهانة والاستخفاف؟!

وإذا كان يعلم أن لجبلة أنصاراً بهذا الحجم ـ ثلاثين ألفاً ـ فلماذا يفرِّط بكل هذا الجمع، ويرسلهم إلى عدو المسلمين، ليتقوى بهم في حربه للإسلام والمسلمين؟!

وإذا كان يعتقد أنه نصراني حقاً، فلماذا لا يخيِّره بين الجزية والحرب؟!

ألم يكن هذا هو الأوفق بالموقف الإسلامي من محارب يرفض الانصياع للحكم الإلهي؟!

ويبقى سؤال هو: ألا تتناقض هذه الرواية مع ما تقدم، مما دل على أن سبب لحوقه بالروم، وتنصُّره هو قصته مع الفزاري في الطواف، ثم قضاء عمر عليه.

ويمكن الجواب: بأن من الممكن أن تكون الأسباب التي دعته إلى ذلك قد اجتمعت، وتضافرت، حتى كان آخرها ما جرى له في مكة..

وصول هدايا المقوقس:

وفي سنة سبع وصلت هدية المقوقس ملك الإسكندرية ومصر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومن جملتها فرس اسمه اللزار، وبغلة يقال لها: دلدل، وحمار يقال له: يعفور، وثياب، ومثاقيل من الذهب، ومارية، وسيرين، وجاريتان أخريان، وجريج، وخصي اسمه مأبور، وغير ذلك(١).

فأسلمت مارية وأختها قبل الوصول إلى المدينة، وأسلم الخصي في المدينة(٢)، وولدت مارية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» إبراهيم، كما سنبينه في موضعه إن شاء الله تعالى.

قيمة الهدايا:

إن الهدية دليل احترام، وعنوان تقدير وتكريم، فإذا كانت من الملوك إلى أمثالهم، فهي على نحوين:

أحدهما: أن تكون دليل رغبة بالسلام، وتجنب الدخول في الصدام، والبقاء على درجة من التوافق والوئام، والإعلان عن حسن النوايا حسبما تقتضيه ظروف مرسل الهدية، ونرى أن هدايا المقوقس كانت تسير في هذا الاتجاه حسبما أوضحناه حين الحديث عن مراسلته «صلى الله عليه وآله»

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٦٢ والبحار ج٢١ ص٤٥ وص٤٧ و ٤٨ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٢٤ ـ ٤٢٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١١ وج٥ ص٣٢٤ و ٣٥٠ وج٧ ص٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٥.

(٢) راجع: البحار ج٢١ ص٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢١٢ والإصابة ج٨ ص٣١١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٧.

للملوك، ومنهم المقوقس.

الثاني: أن يكون الدافع للهدية: الصداقة، والوفاء، والمحبة والإخاء، والإعراب عن الطاعة والإيمان، والولاء..

ولعل تفسير هدايا النجاشي بهذه المعاني أليق، وهي بها أوفق. كما يظهر من كثير من الأمور التي عبرت عن حب النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإيمانه، وطاعته له، ومنها فرحه بانتصار النبي «صلى الله عليه وآله» في حرب بدر، وإصداق أم حبيبة، وغير ذلك..

هدايا متبادلة:

وقد أرسل النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بمناسبة زواجه بأم حبيبة «قميصاً وسراويل، وعطافاً، وخفين ساذجين»[1].

وروى الكليني: أنه أهدى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حلة قيمتها ألف دينار، فكساها علياً «عليه السلام»، فتصدق بها[2].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٦ وج٢ص٦٦٠ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٧٨.

(٢) راجع: الكافي ج١ ص٢٨٨ و ٢٨٩ الحديث رقم ٣ والوسائل ج٣ ص٣٤٩ وج٦ ص٣٣٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٨٤ والتفسير الصافي ج٢ ص٤٤ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٨١ ونور الثقلين ج١ ص٦٤٣ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١١٦ وتأويل الآيات ج١ ص١٥٣.

تصحيح اشتباه:

وأما قول الطبرسي: «ثم بعث إلى الرسول بهدايا، وبعث إليه بمارية القبطية، أم إبراهيم، وبعث إليه بثياب وطيب كثيرة، وفرس»[1].

فالظاهر: أنه قد جاء على سبيل الاشتباه.

فإن مارية كانت من هدايا المقوقس ملك الإسكندرية، كما نص عليه عامة المؤرخين الذين تعرضوا لسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وليست من هدايا النجاشي.

المقابلة بالمثل:

هذا.. وقد بادله رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا الأمر، فأرسل مستقة من سندس ـ كان ملك الروم قد أهداها إليه «صلى الله عليه وآله» ـ

---

(١) راجع: البحار ج١٨ ص٤١٦ و ٤١٨ و ٤١٩ وج٢١ ص١٩ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٧٠ وج٩ ص٥٠٢ وج١٠ ص٤٩٧ وتفسير القمي ج١ ص٨٦ و ١٧٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٢٢ ولكنه ذكر في ص٢٠٩ أنها من هدايا المقوقس، والتفسير الصافي ج٢ ص٧٩ ونور الثقلين ج١ ص٦٦٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٥٧ وإعلام الورى ج١ ص١١٩ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٢٢ والبرهان للبحراني ج١ ص٤٩٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٢ عن بعض من تقدم، وعن البداية والنهاية ج٣ ص٧٨ وعن الأموال ص٣٤ وطبقات المحدثين بإصبهان ج٢ ص٢٧٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ق٢ ص٤٦٦.

إلى جعفر بن أبي طالب، وقال له: ابعث بها إلى أخيك النجاشي[١].

وليلاحظ: وصفه «صلى الله عليه وآله» النجاشي بأنه أخو جعفر.

موت النجاشي:

وذكروا: أن النجاشي توفي قبل الفتح[٢] في السنة الثامنة، أو السابعة، بعد عودة جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى المدينة[٣].

وقيل: بل توفي في شهر رجب في السنة التاسعة[٤].

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى ج١ ص٤٥٧ ونيل الأوطار ج٢ ص٧٤ وفقه السنة ج٣ ص٤٨٠ ومسند أحمد ج٣ ص٢٢٩ و ٢٥١ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٥٨ وعون المعبود ج١١ ص٦٤ ومسند أبي داود ص٢٧٤ ومسند أبي يعلى ج٧ ص٦٠ والكامل لابن عدي ج٥ ص١٩٨ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٩٨ ولسان العرب ج١٠ ص٣٤٣.

(٢) الإصابة ج١ ص١٠٩ وأسد الغابة ج١ ص٩٩ والكافي ج٢ ص١٢١ والأمالي للمفيد ص٢٣٨ والبحار ج٦٩ ص١٢٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٧ ـ ٤٣٩ وعن فتح الباري ج٧ ص١٤٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج٦ ص٣٢.

(٤) راجع: الإصابة ج١ ص١٠٢ و ١٠٨ و ١٠٩ والأقول المتقدمة في مكاتيب الرسول (ط سنة ١٤١٩ هـ) ج٢ ص٤٣٨ عن المصادر التالية: الكامل ج٢ ص٢٩٣ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٠ والطبري أيضاً، وكذا في مرآة الجنان لليافعي في حوادث السنة التاسعة والبحار ج٢١ ص٣٦٨ وابن خلدون ج٢ ص٨٢٦ وزاد المعاد ج٣ ص٦٠ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٦٩ =

وقد بكى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعن علي «عليه السلام» قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أتاه جبرئيل بنعي النجاشي بكى بكاء حزين عليه، وقال: إن أخاكم أصحمة مات.

ثم خرج إلى الجبانة، وصلى عليه، وكبر سبعاً. فخفض له كل مرتفع، حتى رأى جنازته، وهو بالحبشة[1].

زاد في رواية أخرى عن قتادة وجابر: أن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ..﴾[2] نزل في النجاشي..

فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني حبشي، ولم يره قط وليس على دينه، فنزلت هذه الآية.

وجاءت الأخبار من كل جانب: أنه مات في تلك الساعة. وما علم هرقل بموته إلا من تجار رأوا بالمدينة[3].

= وعمدة القاري ج١٧ ص١٥ وفتح الباري ج٧ ص١٤٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٧ وعيون الأثر ج٢ ص٣٥٨ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٨.

(١) راجع: الخصال ج٢ ص٣٥٩ و ٣٦٠ باب السبعة حديث رقم ٤٧ وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص١٤٦ ومجمع البيان (ط سنة ١٣٧٩ هـ) ج٢ ص٥٦١ والكشاف (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ج١ ص٤٥٩ والأقطاب الفقهية ص٦٥ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٤٨٠ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٥٢ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٩٦ والبحار ج١٨ ص٤١٨ وج٧٥ ص٣٤٦ ومسند الإمام الرضا ج٢ ص٤١٧ و ٤٩٠.

(٢) الآية ١٥٩ من سورة النساء.

(٣) راجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٤٦ ومجمع البيان ج٢ ص٥٦١ والبحار =

وفي نصوص أخرى ذكرها أهل السنة: أنه «صلى الله عليه وآله» كبر على النجاشي أربعاً[1]، ومنه استفاد أهل السنة ما يعرف عندهم بصلاة الغائب، أي أنهم يصلون على الميت وهو في بلد آخر.

وحديث الصلاة على النجاشي، ونزول الآية المباركة فيه مذكور في عشرات من المصادر[2].

ونقول:

إن ما ذكروه حول عدد التكبيرات، وحول الصلاة على الميت الغائب لا يصح: ونوضح ما نرمي إليه كما يلي:

= ج١٨ ص١٣٠.

(١) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٥ و ٤٩ السنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦٤٠ وصحيح البخاري ج٢ ص٧٢ و ٨٨ و ٩١ وج٤ ص٢٤٦ وصحيح مسلم ج٣ ص٥٤ وتنقيح المقال ج١ ص١٥٠ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ وتبيان الحقائق ج١ ص٢٤١ والبحر الرائق ج٢ ص٩٧ و ٩٨ والهداية في شرح البداية ج١ ص٩٢ والأصل ج١ هامش ص٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي ج٢ ص٦٣ وسنن النسائي ج٤ ص٧٠ و ٧٢ وتلخيص الحبير ج٥ ص١٦٥ وأحكام الجنائز ص١١١ وشرح مسلم ج٧ ص٢٣ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٨٨ وعن الكامل ج٦ ص١٢٣ وعلل الدارقطني ج٩ ص٣٥٩ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٠٤ وكتاب الأم ج٧ ص١٩٨.

(٢) راجع: جواهر الكلام ج١٢ ص٥٨، وراجع المصادر السابقة.

صلاة الغائب:

لقد أجمع فقهاء الإمامية تبعاً لأئمتهم على عدم جواز صلاة الغائب(١)، إلا إذا كان المراد بالصلاة على الغائب الدعاء له، كما ورد في بعض الروايات(٢).

---

(١) تهذيب الأحكام ج٣ ص٢٠٢.

(٢) إننا نكتفي بالإرجاع إلى كتاب: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٣٨ و ٤٣٩ فقد قال: راجع: مسلم ج٢ ص٦٥٦ و ٦٥٧ والبخاري ج٢ ص١٠٩ و ١١١ و ١١٢ وج٥ ص٦٤ و ٦٥ والشفاء ج١ ص١٦٤ و ٦٧٢ و ٦٩٠ ومسند أحمد ج١ ص٢٥٤ وج٢ ص٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٨٩ و ٤٧٩ وج٣ ص٣٥٥ و ٣٦٩ وج٤ ص٧ و ٣٠٣ و ٤٣٣ و ٤٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٤٩ و ٥٠ وابن ماجة ج١ ص٤٩٠ و ٤٩١ والنسائي ج٤ ص٧٢ وأبي داود ج٣ ص٢١٢ وكشف الأستار ج١ ص٣٩٢ والترمذي ج٣ ص٣٤٢ و ٣٥٧ والمصنف لعبد الرزاق ج٣ ص٤٧٩ وابن أبي شيبة ج١٤ ص١٥٤ وج٣ ص٣٦٢ ومسند فاطمة للسيوطي ص١١٢ والكامل لابن عدي ج١ ص٢٥٦ وج٢ ص٨٤٣ وج٣ ص١١٧١ و ١٢٥٩ وج٤ ص١٥٧٥ وج٦ ص٢٠٨٣ و ٢١٣٠ و ٢١٣٥ و ٢٢١٤ و ٢٢٧١ وتأريخ يحيى ابن معين ج٣ ص٢٣٣ و ٢٣٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٩٨ وج٥ ص٢٤٨ وج١٧ ص٢٠ وج١٨ ص١٨٧ و ١٩٦ و ١٩٩ وج٢٥ ص٢٢٣ وج١٩ ص٤٤٦ وج٢٢ ص١٣٦ وإعلام السائلين ص٥ والمناقب ج١ ص١٠٧ والبحار ج١٨ ص١٣٠ عن المناقب وص٤١٨ عن الخصال والعيون و ج٢١ ص٣٦٨ عن المنتقى، والبداية والنهاية ج٣ ص٧٧ وج٤ ص٢٧٧ وتأريخ ابن خلدون ج٢ ص٨٢٦ والدر المنثور ج٢ ص١١٣ (في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..﴾ عن النسائي، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وعبد بن حميد، وابن جرير). وراجع في تفسير الآية الشريفة أيضاً: القرطبي ج٢ ص٣٢٢ وابن كثير ج١ ص٤٤٣ وروح المعاني ج٤ ص٣١٥ =

وإن حكماً يجمع أهل البيت «عليهم السلام» على خلافه، لا مجال للأخذ به، لأنهم هم سفينة نوح، وهم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما.

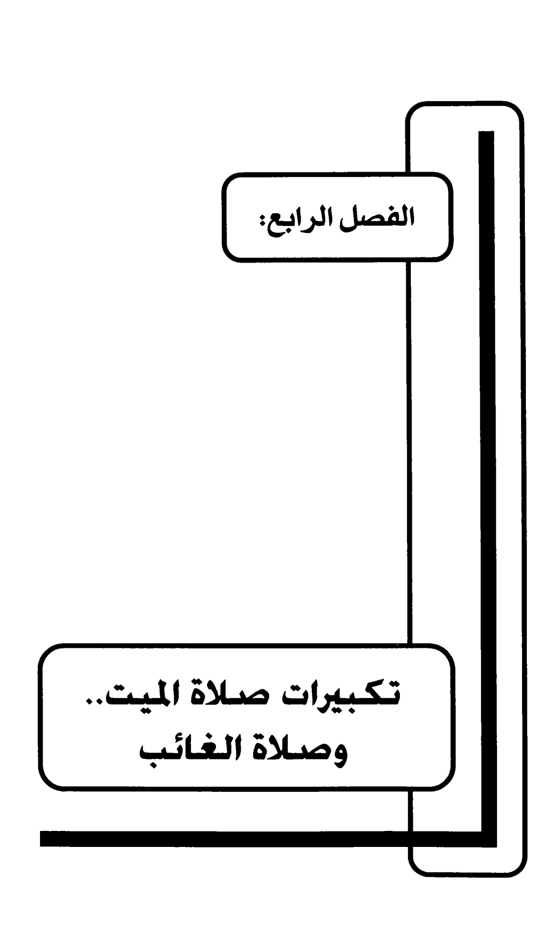
وأما قضية النجاشي، فقد كانت أمراً خاصاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم تكن من قبيل الصلاة على الغائب، غيبة حقيقية، بل كانت صلاة على الميت الحاضر، إذ قد صرحت الرواية: بأن الله تعالى رفع لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كل خفض، وخفض له كل رفع، حتى رأى «صلى الله عليه وآله» جنازة النجاشي وهو بالحبشة.

ولو كان ذلك جائزاً لكان الناس صلوا في كل البلاد صلاة الغائب على النبي «صلى الله عليه وآله» حينما توفي.

بل لو صح ذلك، لم يبق مبرر لدعوة الناس إلى حضور صلاة الجنازة، إذ يمكن لكل مكلف أن يصلي عليها وهو في بيته.

= والمنار ج٤ ص٣١٥ وروح البيان ج٢ ص١٥٥ ومجمع البيان ج٢ ص٣١١ وأبي السعود ج٢ ص١٣٦. وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٨٠ عن التهذيب والإستبصار، وص٢٨٢ عن الخصال والعيون، وتفسير الإمام العسكري، وفقه الراوندي، وأسد الغابة ج١ ص٩٩ والإصابة ج١ ص١٠٩ وفتح الباري ج٣ ص١٥٠ و ١٥٢ و ١٦٣ وج٧ ص١٤٦ وعمدة القاري ج٨ ص١٨ و ١١٥ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٣٢ وج١٧ ص١٥ ودحلان هامش الحلبية ج٣ ص٦٩ والحلبية ج٣ ص١٨٠ وسيرة ابن إسحاق (المطبوعة) ص٢١٩ ودلائل النبوة لابن نعيم ص٤٨٦ والمحلى ج٥ ص١٣٩ والخصال ج١ ص٣٦٠ وإعلام الورى ص٥٦ والروض الأنف ج٢ ص٩٤ وأسد الغابة ج٢ ص٢٢٣ وج٥ ص٣٢٥ و ٣٧٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤١٩ والمنتظم ج٣ ص٣٧٥ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٤.

ولو كان ذلك مشروعاً لاشتهر فعله في البلاد في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله».



الفصل الرابع:

تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب

الفصل الرابع:

[illegible] مشكلة [illegible]
ومشكلة [illegible]

عدد تكبيرات صلاة الميت:

أما بالنسبة لعدد تكبيرات صلاة الميت، فنقول:

ان من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين المذاهب الإسلامية مسألة عدد التكبيرات في صلاة الجنازة على المسلم.

فذهبت طائفة ـ تبعاً لأئمتها ـ إلى أن الواجب فيها هو فقط أربع تكبيرات، وهؤلاء هم جمهور أهل السنّة والجماعة..

وذهب أهل البيت «عليهم السلام»[1]، وشيعتهم، وتابعهم آخرون من غيرهم ـ كما سيتضح ـ إلى أن الواجب هو خمس تكبيرات.. وهذا الحكم إجماعي عند الشيعة الإمامية، لا تجد فيه مخالفاً على الإطلاق، بل لعله من ضروريات المذهب عندهم[2].

والأخبار عندهم في ذلك متواترة عن العترة الطاهرة، وقد رواه عن أهل البيت «عليهم السلام» كل من:

زرارة، والحلبي، وأبي ولاد، وأم محمد بن مهاجر، وابن محبوب، وسماعة،

---

(١) وقد رواه في البحر الزاخر ج٣ ص١١٨ عن العترة جميعاً، وراجع: نيل الأوطار ج٤ ص٩٩.

(٢) راجع: مستمسك العروة الوثقى (ط ثانية) ج٤ ص٢٣٤.

وكليب الأسدي، وعمار الساباطي، وعلي بن سويد، وإسماعيل بن همام، ويونس، وهشام بن سالم، وحماد بن عثمان، وأبي بصير، وجعفر الجعفري، وأبي بكر الحضرمي، وإسماعيل بن سعد، وعبد الله بن سنان، وعبد الله بن مسكان، وعلي بن أبي حمزة، وقدامة بن زائدة، والحسين بن النضر، وإبراهيم بن محمد بن حمران، والفضل بن شاذان، وسفيان بن السمط، وأبي حمزة، والأعمش، ومحمد بن الفضيل، وفضيل بن يسار، وعمرو بن شمر، وجابر، وإسماعيل بن سعيد الأشعري، وعبد الرحمن العرزمي، وعلي بن عبد الله، والحسين بن خالد. إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه..»[1].

مذهب أهل البيت عليهم السلام هو الصحيح:

ونحن بدورنا لا نجد مناصاً عن الالتزام بمذهب أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم.. ولا نستند في ذلك إلى الإجماع المذكور فقط، ولا إلى خصوص الروايات عنهم «عليهم السلام»، وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وأحد الثقلين اللذين لا يضل أبداً من تمسّك بهما..

وإنما نستند ـ بالإضافة إلى ذلك ـ إلى العديد من الأدلة والروايات ذات الأسانيد الصحيحة عند غيرهم أيضاً، والمروية في أوثق مصادرهم، والتي تؤكد على أن الزيادة على الأربع ثابتة من فعل النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته «عليهم السلام»، وعدد من الصحابة وغيرهم..

---

(١) راجع: الوسائل (طبعة حجرية) ج١ ص١٤٤ فصاعداً، ومستدرك الوسائل، والكافي، وجامع أحاديث الشيعة، وغير ذلك من مجاميع الحديث والرواية.

أدلة القائلين بالتكبيرات الأربع:

لقد استُدِلَّ على أن الواجب في صلاة الجنازة هو أربع تكبيرات بعدة أدلة:

الأول: أن الأربع هي آخر ما وقع منه «صلى الله عليه وآله»، كما أخرج الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ:

«آخر ما كبّر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الجنائز أربع». وكذا روي عن عمر، وابن عمر، وأنس، وابن أبي حثمة.

وفي بعضها: أنه «صلى الله عليه وآله» كبّر على النجاشي أربعاً، وثبت عليها حتى مات، فكانت الأربع ناسخة لما قبلها..[1]».

ولكن هذا الدليل لا يصح.. لأن هذه الروايات كلها، والتي تريد أن تثبت أنه «صلى الله عليه وآله» كبّر في آخر صلاة له أربعاً، لا تصح، وطرق جميعها ضعيفة، وقد تكلم على أسانيدها جميعاً الزيلعي والشوكاني، وابن القيم، والبيهقي[2].

أضف إلى ذلك: ما سيأتي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد كبّر على النجاشي خمساً.. هذا عدا عن إصرار كثير من الصحابة على غير الأربع، كما سيتضح..

---

(١) راجع: نيل الأوطار ج٤ ص٩٩ وتبيان الحقائق ج١ ص٢٤١ والبحر الرائق ج٢ ص٩٧ و ٩٨ والهداية في شرح البداية ج١ ص٩٢ وهامش ص٤٢٤ من كتاب الأصل ج١ عن شرح المختصر للسرخسي ج٢ ص٦٣ وناسخ الأحاديث ومنسوخه ص٢٦٨.

(٢) راجع: في تضعيف ذلك: نصب الراية ج٢ ص٢٦٧ ـ ٢٦٩ و (ط أخرى) ص٣١٧ ـ ٣٢٠ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ و ١٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٧ وزاد المعاد لابن القيم ج١ ص١٤١ و ١٤٢.

وثمة روايات أخرى تذكر التكبيرات الأربع، فنَّدها الزيلعي، وابن القيم الجوزية وغيرهما، فراجع[1].

الثاني: الإجماع على الأربع، حيث نقل عن ابن عبد البر ـ في الإستذكار ـ قوله: «وانعقد الإجماع بعد ذلك على أربع، وأجمع الفقهاء، وأهل الفتوى بالأمصار على أربع ما جاء في الروايات الصحاح، وما سوى ذلك شذوذ لا يلتفت إليه، قال: ولا نعلم أحداً من فقهاء الأمصار يخمس إلا ابن أبي ليلى»[2].

هذا كلامه..

وقال البيهقي: «إن إجماع أكثر الصحابة (رض) على الأربع كالدليل على ذلك»[3].

ولكننا بدورنا نعتبر أن كل ما قاله أبو عمر هنا من أوله إلى آخره محض مبالغة لا مبرر لها، وذلك استناداً إلى ما يلي:

أما بالنسبة إلى اختلاف الصحابة في ذلك، فهو غير قابل للإنكار، بل لم ينكره ابن عبد البر نفسه، حيث قال:

١ ـ «وقطع عمر بن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في التكبير على الجنائز، وردهم إلى أربع..»[4].

---

(١) زاد المعاد ج١ ص١٤١ و ١٤٢ ونصب الراية ج٢ ص٢٦٧ ـ ٢٦٩.

(٢) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم (هامش إرشاد الساري) ج٤ ص٤٨٥ وفتح الباري ج٣ ص١٦٣ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧ و ١٩٠ و (ط أخرى) ج٨ ص٣٤٢ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٠٤ عنه.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٧ ونصب الراية ج٢ ص٣١٨.

(٤) جامع بيان العلم ج٢ ص١٠٤.

٢ ـ وقال ابن رشد: «اختلفوا في عدد التكبير في الصدر الأول اختلافاً كثيراً: من ثلاث إلى سبع، أعني الصحابة..»[١].

٣ ـ وقال النووي، والقاضي عياض: «واختلفت الصحابة، من ثلاث تكبيرات إلى تسع..»[٢].

٤ ـ والعسقلاني أيضاً: ذكر اختلاف السلف في ذلك لاسيما ما يذهب إليه زيد، وعلي «عليه السلام»، وابن مسعود، وغيرهم ممن سيأتي..[٣].

٥ ـ وقال في عون المعبود، حول دعوى الإجماع هذه: «في دعوى الإجماع في نفسي شيء، لأن زيد بن أرقم كان يكبّر خمساً، ويرفعه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»..»[٤]، إلى آخر كلامه الذي سوف يأتي إن شاء الله.

٦ ـ وقال أيضاً: «ثبوت الزيادة على الأربع لا مردَّ له من حيث الرواية..»[٥].

٧ ـ وفي حاشية السندي على سنن النسائي: «قالوا: كانت التكبيرات على الجنائز مختلفة أولاً، ثم رفع الخلاف، واتفق الأمر على الأربع، إلّا أن بعض الصحابة ما علموا بذلك، فكانوا يعملون بما عليه الأمر أولاً..»[٦].

---

(١) بداية المجتهد ج١ ص٢٤٠.

(٢) شرح مسلم (بهامش القسطلاني) ج٤ ص٤٨٤ وعون المعبود ج٣ ص١٩٠ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٨.

(٣) فتح الباري ج٣ ص١٦٢ وراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٨ ص٢٢٢.

(٤) عون المعبود ج٣ ص١٩٠.

(٥) عون المعبود ج٣ ص١٨٧.

(٦) هامش سنن النسائي ج٤ ص٧٢ و ٧٣ وحاشية السندي على النسائي ج٤ ص٧٣ والمجموع للنووي ج٥ ص٢٣١ وعن فتح الباري ج٣ ص١٦٢.

وقال الترمذي: «..وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا من أصحاب النبي وغيرهم. رأوا التكبير على الجنازة خمساً.

وقال أحمد وإسحاق: إذا كبّر الإمام على الجنازة خمساً، فإنه يتبع الإمام»[1].

وعن ابن المنذر: أن أحمد بن حنبل يرى: أنه لا ينقص من أربع، ولا يزاد على سبع، ومثله قال بكر بن عبد الله المزني، إلَّا أنه قال: لا ينقص من ثلاث..

وفي إحدى الروايتين عن ابن مسعود: أنه قال: كبِّر ما كبَّر الإمام[2].

وحماد بن سليمان يقول مثل قول أحمد[3].

والصحابة أيضاً إلى زمان عمر كانوا يكبِّرون أربعاً، وخمساً، وستاً، وسيأتي تفصيله.

وبعد كل ما تقدم، فلسوف نرى كثيرين جداً يلتزمون بخمس تكبيرات، فأين هو الإجماع يا ترى؟!

القول الحق:

ونحن نقول: لابد من الالتزام بالتكبيرات الخمس تبعاً للنبي «صلى الله عليه وآله» وأهل البيت «عليهم السلام»، وشيعتهم، وعدد من الصحابة

---

(١) صحيح الترمذي ج٣ ص٣٤٣ وأحكام الجنائز للألباني ص١١٢ وسنن الترمذي ج٢ ص٢٤٤.

(٢) فتح الباري ج٣ ص١٦٢ والإعتبار للحازمي ص١٢٢ ونيل الأوطار ج٤ ص١٠٠ ومجمع الزوائد ج٣ ص٣٢ والمجموع للنووي ج٥ ص١٣١ والمعجم للطبراني ج٩ ص٣٢٠ و ٣٢١ والغدير ج٦ ص٢٤٧ وعون المعبود ج٨ ص٣٥٢.

(٣) الإعتبار للحازمي ص١٢٢.

وغيرهم، ونذكر منهم:

١ ـ زيد بن أرقم.

٢ ـ حذيفة بن اليمان.

٣ ـ ابن مسعود.

٤ ـ أبا ذر.

٥ ـ ابن الحنفية.

٦ ـ ابن عباس.

٧ ـ أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

٨ ـ الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام».

٩ ـ جابر بن زيد.

١٠ ـ أبا يوسف.

١١ ـ ابن أبي ليلى.

١٢ ـ عيسى مولى حذيفة.

١٣ ـ هو مذهب بني هاشم.

١٤ ـ أصحاب معاذ في الشام.

١٥ ـ أهل الشام.

١٦ ـ هو مذهب الصحابة قبل تقرير الأمر على الأربع.

١٧ ـ العباس بن عبد المطلب.

هؤلاء بعض من عرفنا أسماءهم في هذه العجالة.

هذا.. عدا عن غيرهم ممن لا يمانع في التكبير خمساً، وأربعاً، وستاً، وغير ذلك من الأقوال التي تقدمت الإشارة إلى بعض منها، فمن أراد فليراجع..

ولابد من الإشارة هنا: إلى أننا لا ننكر أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد كبَّر على بعض الجنائز أربعاً، ولكن لذلك علة أخرى سنوضحها فيما يأتي إن شاء الله تعالى..

وأما ما نستند إليه نحن ـ في وجوب التكبيرات الخمس في الصلاة على الميت المؤمن ـ فهو:

أولاً: ما تقدم وما سيأتي من الروايات التي تذكر الزيادة على الخمس[1].

ثانياً: الروايات المتعرضة للخمس، ونذكر منها ما يلي:

ما ورد عن النبي الأعظم ﷺ:

١ ـ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبِّر على جنائزنا أربعاً، وأنه كبَّر على جنازة خمساً، فسألته، فقال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكبِّرها.

قال ابن البديع، والشوكاني: رواه الخمسة إلا البخاري[2]، ويقصد

---

(١) راجع على سبيل المثال: تعليقات المحمودي على ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر ج٣ ص٣٠٧ و ٣٠٨.

(٢) صحيح مسلم (ط سنة ١٣٣٤هـ) ج٣ ص٥٦. وتيسير الوصول (ط الهند) ج١ ص٣٤٥ وبداية المجتهد ج١ ص٢٤٠ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٨ ومنحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي ج١ ص١٦٤ والترمذي ج٣ ص٣٤٣ وزاد المعاد ج١ ص١٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٦ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٨٢ ومسند أحمد ج٤ ص٣٧٢ و ٣٦٧ و ٣٦٨ وفتح الباري ج٣ ص١٦٢ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٩٠ والرصف ج١ ص٤٢٠ و ٤٢١ والإعتبار للحازمي ص١٢٢ وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨ وسنن النسائي ج٤ ص٧٢ وشرح الموطأ للزرقاني ج٢ ص٢٥٣.

بالخمسة: مسلماً، والترمذي، وأبا داود، والنسائي، وابن ماجة.

وعلى حسب نص آخر، عن عبد العزيز بن حكيم، قال: صلَّيتُ خلف زيد بن أرقم على جنازة، فكبَّر خمس تكبيرات، قال: وحدثني رجل سمعه يقول: هذه صلاة رسول الله(١).

وعن جابر بن عبد الله بن عبد العزيز الحضرمي، قال: صلَّيتُ خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبَّر خمساً، فسئل عن ذلك، فقال: سنَّة نبيِّكُم(٢).

وعلى حسب رواية أيوب بن سعيد، الذي صلّى خلفه: فكبَّر خمساً، ثم قال: صلَّيتُ خلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جنازة فكبر خمساً، فلن ندعها لأحد..

وعلى حد تعبير المرقع، الذي صلَّى خلفه أيضاً: فإني لا أدعها لأحد بعده..

---

(١) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتعليق المحمودي) ج٣ هامش ص٣٠٨ عن المحاملي في أماليه (مخطوط) ج٣ الورق ٢٨ والطرائف ص١٧٥ ومسند زيد بن أرقم في كتاب الجمع بين الصحيحين، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٤٧٠، والضعفاء للعقيلي ج٣ ص١٤ وميزان الإعتدال ج٢ ص٦٢٧ ولسان الميزان ج٤ ص٢٩ وعن مسند أحمد ج٤ ص٣٧٢ عن عبد العزيز بن حكيم. ووضوء النبي ج٢ ص١٨٢ والغدير ج٦ ص٢٤٥ ومسند أحمد ج٤ ص٣٧٠ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٩٤ والمعجم الأوسط ج٢ ص٢٢٨ عن عبد الأعلى. والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص١٨٧ وتاريخ الحديث ومنسوخة ص٢٦٣ وسنن الدارقطني ج٢ ص٦٠ والتاريخ الكبير للبخاري ج١ ص٤٢٤ عن أيوب بن النعمان.

(٢) جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨.

وعلى حسب رواية عبد الأعلى، الذي صلَّى خلفه، أنه قال: «فلا أتركها أبداً».

وعلى حسب رواية أبي سلمان، الذي صلَّى خلفه، أنه قال: بل عمداً إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلِّيها[١].

وقوله: لا أتركها أبداً، ولا أدعها لأحد بعده، ونحو ذلك يدل: على أن زيد بن أرقم لم يكن يترك التكبيرات الخمس..

وهذا يلقي ظلالاً من الشك على ما جاء في الرواية الأخرى: من أنه كان يكبّر أربعاً.. فالظاهر: أن هذه زيادة اجتهادية من الراوي لحاجة في نفسه..

وأخيراً، فقد قال الترمذي: «حديث زيد بن أرقم حديث حسن صحيح»[٢].

٢ ـ عن يحيى بن عبد الله الجابر التيمي، قال: صلَّيتُ خلف عيسى مولى لحذيفة بالمدائن، فكبَّر على جنازة خمساً، ثم التفت إلينا، فقال: ما وهمت ولا نسيت، ولكن كبَّرت كما كبَّر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان، صلَّى على جنازة، وكبَّر خمساً، ثم التفت إلينا، فقال: ما نسيت، ولكن كبَّرت كما كبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جنازة، فكبَّر خمساً.

وفي نص آخر: «ما وهمت، ولكن كبَّرت كما كبر خليلي أبو القاسم»[٣].

---

(١) راجع هذه النصوص في: سنن الدارقطني ج٢ ص٧٥ و ٧٣ وفي نسخة أخرى ص٦٢ ومسند أحمد ج٤ ص٣٧٠ و ٣٧١ والإعتبار للحازمي ص١٢٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص١١٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص١٧٤ وشرح معاني الآثار لابن سلمة ج١ ص٤٩٤ وتاريخ بغداد ج١١ ص١٤٣.

(٢) الجامع الصحيح ج٣ ص٣٤٣.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٤٠٦ والإمام الصادق «عليه السلام» والمذاهب الأربعة المجلد =

وهذا يدل: على أن ذلك كان بعد إرجاع الناس إلى الأربع، وإلا فلا حاجة إلى اعتذارهما عنه، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة لصلاة زيد بن أرقم، واعتراضهم عليه، وجوابه لهم.

كما أن المعترضين لم يدركوا النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أبا بكر، ولا عمر.. كما هو ظاهر.

٣ ـ عن ابن أبي خيثمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر أربعاً وخمساً، وستاً، وسبعاً، وثمانياً حتى مات النجاشي، فكبر عليه أربعاً، وثبت على ذلك حتى توفي «صلى الله عليه وآله»[1].

ولكن ذيل هذه الرواية لا يصح كما تقدم.

= الثالث ج٥ ص٢٤١ عن أحمد، والغدير ج٦ ص٢٤٥ و ٢٤٦ عن عمدة القاري ج٤ ص١٢٩ عن معاني الآثار للطحاوي، وهو موجود كذلك في: سنن الدارقطني ج٢ ص٧٣ وفي (ط أخرى) ص٦٠ وميزان الإعتدال ج٤ ص٣٨٩ وتاريخ بغداد ج١١ ص١٤٢ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٩٠ وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨ وناسخ الحديث ومنسوخة لعمر شاهين ص٢٦٤ ونيل الأوطار ج٤ ص١٠٠ و ١٠١ ومجمع الزوائد ج٣ ص٣٤ عنه، وقال: يحيى الجابر فيه كلام.

(١) نصب الراية ج٢ ص٢٦٨ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٨ عن أبي عمر في الإستذكار، والقاضي عيّاض، وبداية المجتهد ج١ ص٢٤٠ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧ وشرح مسلم للنووي (هامش القسطلاني) ج٤ ص٤٨٤ وعن فتح الباري ج٧ ص٢٤٥ وراجع: وضوء النبي ج١ ص٣١٠ والنص والإجتهاد ص٢٥٧.

كما أن ذكر ما عدا الأربع والخمس محل شك كبير، ليس هنا محل بحثه..

٤ ـ عن كثير بن عبد الله، عن جده، عن أبيه، قال: صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على النجاشي، فكبَّر عليه خمساً. قلت: رواه ابن ماجة خلا ذكر النجاشي. رواه الطبراني في الكبير والأوسط(١).

٥ ـ عن كبير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كبَّر خمساً(٢).

٦ ـ عن عبد الله بن الحارث، قال: صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على حمزة، فكبر عليه تسعاً، ثم جيء بأخرى فكبر عليها سبعاً، ثم جيء بأخرى فكبر عليها خمساً، حتى فرغ من جميعهم غير أنه وتر(٣).

٧ ـ عن ابن مسعود، قال: قد كبَّر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعاً وخمساً، وأربعاً، فكبروا ما كبر الإمام إذا قدمتموه(٤).

٨ ـ وقريب من ذلك، ما رواه ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كان يكبر على البدريين سبعاً، وعلى بني هاشم خمساً، «ثم كان

---

(١) مجمع الزوائد ج٣ ص٣٨ و ٣٥ وراجع: المعجم الأوسط للطبراني ج٩ ص٦٤ ولسان الميزان ج٤ ص١٨١ والمعجم الكبير ج١٧ ص٢٠ والكامل لابن عدي ج١ ص٢٥٨ والأحكام ج١ ص١٥٩ عن يحيى بن الحسين.

(٢) سنن ابن ماجة ج١ ص٤٨٣.

(٣) طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج٣ ص٩ و (ط دار صادر) ج٣ ص١٦.

(٤) مجمع الزوائد ج٣ ص٣٤ و ٣٥ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢١٧ وشرح مسند أبي حنيفة ص١٣١.

آخر صلاته أربع تكبيرات حتى خرج من الدنيا»[١].

والكلام في هذا الذيل قد تقدم.. وعرفنا أنه لا يصح..

٩ ـ وعن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كبر عل أهل بدر تسع تكبيرات، وعلى بني هاشم سبع تكبيرات[٢].

١٠ ـ عن علي «عليه السلام»، قال: نزل جبرئيل على النبي «صلى الله عليه وآله» يعلِّمه السلام على الناس، والصلاة على الجنازة، فقال: يا محمد، إن الله عز وجل فرض الصلاة على عباده خمس صلوات في كل يوم، وليلة، فإن مرض الرجل، فلم يقدر يصلي قائماً صلَّى جالساً، فإذا ضعف عن ذلك جاء وليُّه، فقال له: يكبِّر عن كل وقت صلاة خمس تكبيرات، فإذا مات صلَّى عليه وليُّه، وكبَّر عليه خمس تكبيرات، مكان كل صلاة تكبيرة..[٣].

١١ ـ وروى الخطيب في تاريخه، وابن شيرويه الديلمي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلِّي على الميت بخمس تكبيرات[٤].

---

(١) نصب الراية ج٢ ص٢٦٩ عن أبي نعيم في تاريخ إصبهان ومجمع الزوائد ج٣ ص٣٥ والإعتبار للحازمي ص١٢٥ ومجمع الزوائد ج٣ ص٣٥ والمعجم الكبير ج١١ ص١٢٩ وكتاب المجروحين ج٣ ص٥٩ والكامل لابن عدي ج٧ ص٤٩ ولسان الميزان ج٦ ص١٤٦.

(٢) المجروحون ج٣ ص٥٩ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٨٨ ولكن في ميزان الإعتدال ج٤ ص٢٤٣ ولسان الميزان ج٦ ص١٤٦ سبع تكبيرات في الموضعين فراجع.

(٣) منتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد) ج١ ص٢٢١ و ٢٢٢ وعن كنز العمال ج٣ ص٧٥٣ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٨ ص٢٥٣.

(٤) نهج الحق للعلامة ص٤٥٣، ونقله المعلق عليه عن تعليقة صحيح مسلم ج٢ =

وما ورد عن زيد بن أرقم في ذلك:

فقد تقدم: أنه ملتزم بأن لا يترك ذلك لأحد.. ونزيد هنا:

١٢ ـ أن البغوي قال: قال أبو يوسف: عن أيوب بن النعمان: شهدت سعد بن حبة، فكبَّر عليه زيد بن أرقم خمساً[1].

وفي نص آخر: صلَّيتُ خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبَّر خمساً، ولم يرفعه[2].

وتقدم عن عبد العزيز بن حكيم: صلَّيتُ خلف زيد بن أرقم على جنازة؛ فكبر خمس تكبيرات، وقال: وحدثني رجل أنه سمعه يقول: هذه صلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

وقال العظيم آبادي: روي عن زيد بن أرقم: أنه كان يكبر خمساً[4]. ومثل هذا كثير عنه.

وقال النووي في المجموع: وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية زيد

= ص٣٧٨ ومنتخب كنز العمال ج٦ ص٢٥٢ عن أبي وائل، والطرائف ص٥٥١ وإحقاق الحق (الأصل) ص٣٩٣ وراجع: غوالي اللآلي ج١ ص٢٠٧ وعن سنن ابن ماجة كتاب الجنائز (٢٥) باب ما جاء فيمن كبر خمساً حديث (١٤٠٦)، والبحار ج٢١ ص٣٩.

(١) الإصابة ج٢ ص٢٢ ومعارف ابن قتيبة ترجمة أبي يوسف القاضي ص٢١٨ والغدير ج٦ ص٢٤٥.

(٢) سنن الدارقطني ج٢ ص٧٣.

(٣) تقدم مصادر هذا الحديث قبل بضع صفحات، فراجع.

(٤) عون المعبود (ط الهند) ج١ ص١٧٨.

بن أرقم عنه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر خمساً[1].

وليراجع: ما قاله الحازمي، والشوكاني، وغير ذلك[2].

وما روي عن عيسى مولى حذيفة:

قد تقدم فلا حاجة لإعادته، وليراجع: الاعتبار للحازمي، وغيره..

وما روي عن ابن مسعود:

١٣ـ رواه ابن المنذر، عن ابن مسعود: أنه صلى على جنازة رجل من بني أسد، فكبر خمساً[3]..

١٤ـ قال الزرقاني: «وعن ابن مسعود: أنه صلى على جنازة فكبر خمساً، وكان يكبر على أهل بدر ستاً، وعلى الصحابة خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً»[4].

١٥ـ عن ابن مسعود، قال: كنا نكبر على الميت خمساً وستاً، ثم اجتمعنا على أربع تكبيرات[5].

ويلاحظ: أنه لم يذكر أنهم كانوا يكبرون أربعاً أيضاً.. كما أن ظاهره

---

(١) المجموع للنووي ج٥ ص٢٣٠.

(٢) الإعتبار للحازمي ص١٢٢ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ وفلك النجاة ص٣٥٥.

(٣) عون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧ و ١٩٠ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٨ وفتح الباري ج٣ ص٦٢ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤١ وراجع: الإعتبار للحازمي ص١٢٢ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٨٩.

(٤) شرح الموطأ للزرقاني ج٢ ص٢٥٣، وليراجع: جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨ ونيل الأوطار ج٤ ص١٠٠.

(٥) المصنف للصنعاني ج٣ هامش ص٤٨١ عن مصنف ابن أبي شيبة ج٤ ص١١٤.

دعوى إجماع الصحابة على ذلك قبل الاجتماع على الأربع..

وسيأتي الكلام حول اجتماع الصحابة إن شاء الله تعالى..

وأما ما روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام:

١٦ـ فعن عبد الرزاق، عن معمر، عن حماد، عن إبراهيم: أن علياً «عليه السلام» كبر على جنازة خمساً.

وروي نفس هذا عن وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر، عن كاتب لعلي «عليه السلام»[1].

١٧ـ عن ابن مسعود، عن علي «عليه السلام»: أنه كان يكبر على أهل بدر ستاً، وعلى الصحابة خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً[2].

وروى عبد خير، عن علي «عليه السلام» مثل ذلك[3].

---

(١) المصنف للصنعاني ج٣ ص٤٨١، وهامش نفس الصفحة منه عن ابن أبي شيبة.

(٢) نيل الأوطار ج٤ ص٩٨ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧و ١٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٣٤٢ و ٣٤٩ والمجموع ج٥ ص٢٣١ وتلخيص الحبير ج٥ ص١٦٨ وأحكام الجنائز للألباني ص١١٣ والغدير ج٦ ص٢٤٦ وشرح مسلم للنووي ج٧ ص٢٣ وعن فتح الباري ج٣ ص١٦٢ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٨٩ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص١٨٧ وسنن الدارقطني ج٢ ص٦٠ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٩٧ ونصب الراية ج٢ ص٣٢١ وكنز العمال ج١٠ ص٣٩٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٢٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٧ وسنن الدارقطني ج٢ ص٧٣ وفتح الباري ج٢ ص١٦٢ عن ابن المنذر، وشرح مسلم للنووي (هامش القسطلاني) ج٤ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وزاد المعاد ج١ ص١٤١ وعون المعبود ج٣ ص١٩٠ وج١ =

ولكن قوله: أنه «عليه السلام» كان يكبر على سائر الناس أربعاً؛ في غير محله، وإنما أخذت الست من تكبيره على سهل بن حنيف على ما يظهر، وسنرى: أنه كان يكبر على سائر الناس خمس تكبيرات أيضاً.

١٨ـ عن عمير بن سعيد: صلى علي على سهل بن حنيف فكبر خمساً، فقالوا: ما هذا التكبير؟!

فقال: هذا سهل بن حنيف، من أهل بدر، ولأهل بدر فضل على غيرهم، فأردت أن أعلمكم فضلهم.

وكذا روي عن ابن معقل، عن علي «عليه السلام»، وعن عبد الله بن مغفل عنه[1]. ولعله نفس ابن معقل السابق لكنه صحف.

١٩ـ وقال السرخسي: «..وأهل الزيغ يزعمون أن علياً «عليه السلام» كان يكبر على أهل بيته خمس تكبيرات، وعلى سائر الناس أربعاً»[2].

= ص١٨٧ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٨ عن الدارقطني، والطحاوي، وابن أبي شيبة، وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨، وقال: حكاه في الإنتصار، ونصب الراية ج٢ ص٢٧٠ عن ابن أبي شيبة ج٣ ص١١٥ وعن الدارقطني والطحاوي ص٢٨٧.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٣ ق٢ ص٤٠ و ٤١ وراجع ج٦ ص٨ والإصابة ج٢ ص٨٧ وهامش كتاب الأمم ج١ ص٢٥١ ونيل الأوطار ج٤ ص١٠١ وراجع: البدء والتاريخ ج٥ ص١١٩ وأسد الغابة ج٢ ص٣٦٥ وفتح الباري ج٧ ص٢٤٥ عن أبي نعيم في المستخرج، والبخاري في تاريخه، والإسماعيلي، والبغوي، والبرقاني، وسعيد بن منصور، وكتاب الأم للشافعي ج٧ ص١٧٨.

(٢) هامش كتاب الأصل ج١ ص٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي ج٢ ص٦٣ =

٢٠ ـ صلى «عليه السلام» على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فكبر خمس تكبيرات، ودفنها ليلاً[1].

وهذا يكذب نقل السرخسي وغيره: أنه كبر عليها أربعاً.

ومما ورد عن الحسن عليه السلام نذكر:

٢١ ـ أن الحسن صلى على أبيه علي أمير المؤمنين «عليهما السلام» وكبر خمس تكبيرات[2].

ومما ورد عن ابن عباس:

٢٢ ـ عن ابن عباس: لما توفي آدم قال شيث لجبريل: صلِ على آدم. فقال: تقدم أنت فصل على أبيك، وكبر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي

= والمبسوط للسرخسي ج٢ ص٦٣.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٣١ وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٥٦ و ٢٥٩ عن المناقب والبحار ج٧٨ ص٣٩٠ و ٣٧٨ وراجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٧٩ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص١٢٥.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج ص٤١ وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٤٦٩ والأخبار الطوال ص٢١٦ وتيسير المطالب في أماني الإمام أبي طالب ص٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٢٢، وراجع: تذكرة الخواص ص١٧٨، ويظهر من بعض النسخ أنه هو مختار سبط ابن الجوزي، ووضوء النبي ج١ ص٣١٠ والغارات ج٢ ص٨٨٢ والبحار ج٤٢ ص٣٣٨ ونهج السعادة ج٨ ص٤٩٨.

الصلاة، وخمس وعشرون تفضيلاً لآدم[1].

وليراجع: ما قاله الشوكاني وغيره[2].

ومما ورد عن محمد بن الحنفية:

٢٣ ـ قال الصعدي: وروي عن محمد بن الحنفية: «أنه صلَّى على ابن عباس فكبر خمساً»[3]، وكذا قال غيره[4].

وأما ما ورد عن حذيفة:

فقد تقدمت الرواية فيه[5].

ومما ورد عن أبي ذر:

٢٤ ـ عن حصين بن عمار، قال: قال لي أبو ذر: «يا حصين إذا أنا مت فاستر عورتي، وانق غسلي، وكفنِّي في وتر، وكبر علي خمساً الخ..»[6].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق١ ص١٥ وذكره في السيرة الحلبية ج١ ص٣٤٦ عن العرائس بدون ذكر مقدار الصلاة والتفصيل.

(٢) نيل الأوطار ج٤ ص٩٩ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤١.

(٣) جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج٣ ص١١٨.

(٤) راجع: نيل الأوطار ج٤ ص٩٩ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤١.

(٥) راجع: الإعتبار للحازمي ص١٢٢ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩.

(٦) جواهر الأخبار والآثار (بهامش البحرالزخار) ج٣ ص١١٨ وراجع: نيل الأوطار ج٤ ص٩٩ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤١.

ومما ورد عن أصحاب معاذ في الشام:

٢٥ ـ عن علقمة، قال: قلت لابن مسعود: إن أصحاب معاذ قدموا من الشام فكبَّروا على ميت لهم خمساً، فقال ابن مسعود: ليس على الميت من التكبير وقت، كبر ما كبر الإمام، فإذا انصرف الإمام فانصرف[1].

ومما ورد عن أهل الشام:

٢٦ ـ أن علقمة قدم من الشام، فقال لابن مسعود: إن إخوتك بالشام يكبِّرون على جنائزهم خمساً، فلو وقَّتم وقتاً نتابعكم عليه، فأطرق عبد الله، ثم قال: انظروا جنائزكم فكبروا عليها ما كبر أئمتكم، لا وقت ولا عدد[2].

وعن العباس بن عبد المطلب:

أنه كبر على النبي «صلى الله عليه وآله» حينما صلى عليه خمساً[3].

وما روي عن أبي يوسف:

٢٧ ـ قيل: إن أبا يوسف كان يكبر خمساً[4].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٧ وزاد المعاد ج١ ص١٤٢ وراجع: الإعتبار للحازمي ص١٢٢ والغدير ج٦ ص٢٤٧.

(٢) المصنف للصنعاني ج٣ ص٤٨١ و ٤٨٢ وقال المعلق على نفس الصفحة: إن ابن أبي شيبة أخرجه بسند آخر في مصنفه ج٤ ص١١٥ والمحلى ج٥ ص١٢٦.

(٣) راجع: كنز العمال ج٧ ص١٨٤ وفلك النجاة ص٣٥٨ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٨ ص٢٥٣.

وما روي عن جابر بن زيد:

٢٨ ـ قد نقله عنه ابن رشد[2].

وأما ما نقل عن ابن أبي ليلى:

٢٩ ـ فقد نسبه إليه كثيرون[3].

رأي الهاشميين في التكبير:

٣٠ ـ روى الزبير بن بكار: أن المنصور كبَّر على هشام بن عروة أربع تكبيرات، ثم صلَّى على مولاه هو، وكبَّر عليه خمس تكبيرات، قال الزبير: «كبَّر عليه أربع تكبيرات بالقرشية، وكبَّر على هذا خمس تكبيرات بالهاشمية».

---

(١) فتح الباري ج٣ ص١٦٣ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ كلاهما عن المبسوط للسرخسي.

(٢) بداية المجتهد ج١ ص٢٤٠.

(٣) راجع: شرح المختصر للزرقاني ج٢ ص٢٥٣ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ وهامش كتاب الأصل للشيباني (ط الهند) ج١ ص٤٢٤ عن شرح المختصر للسرخسي ج٢ ص٣ وفتح الباري ج٣ ص١٦٣ وج٧ ص٢٤٥ وبداية المجتهد ج١ ص٢٤٠ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧ والناصريات ص٢٦٩ ووضوء النبي ج١ ص٣١٠ وج٢ ص١٨٢ والبحار ج٣١ ص٣٩ والنص والإجتهاد ص٢٥٦ ومسند أبي داود ص٩٣ ومسند ابن أبي الجعد ص٢٧ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص١٨٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٦ والمنتقى من السنن المسندة ص١٣٩ وعن صحيح ابن حبان ج٧ ص٣٣٨ والمعجم الأوسط ج٢ ص٢٢٨ والمعجم الكبير ج٥ ص١٦٨ وفيض القدير ج٥ ص١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢٦٧.

قال محمود محمد شاكر في تعليقته هنا على نسب قريش: «ومعنى ذلك: أن قريشاً كانوا يرون التكبير على الجنازة أربعاً، وأن بني هاشم وبني العباس كانوا يرون التكبير عليها خمساً»[1].

وقد تقدم: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان يكبِّر على بني هاشم خمس تكبيرات.

ولعله لأجل هذا، نجد: أن علي بن المهدي، أخا الرشيد الخليفة العباسي كبَّر على السيد الحميري خمساً، بأمر من الرشيد نفسه، فقد قال المرزباني، وغيره:

٣١ ـ «..ووجه الرشيد بأخيه علي، وبأكفان وطيب، فردت أكفان العامة عليهم، وكفن في أكفان الرشيد، وصلَّى عليه علي بن المهدي، وكبَّر خمساً، ووقف على قبره إلى أن سطح، ومضى، كل ذلك بأمر الرشيد»[2].

٣٢ ـ ومما يدل على أن ذلك هو مذهب الهاشميين: ما رواه أبو الفرج الأصفهاني، بسنده إلى إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام الجعفري: «أن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الثائر على المنصور، والمقتول بباخمرى.. قد صلَّى على جنازة بالبصرة، فكبَّر عليها أربعاً، فقال له عيسى بن زيد: لم

---

(١) راجع: نسب قريش ص٣٠٤ متناً وهامشاً، ورواه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد ج١٤ ص٤١ عن الزبير بن بكار وغيره، وفيه: أن المنصور قال: «صلينا على هذا برأيه، وعلى هذا برأيه». وراجع: وضوء النبي ج١ ص٢٧٢ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٤١ وتهذيب الكمال ج٢٠ ص٢٤١.

(٢) راجع: أخبار السيد الحميري ص٤٦ و ٤٩ وقاموس الرجال ج٢ ص٦٩ والغدير ج٢ ص٣٧٢ والسلسلة العلوية لأبي نصر البخاري هامش ص٨٣.

نقَّصت واحدة، وقد عرفت تكبير أهلك»؟![1].

وهذا يدل على: أن الهاشميين يلتزمون بالتكبيرات الخمس.

٣٣ ـ وذكروا: «أنه صلى عليه (أي على أبي الهذيل) أحمد بن أبي دؤاد القاضي فكبَّر عليه خمساً. ثم لما مات هشام بن عمرو فكبَّر عليه أربعاً، فقيل له في ذلك.

فقال: إن أبا الهذيل كان يتشيع لبني هاشم فصلَّيتُ عليه صلاتهم الخ..»[2].

ومما روي عن عمر بن الخطاب:

٣٤ ـ أن سعيد بن المسيب يحدث عن عمر، قال: كل ذلك قد كان: أربعاً، وخمساً، فاجتمعنا على أربع، التكبير على الجنازة. وذكره ابن المنذر، عن ابن المسيب بإسناد صحيح[3].

كلام ابن قيّم الجوزية:

وأخيراً.. فإن ابن قيم الجوزية ـ بعد أن ذكر روايات التكبير الخمس عن النبي «صلى الله عليه وآله» وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وزيد بن أرقم، وغيرهم ـ قال: «وهذه آثار صحيحة، فلا موجب للمنع عنها، والنبي «صلى الله عليه وآله» لم يمنع مما زاد على الأربع، بل فعله هو وأصحابه من بعده».

---

(١) مقاتل الطالبيين ص٣٣٥ ووضوء النبي ج١ ص٣٠٩.

(٢) طبقات المعتزلة ص٤٨.

(٣) فتح الباري ج٣ ص١٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٧ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧ عنه وعن ابن عبد البر، ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ عنهما أيضاً.

ثم ذكر ما استدل به المانعون من الزيادة على الأربع، وضعفه، فراجع[1].

وأما سائر الذين أشرنا في أول البحث أنهم يقولون بوجوب التكبير خمساً، فقد ذكرنا هناك من عزا ذلك إليهم، فلا نعيد.

التكبير خمساً عند الصحابة وغيرهم:

تقدم كلام ابن مسعود، وعمر، الدال على أن الصحابة كانوا يزيدون في تكبيرهم على الجنازة على الأربع.

ونزيد هنا:

١ ـ ما سوف يأتي تحت عنوان: (عمر أول من ألزم بالأربع) من أن الصحابة في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعهد أبي بكر، وعهد عمر كانوا يكبرون خمساً، وستاً، وأربعاً..

٢ ـ عن الحكم بن عتيبة، أنه قال: كانوا يكبِّرون على أهل بدر خمساً وستاً، وسبعاً..[2].

٣ ـ عن ابن عيينة قال: كانوا يكبِّرون على أهل بدر خمساً، وستاً وسبعاً[3].

٤ ـ عن إبراهيم: كل قد فعل، فاجتمع الناس على أربع تكبيرات،

---

(١) زاد المعاد ج١ ص١٤١ و ١٤٢.

(٢) نيل الأوطار ج٤ ص١٠١ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٩٠ عن سعيد بن منصور في سننه، وعن المنتقى لابن تيمية، وتلخيص الحبير ج٥ ص١٦٦ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٢٩٣ وعن زاد المعاد ج١ ص٤٢٢.

(٣) زاد المعاد ج١ ص١٤١ والغدير ج٦ ص٢٤٦.

وروي مثله عن ابن مسعود أيضاً[1].

وابن مسعود، وإبراهيم يشيران: إلى اجتماع الناس على الأربع في عهد عمر..

ومثل ذلك كثير، وتقدم: عن ابن عبد البر، وابن رشد، وعياض، والنووي، والسندي وغيرهم ممن لا مجال لتتبع كلماتهم[2].

عمر هو أول من ألزم بالأربع:

١ ـ من أوليات عمر المعروفة عنه: إرجاع الناس إلى أربع تكبيرات في صلاة الجنازة[3].

٢ ـ عن إبراهيم النخعي: أن الناس كانوا يصلون على الجنائز خمساً وستاً وأربعاً، حتى قبض النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم كبَّروا كذلك في ولاية أبي بكر الصديق، ثم ولي عمر بن الخطاب، ففعلوا ذلك، فقال لهم

---

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج٣ ص٤٨١ وهامش نفس الصفحة عن ابن أبي شيبة في مصنفه ج٤ ص١١٤ عن ابن مسعود.

(٢) راجع: زاد المعاد ج١ ص١٤١ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩.

(٣) الأوائل للعسكري ج١ ص٢٤٠ وروضة المناظر لابن شحنة (بهامش الكامل) ج١١ ص١٢٢ وتاريخ القرماني (بهامش الكامل أيضاً) ج١ ص٢٠٣ وراجع: الغدير ج٦ ص٢٤٥ وتاريخ الخلفاء ص١٣٧ والإستغاثة ج١ ص٣٥ وحياة الخليفة عمر بن الخطاب للبكري ص١٤٣ والنص والإجتهاد ص٢٥٢ و ٢٥٣ عن تاريخ الخلفاء للسيوطي، وعن الكامل في التاريخ ج٣ ص٣١ والكنى والألقاب للقمي ج٣ ص٤٧ عن أبي هلال العسكري، وابن شحنة، والسيوطي.

عمر: إنكم معشر أصحاب محمد متى تختلفون يختلف الناس بعدكم، والناس حديث (حديثوا) عهد بالجاهلية، فأجمعوا على شيء يجمع عليه أمرهم، فأجمع رأي الصحابة على أن ينظروا إلى آخر جنازة كبر عليها النبي «صلى الله عليه وآله» الخ..

وبحسب نص آخر: فأجمعوا أمرهم على أن يجعلوا التكبير على الجنائز مثل التكبير في الأضحى، والفطر: أربع تكبيرات الخ.."[1].

وقد تقدم: عدم ثبوت قولهم: أنه «صلى الله عليه وآله» كبر على آخر جنازة أربعاً لم يثبت.. وحتى لو ثبت ذلك فهو لا يدل على أنه هو التشريع الثابت في صلاة الجنازة على كل مسلم..

وسيأتي ذكر سبب التكبير أربعاً في بعض الموارد.

٣ ـ وعن أبي وائل، قال: كانوا يكبِّرون على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعاً، وخمساً وستاً، أو قال: وأربعاً.

فجمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبر كل رجل بما رأى. فجمعهم عمر على أربع تكبيرات، كأطول ما تكون الصلاة[2].

---

(١) نصب الراية ج٢ ص٢٦٨ عن الآثار لمحمد بن الحسن ص٤٠ والغدير ج٦ ص٢٤٤ و ٢٤٥ عن عمدة القاري ج٤ ص١٢٩ عن الطحاوي.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٧ وإرشاد الساري ج٢ ص٢٣١ وفتح الباري ج٣ ص١٦٢ وعون المعبود (ط الهند) ج٣ ص١٨٧ وشرح الموطأ للزرقاني ج٢ ص٢٥٣ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٩ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٤٧٩ و ٤٨٠ وفي هامش ص٤٨٠ عن المصنف لابن شيبة ج٤ ص١١٥ والغدير ج٦ =

ولا ندري ما هو الداعي لإضافة عبارة «كأطول ما تكون الصلاة»، فإن الصلاة بأربع تكبيرات هي الأقصر، من التي فيها خمس أو ست أو سبع تكبيرات..

إلا إذا كان المراد: أن ما سمح به عمر هو هذا.. ولم يسمح بما هو أطول من ذلك.

٤ ـ قال ابن عبد البر: «وقطع عمر بن الخطاب اختلاف أصحاب رسول الله في التكبير على الجنائز، وردهم إلى أربع»[1].

٥ ـ وبحسب نص آخر عن أبي وائل، قال: «جمعهم (يعني عمر) فسألهم عن تكبير النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال بعضهم: أربع تكبيرات.

وقال بعضهم: خمس.

وبعضهم: ست، كلهم قال ما سمع، فجمعهم على أربع.

وكان آخر ما كبر النبي «صلى الله عليه وآله» أربعاً على سهيل بن البرصاء»[2].

وهذا القول الأخير محل نظر.. إذا قورن بقولهم: إن آخر صلاة صلاها

= ص٢٤٤ عن المحلى لابن حزم، والإمام الصادق «عليه السلام» والمذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤١ عن معاني الآثار للطحاوي ج١ ص٢٨٨ وتلخيص الحبير ج٥ ص١٦٨ وكنز العمال ج١٥ ص٧١٠ ووضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج٢ ص١٨١ عن فتح الباري، وسبل السلام ج٢ ص١٠٣ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٨٩.

(١) جامع بيان العلم ج٢ ص١٠٤.

(٢) الأوائل لأبي هلال العسكري ج١ ص٢٤٠ و ٢٤١ وراجع: هامش كتاب الأصل ج١ ص٤٢٤ عن السرخسي في شرح المختصر ج٢ ص٦٣ وما ذكره المحمودي هامش أنساب الأشراف ج٢ ص٤٩٦ وراجع: تاريخ المدينة ج٢ ص٧٣٦.

النبي «صلى الله عليه وآله» كانت على النجاشي، ولكن قد تقدم: أن بعض الروايات ذكرت: أنه كبر عليه خمساً أيضاً..

إلا إذا فرض: أن سهيل بن البرصاء كان من المنافقين، وكان «صلى الله عليه وآله» يكبر على المنافقين أربعاً، ويترك التكبيرة الخامسة لأنه لا يريد أن يدعو لهم.

أسد حيدر ماذا يقول؟!:

وقد أنكر أسد حيدر: أن يكون عمر جمع الناس على أربع، على اعتبار كونه يستبعد أن يقدم عمر على إحداث فريضة لم تكن على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ ليس له حق التشريع، ولو فعل، فلا يجب اتّباعه، لأن ذلك من وظيفة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى آخر كلامه[1].

ولكن.. ما ذكره إنما يرد لو لم يكن لهذا الفعل نظائر صدرت من عمر ومن غيره من الصحابة، وتحريمه لزواج المتعة، ومنعه من التمتع بالعمرة إلى الحج، وإسقاطه حي على خير العمل من الأذان، وإضافته لكلمة «الصلاة خير من النوم » فيه، وغير ذلك مما شاع وذاع عنه، مما لا يمكن إنكاره[2].

سرّ الاختلاف في التكبير على الميت:

عن أبي عبد الله «عليه السلام»: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا صلَّى على ميت كبَّر وتشهد، ثم كبَّر وصلَّى على الأنبياء ودعا. ثم كبَّر

---

(١) راجع: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٥ ص٢٤١ و ٢٤٢.

(٢) راجع: النص والإجتهاد لشرف الدين، والغدير للأميني، ودلائل الصدق للمظفر.

ودعا للمؤمنين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ثم كبَّر الرابعة ودعا للميت، ثم كبَّر الخامسة وانصرف، فلما نهاه الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين: كبَّر وتشهد، ثم كبَّر وصلَّى على النبيين، ثم كبَّر ودعا للمؤمنين، ثم كبَّر الرابعة وانصرف ولم يدعُ للميت»[1].

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: صلَّى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جنازة فكبَّر عليه خمساً، وصلَّى على أخرى فكبَّر عليه أربعاً، فأما الذي كبَّر عليه خمساً، فحمد الله ومجده في التكبيرة الأولى، ودعا في الثانية للنبي «صلى الله عليه وآله»، ودعا للمؤمنين والمؤمنات في الثالثة، ودعا في الرابعة للميت، وانصرف في الخامسة.

وأما الذي كبَّر عليه أربعاً، فحمد الله ومجده في التكبيرة الأولى، ودعا لنفسه، وأهل بيته في الثانية، ودعا للمؤمنين والمؤمنات في الثالثة، وانصرف في الرابعة، فلم يدعُ له، لأنه كان منافقاً..»[2].

---

(١) تهذيب الأحكام ج٣ ص١٨٩ والكافي ج٣ ص١٨١ والوسائل (ط قديم) ج١ ص١٤٥ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٤٩ و ٢٥٠ وراجع: منتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٥٢ والذكرى ص٥٩ ومجمع الفائدة ج٢ ص٤٣٣ وعن علل الشرائع ج١ ص٣٠٣ والبحار ج٧٥ ص٣٣٩ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٦٥.

(٢) الوسائل (ط قديم) ج١ ص١٤٥ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٤٩ و ٢٥٠ وراجع: منتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٥٢ وتهذيب الأحكام ج٣ ص٣١٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٦٥ ومسند الإمام الرضا ج٢ ص٤١٨ عن التهذيب، والإستبصار، وذخيرة المعاد ج٢ ص٣٣٠ ومستند الشيعة ج٦ ص٣٠٠ ومصباح الفقيه ج٢ ق٢ ص٥٠٠.

وورد أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر على قوم خمساً، وعلى قوم آخرين أربعاً، وإذا كبَّر على رجل أربعاً اتُهم ـ يعني بالنفاق ـ(١).

ومن الواضح: أن آية النهي عن الصلاة على المنافقين قد نزلت في سنة تسع. وآية النهي عن الاستغفار للمنافقين قد نزلت في السنة الخامسة أو السادسة(٢).

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلَّى على آخر جنازة في سنة تسع: وهي جنازة سهيل بن البرصاء، حسبما تقدم..

فنستنتج من ذلك: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» من حين نُهِيَ عن الاستغفار في الخامسة، أو السادسة، بدأ يكبر على الميت من المنافقين أربع تكبيرات.. وعلى الصالح خمساً..

---

(١) تفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٥٠ والكافي ج٣ ص١٨١ وعن علل الشرائع ج١ ص٣٠٤ والإستبصار ج١ ص٤٧٥ والبحار ج٢٢ ص١٣٥ وج٧٥ ص٣٤٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٧٢ وتهذيب الأحكام ج٣ ص١٩٧ و ٣١٧ ومنهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٥٢ والذكرى ص٥٨ وروض الجنان ص٣٠٨ ومجمع الفائدة ج٢ ص٤٣٢ ومدارك الأحكام ج٤ ص١٦٥ وذخيرة المعاد ج٢ ص٣٣٠ وكشف اللثام (ط جديد) ج٢ ص٣٤٣ ورياض المسائل (ط جديد) ج٤ ص١٥٧ وغنائم الأيام ج٣ ص٤٧٢ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٦٥ وإختيار معرفة الرجال ج١ ص١٦٧ ومنتقى الجمان ج١ ص٢٧٠ و ٢٧٤.

(٢) راجع: مقالاً بعنوان: «الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول» للأخ الكريم الفاضل السيد مرتضى مرتضى دام توفيقه. نشرته مجلة الهادي العدد ٣ سنة ٦ ص٨٠ و ٨١.

فلما نُهي عن الصلاة على المنافق، امتنع من الصلاة عليه بالكلية وكان ذلك في سنة تسع..

وعليه، فيكون مقصود الرواية المتقدمة بالنهي عن الصلاة على المنافق: هو النهي عن الاستغفار له بعد الرابعة، فكأنه لم يصل عليه أصلاً..

أو لعل في الرواية اشتباهاً بين النهي عن الصلاة، والنهي عن الاستغفار، وكيف كان فالأمر سهل.

وبعد كل ما تقدم، نعود لنقول:

إننا لا نجد تعليلاً مقبولاً، للزيادة والنقيصة في تكبيرات النبي «صلى الله عليه وآله»، وبعض الصحابة على الجنازة سوى هذا.. فاشتبه الأمر على البعض الآخر منهم، ولم يعرفوا الوجه فيه؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يصرح لهم بنفاق من يصلى عليه لأكثر من سبب، فاختلفوا فيما بينهم، وجمعهم عمر على أربع قياساً على بعض ما رأوه بنظرهم صالحاً للقياس عليه، ولا عذر للصحابة في موافقته على التصرف في هذا التشريع، حتى لو لم يعرفوا السرَّ الكامن وراء تكبيراته «صلى الله عليه وآله» المختلفة..

ولكن الهاشميين وأهل البيت «عليهم السلام»، الذين منهم أئمة الهدى، وسفينة النجاة، وهم أقرب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأعرف بدقائق أموره، وأسرار تصرفاته قد اطَّلعوا على ذلك وعرفوه.. وبينوه في الوقت المناسب ولكن بعد أن زالت الموانع..

ولو أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد أن يبين هذا الحكم في وقته، وخصوصاً حين اختلاف الصحابة، حينما جمعهم عمر، للزم من بيانه لذلك مفسدة عظيمة، ولاسيما مع وجود بقايا المنافقين فيما بينهم.. وأيضاً مع

وجود أبناء من صلَّى عليهم النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، وعشائرهم، وأقربائهم.

نعم.. إن ذلك سوف يكون صدمة عنيفة لأولئك الأقارب، لا يؤمن معها من حصول ردَّات فعل لا تحمد عقباها، في مجتمع لم يزل قريب عهد بالجاهلية ـ على حد تعبير عمر فيما تقدم ـ وحيث لم تتأصل الروح الدينية في نفوسهم بعد.

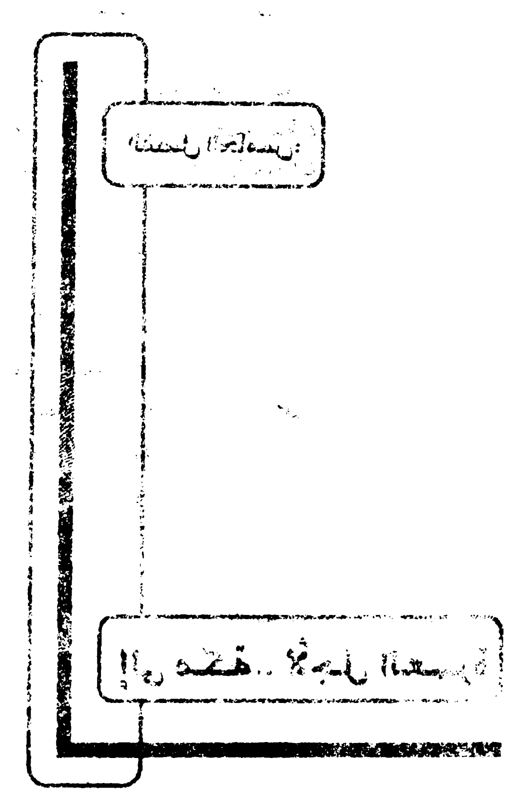
فكان من الصالح أن يسكتوا عن بيان ذلك حينئذٍ مؤقتاً.. ولكنهم استمروا على ممارسة ما يعلمون أنه الحق.. لتمرَّ فترة يقلُّ معها ارتباط الناس بأسلافهم، لِيُمْكِن طرح الحقيقة وبيانها، وهكذا كان..

واستمر عمل الهاشميين على الخمس، وأخذ الآخرون بالأربع ولعل بعضهم أخذ ذلك بحسن نية، وسلامة طوية، وغفلة عن حقيقة القضية..

والآن.. وبعد أن اتضح السرُّ الحقيقي لذلك.. فإننا ندعو الجميع بكل محبة وإخلاص إلى العودة إلى ما عليه أهل البيت «عليهم السلام»، فهم مصابيح الهدى، وباب حطة، وسفينة نوح، التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى.. وهم أحد الثقلين، اللذين لن يضل من تمسك بهما، وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الفصل الخامس:

إلى مكة.. لأجل العمرة



توطئة.. وتمهيد:

عرفنا في جزء سابق، خصصناه للحديث عن غزوة الحديبية: أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» كان قد عاقد قريشاً على دخول مكة بعد الحديبية بعام، وليس معه من السلاح إلا سلاح المسافر، وهو السيوف في القرب (جمع قراب)، بشرط أن لا يقيم بها هو وأصحابه أكثر من ثلاثة أيام، ويخرج في اليوم الرابع، بالإضافة إلى شروط أخرى وضعها «صلى الله عليه وآله» على قريش في عهد الحديبية، كما تقدم.

وبعد سنة من عهد الحديبية قصد النبي «صلى الله عليه وآله» مكة، ليؤدي مناسك العمرة، وفق ما اتفق عليه، وهو ما يعرف بعمرة القضاء.

تصحيح اشتباه:

ولكن ظاهر عبارة بعضهم: أن اشتراط تلك الأمور المشار إليها، إنما كان في عمرة القضاء نفسها، فقد قال: «..ثم خرج «صلى الله عليه وآله» معتمراً عمرة القضاء، فأبى أهل مكة أن يدعوه «صلى الله عليه وآله» يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام الخ..»[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ عن الأنس الجليل.

إلا أن يقال: إن كلمة «حتى» في قوله: «حتى قاضاهم» تصحيف لكلمة «حيث»، ويكون المراد: أنه كان قد قاضاهم على ذلك في الحديبية.

وفي جميع الأحوال نقول:

الصحيح: هو ما ذكرناه أولاً؛ لأن هذه الشروط مذكورة في نفس عهد الحديبية، وهو قد كتب قبل عمرة القضاء بعام، فراجع..

من المدينة إلى مكة:

ومهما يكن من أمر، فإنه «صلى الله عليه وآله» عزم على العمرة في أول ذي القعدة سنة سبع، فأمر أصحابه بأن يتجهزوا لها، وأن لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف عنه أحد، إلا من استشهد في خيبر، أو مات بين الحديبية وعمرة القضاء.

وقد انضم إليهم جمع ممن لم يحضر الحديبية أيضاً، فكان المسلمون في عمرة القضاء ألفين[1].

وكان جعفر بن أبي طالب «عليه السلام»، ممن رافق النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو ممن لم يشهد الحديبية، لأنه كان بالحبشة آنذاك.

فقال رجل من حاضري المدينة من العرب: يا رسول الله، والله، ما لنا زاد، وما لنا أحد يطعمنا.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ والبحار ج٢١ ص٤٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٢ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٣ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٢ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص٦٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٨.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله تعالى، وأن يتصدقوا، وأن لا يكفوا أيديهم فيهلكوا..

فقالوا: يا رسول الله، بم نتصدق، وأحدنا لا يجد شيئاً؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: بما كان، ولو بشق تمرة[1].

وساق «صلى الله عليه وآله» في عمرته تلك ستين بدنة[2]، وقيل سبعين[3]، وقلدها، ليعلم أنها هدي، فيكف الناس عنه، وجعل عليها ناجية بن جندب، ومعه أربعة من أسلم[4].

واستخلف على المدينة أبا ذر، وقيل غير ذلك. وحمل معه السلاح،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٦٢ وتفسير السمرقندي ج١ ص١٢٩.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٤٣ وعن السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ والكافي ج٤ ص٤٣٥ والبحار ج٢١ ص٤٦ وتأويل مختلف الحديث ص١٣٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٩ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٥ ومرقاة المفاتيح للملا علي القاري ج٥ ص٥١٨ وج٧ ص٦٤٦، وراجع: نور اليقين للخنيزي، في إسلام خالد ورفيقيه.

(٣) عن الكامل في التاريخ ج٢ ص١٥٤ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٦.

(٤) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ و ١٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٢٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص٣١٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٥.

والدروع، والرماح. وجعل على السلاح بشير بن سعد.

وقاد معه مائة فرس، عليها ـ كما زعموا ـ محمد بن مسلمة، وأحرم من المسجد، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدَّم الخيل أمامه، فقيل: يا رسول الله، حملت السلاح، وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح إلا بسلاح المسافر، السيوف في القرب؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح، ولكن يكون قريباً منا، فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريباً منا(١).

فمضى بالخيل محمد بن مسلمة، فلما كان بمر الظهران وجد نفراً من قريش، فسألوه، فقال: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله، وقد رأوا سلاحاً كثيراً.

فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً، فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح، ففزعت قريش، وقالوا: ما أحدثنا حدثاً، وإنا على كتابنا ومدتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه؟!(٢).

ثم إن قريشاً بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش إليه «صلى الله عليه وآله»، فلقوه ببطن يأجج، فقالوا: والله يا محمد، ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطت عليهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر، السيوف في القرب؟!

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٥.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إني لا أدخل عليهم بسلاح.

فقال مكرز: هو الذي تعرف به البرّ والوفاء.

ثم رجع مكرز إلى مكة سريعاً، وقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذي شرط لكم(١).

دخول مكة:

قالوا: فلما اتصل خروجه «صلى الله عليه وآله» بقريش خرجت.

وفي نص آخر: خرج كبراؤهم من مكة، حتى لا يروه «صلى الله عليه وآله» يطوف بالبيت هو وأصحابه، عداوة وبغضاً وحسداً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

النبي ﷺ في مكة:

فدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه مكة صبيحة الرابع

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ و ١٩١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٢١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٦.

(٢) راجع: النصوص المتقدمة في: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣١ ـ ٧٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ ـ ١٩١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٨ وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٠.

من ذي الحجة(١)، راكباً ناقته القصواء، وابن رواحة آخذ بزمامها، وأصحابه محدقون به، قد توشحوا السيوف يلبون، ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وهي ثنية كداء.

وكان «صلى الله عليه وآله» **إذا دخل مكة قال: اللهم لا تجعل منيتنا بها،** يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها.

وجعل «صلى الله عليه وآله» السلاح في بطن يأجج، موضع قريب من الحرم.

وتخلف عند السلاح مائتان من المسلمين، ثم قضى الذين كانوا معه مناسكهم، فجاء مائتان منهم فحلوا محل أولئك، فتمكنوا من السعي والطواف، وأداء مناسكهم أيضاً(٢).

وجعل أوس بن خولي على أولئك المائتين(٣).

وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع، ينظرون إليه «صلى الله عليه وآله»، وإلى أصحابه، وهم يطوفون بالبيت، وقد قال كفار قريش: إن المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب.

وفي لفظ، قالوا: يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩١ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٢٣٦ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٤٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٢ والطبقات الكبرى ج٣ ص٥٤٢ وفي ج٢ ص١٢١ مائة رجل.

فأطلع الله نبيه «صلى الله عليه وآله» على ما قالوا، ثم قال: رحم الله امرأً أراهم من نفسه قوة، فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، ليُروا المشركين أن لهم قوة.

فعند ذلك قال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد أوهنتهم؟! هؤلاء أجلد من كذا، إنهم لينفرون (أي يثبون) نفر الظبي، وإنما لم يأمرهم بالرمل في الأشواط كلها رفقاً بهم.

وانتهى «صلى الله عليه وآله» إلى البيت وهو على راحلته، واستلم الركن بمحجنه، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها، وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... إني شهدت أنه رسوله
حقاً وكل الخير في سبيله ... نحن قتلناكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ... ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن الخطاب: يابن رواحة!! بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي حرم الله تقول الشعر؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عمر، إني أسمع.

أو قال: خلِّ عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل.

فأسكت عمر[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٥ و ٧٣٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٢ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩١ و ١٩٢ وفي هامشه عن: البخاري ج٧ ص٥٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٤٣ وعن فتح الباري ج٧ ص٥٧٢ =

زاد في نص آخر قوله: «يابن رواحة، قل: لا إله إلا الله وحده. نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده».

فقالها ابن رواحة، فقالها الناس كما قالها[1].

وذكروا أيضاً: أن الذين اعتمروا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يشهدوا الحديبية، لم ينحروا، فأما من كان شهد الحديبية، وخرج في عمرة القضاء، فإنهم شركوا في الهدي[2].

كما أن بعض النسوة ممن شهدن الحديبية، قد اعتمرن معه «صلى الله عليه وآله».

ونحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين الصفا والمروة.

وحلق خراش بن أمية رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند المروة[3].

واضطبع «صلى الله عليه وآله» بردائه، وكشف عضده اليمنى، ففعلت الصحابة كذلك.

= والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٤ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٢ وراجع: سنن الترمذي ج٤ ص٢١٧ وسنن النسائي ج٥ ص٢٠٣ والشمائل المحمدية ص٢٠٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٨٣ وكنز العمال ج٣ ص٥٨١ والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص١٥١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص٩٩ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٣٥.

(١) راجع المصادر السابقة.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٣ و ١٩٤.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٧ وعن الإصابة ج٢ ص٢٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٥٠.

وهذا أوّل رمل واضطباع في الإسلام[1].

الخروج من مكة:

وكان «صلى الله عليه وآله» يكايدهم كلما استطاع، وأقام «صلى الله عليه وآله» وأصحابه ثلاثة أيام.

فلما تمت الثلاثة التي هي أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى، ومعه سهيل بن عمرو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة.

فقالوا: نناشدك الله، والعقد إلا ما خرجت من أرضنا، فقد مضت الثلاث، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو وأصحابه منها[2].

وزعم بعضهم: أنهم ستروا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من السفهاء

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٢ و ٦٣ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٧١ والمعجم الكبير ج١١ ص٣٨٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٢٦ ومعاني الآثار ج٢ ص١٧٩ ومسند أحمد ج١ ص٣٧٣ وسنن أبي داود حديث رقم ١٨٨٥ وعن صحيح مسلم ج٢ ص٩٢٣ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٥٨١ وراجع: البحار ج٨٤ هامش ص٢٧٦ عن ابن إسحاق، وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٩.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٩ و ٧٤٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٣ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٤ وعن زاد المعاد ج١ ص١١٢٤.

والصبيان حتى لا يؤذوه[١].

وبعد.. فإن لنا مع النصوص المتقدمة، وقفات عديدة، نذكر طائفة منها على النحو التالي:

المستخلف على المدينة:

قيل: استخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المدينة أبا رهم الغفاري[٢].

ولكن ابن سعد ذكر في الطبقات: أن أبا رهم قال: كنت ممن أسوق الهدي، وأركب على البدن في عمرة القضاء. وذكر أنه كان يسير إلى جنب رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٣].

وقال ابن هشام: استعمل عويف (أو عويث) بن الأضبط[٤].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٢ وفي هامشه عن: البخاري ج٧ ص٥٨١ وعن البيهقي في الدلائل ج٤ ص٣٢٨ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩١ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٠ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص ٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ عنه وعن الواقدي، وتاريخ خليفة بن خياط ص٦٠ والمسترشد هامش ص١٣١ عن مغازي الواقدي جلد ١ ص٧.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٤٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٢ عن القاموس، ومكاتيب الرسول ج١ ص٣٧ وعن الإصابة ج٤ ص٦١٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٩.

وقيل: استعمل أبا ذر[1].

الذي حلق رأس رسول الله ﷺ:

وتقدم: أن الذي حلق رأس النبي «صلى الله عليه وآله» هو خراش بن أمية، وهذا غير مسلَّم أيضاً، فقد روي: أنه معتمر بن عبد الله العدوي[2].

لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة:

وقالوا: لما كان بعد سنة من الحديبية أمر النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين بالتجهز لعمرة القضاء، فشكى إليه بعض المسلمين ضيق ذات اليد، فأمر «صلى الله عليه وآله» المسلمين بأن ينفقوا، ويتصدقوا، وألَّا يكفوا أيديهم فيهلكوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ عن البلاذري والبحار ج٢١ هامش ص٤٦ عن ابن هشام، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٩ ومرقاة المفاتيح ج٧ ص٦٤٦ وعن السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ وراجع: نور اليقين، في إسلام خالد ورفيقيه.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ عن إمتاع الأسماع، والطبقات الكبرى ج٤ ص١٣٩ (معمر).

(٣) الآية ١٩٥ من سورة البقرة. وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٢ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٦٢ ومفاتيح الغيب للرازي ج٥ ص٢٩٣ وزاد المسير ج١ ص١٨٧.

ونقول:

إن سورة البقرة ـ كما يقولون ـ هي أول سورة نزلت بالمدينة[1]، فهل بقيت هذه الآية إلى سنة سبع حتى نزلت، ثم أضيفت إلى السورة، كما يضاف غيرها حسب زعمهم؟![2] خصوصاً وأن الأمر يتعلق بأمر الإنفاق في الجهاد، وقد كان المسلمون في المدينة يعانون من ضيق ذات اليد منذ اللحظات الأولى التي بدأوا يواجهون الحروب فيها بعد الهجرة..

لكننا نرى: أن السورة كلها أو طائفة كبيرة منها كانت تنزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» دفعة واحدة، ثم تبدأ الأحداث بالتوالي، فينزل جبرئيل ليقرأ عليه «صلى الله عليه وآله» الآيات التي ترتبط بها، علماً أنها كانت قد نزلت مع سائر الآيات قبل ذلك الحدث بمدة.

والظاهر: أن هذا هو ما حصل بالنسبة لآية التهلكة.

آية التهلكة خاصة:

هذا.. وقد حاول البعض أن يستفيد من هذه الآية أيضاً حكماً بتحريم كل عمل يستبطن درجة من الخطورة على الجسد.

ومما لا شك فيه: أن هذه الآية ناظرة إلى تقرير حقيقة استتباع الامتناع عن الإنفاق في سبيل الله سبحانه، للعقوبة الأخروية، ولا تتعرض إلى إلقاء

---

(١) الدر المنثور ج١ ص١٧ عن أبي داود في الناسخ والمنسوخ، وتفسير الميزان ج١ ص٥٢ وشواهد التنزيل ج٢ ص٤١١ وعن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٨ وعن فتح القدير ج١ ص٥٢٥ وتهذيب الكمال ج٣ ص٣٣٢.

(٢) راجع: حقائق هامة حول القرآن ص١٤٢.

النفس في المخاطر الدنيوية، لا جوازاً، ولا منعاً.. فاستدلال البعض بها على ذلك، ليس له ما يبرره.

وقد ذكرنا في كتابنا مراسم عاشوراء: أن إلقاء النفس في المخاطر تجري فيه الأحكام الخمسة، بحسب ما يعرض من عناوين..

ومن جهة أخرى: فإن هذه الآية لا تنشئ حكماً تعبدياً، بل هي أمر إرشادي، فلا يثبت بمقتضاها أي حكم وراء ما هو ثابت في الشرع لكل مورد بخصوصه، فهي من قبيل الأوامر بإطاعة الله تعالى، وإطاعة رسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ..﴾[1].. وذلك ظاهر لا يخفى..

أحرم من المسجد:

تقدم قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أحرم من المسجد..

وليس المراد به مسجد المدينة، بل المراد به مسجد الشجرة؛ لأنه هو ميقات أهل المدينة، وإنما أحرم «صلى الله عليه وآله» منه.

وقد سئل الإمام الصادق «عليه السلام»: لأي علة أحرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مسجد الشجرة، ولم يحرم من موضع دونه؟!

فقال: لأنه لما أسري به إلى السماء، وصار بحذاء الشجرة نودي: يا محمد!

قال: لبيك الخ..»[2].

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٢٢٤ و ٢٢٥ عن علل الشرائع ص١٤٩ و (ط أخرى) ج٢ ص٤٣٣ وراجع: كشف اللثام (ط جديد) ج٥ ص٢١١ ورياض =

وفي رواية أخرى عن أبي بصير: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: خصال عابها عليك أهل مكة.

قال: وما هي؟

قلت: قالوا: أحرم من الجحفة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أحرم من الشجرة.

قال: الجحفة أحد الوقتين، فأخذت بأدناهما وكنت عليلاً[1].

فإطلاق الكلام عن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحرم من مسجد الشجرة، وعدم الإشارة إلى إحرامه من المدينة، يدل على ما ذكرناه.

وأصرح من ذلك وأوضح: ما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»، حيث قال ـ رداً على دعوى: أن الأفضل إحرام المرء من دويرة أهله ـ: «ولو كان فضلاً لأحرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة»[2].

= المسائل (ط قديم) ج١ ص٣٥٩ و (ط جديد) ج٦ ص١٨٥ وجواهر الكلام ج١٨ ص١٠٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٠٠ وعن مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩٠ والبحار ج١٨ ص٣٧٠ وج٩٣ ص١٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٩٤.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٢٢٩ عن تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ومجمع الفائدة ج٦ ص١٨٣ ومدارك الأحكام ج٧ ص٢١٩ ومستند الشيعة ج١١ ص١٨١ وجواهر الكلام ج١٨ ص١١١ ومستمسك العروة ج١١ ص٢٥٣ وجامع المدارك ج٢ ص٣٦٣.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٢٣٢ عن معاني الأخبار ص١٠٨ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٤٤٩ ومعاني الأخبار ص٣٨٢ والبحار ج٩٣ ص١٢٩.

وفي نص آخر رد الإمام الصادق «عليه السلام» على ذلك بقوله: لو كان كما يقولون لما تمتع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بثيابه إلى الشجرة[1]، وقريب منه غيره[2].

تحديد المسؤوليات في دائرة التنظيم:

وبعد، فإن الذي يراقب الأمور في عمرة القضاء يثير اهتمامه أمران:

أحدهما: أنه «صلى الله عليه وآله» يهتم بتوزيع المهمات، وتحديد المسؤوليات، لكي يتشارك الإحساس بالواجب الشرعي، مع الإحساس بالكرامة الفردية، والعنفوان الشخصي لمن يتحمل أية مسؤولية.. وليتم ويهتم بإنجاز المهمات الموكلة إليه، بعيداً عن روح التواكل والإهمال، وفي مأمن من التقصير الذي قد ينتاب الجماعات التي لم تحدد مسؤوليات أفرادها.

---

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٢٣٤ وفي هامشه عن: من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٠٨ وعن تهذيب الأحكام ج٥ ص١٧ وراجع: منتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٦٦٧ ومجمع الفائدة ج٦ ص١٨٥ وذخيرة المعاد ج٣ ص٥٧٦ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٤٤٨ ومستند الشيعة ج١١ ص١٧٥ والأصول الستة عشر ص٢٤ ومن لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج٢ ص٣٠٦.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٢٣٤ و ٢٤٢ وفي هامشه عن: الكافي (الفروع) ج١ ص٢٥٤ وعن التهذيب ج١ ص٤٦٣ وعن من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٠٨ وراجع: مجمع الفائدة ج٦ ص١٨٥ وذخيرة المعاد ج٣ ص٥٧٦ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٤٤٨ والكافي (ط مطبعة الحيدري) ج٤ ص٣٢٢.

فانطلاقاً من قاعدة: «واجعل لكل واحد منهم عملاً تأخذه به»[1]، جعل «صلى الله عليه وآله» على الهدي ناجية بن جندب، ومعه أربعة من أسلم، وجعل على السلاح والدروع، والرماح بشير بن سعد، وأوكل أمر الخيل ـ وهي مائة فرس ـ إلى محمد بن مسلمة، كما زعموا..

الثاني: أن ذلك يشير إلى أن ثمة سعياً حثيثاً لإرساء قواعد تنظيم يراد له أن يهيمن على الحركة العامة، وأن يخرج الأمور عن دائرة الارتجال الذي يمارسه رئيس القبيلة أو الملك، أو الحاكم، وأن يمنع من حصر كل القرارات التفصيلية بشخص واحد، قد يعجز عن الإحاطة بكل الجزئيات التي يحتاج إلى معرفتها، ليكون قراره صحيحاً ودقيقاً.

إذ بدون هذه الإحاطة الدقيقة تصبح احتمالات إخفاقه في ذلك، وقصور قراراته عن استيعاب جميع المواقع التي يحتاج إليها، أكثر قوة، وأشد حضوراً في الحركة العملية.

لا يتخلف من شهد الحديبية:

وكما جرى في خيبر، جرى في عمرة القضاء أيضاً.. فقد اشترط «صلى الله عليه وآله» هنا كما اشترط هناك حضور من شهد الحديبية، بفارق واحد

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٥٧ وراجع: تحف العقول ص٨٧ وعيون الحكم والمواعظ ص٨٥ والبحار ج٦٨ ص١٤٣ و ج٧١ ص٢١٦ و ٢٣٣ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٤٣ ونهج السعادة ج٤ ص٣٣٣ وموسوعة الإمام الجواد ج٢ ص٥٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص١٢٢ ونظم درر السمطين ص١٦٩ وكنز العمال ج١٦ ص١٨٣.

بسيط، وهو: أنه «صلى الله عليه وآله» حين جاء المخلفون يريدون أن يخرجوا معه إلى خيبر، وقالوا: إنها ريف الحجاز طعاماً، وودكاً، وأموالاً، بعث «صلى الله عليه وآله» منادياً فنادى: لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد، فأما الغنيمة فلا[1].

أما في عمرة القضاء، فإنه لم يمنع أحداً من المسير معه إلى العمرة، بل اكتفى بإعلان حتمية حضور أهل الحديبية معه فيها. ولم يكن في عمرة القضاء غنائم ليعلن حرمان أو عدم حرمان أحد منها..

ولذلك انضم إليه جمع ممن لم يحضر الحديبية.

والسر في هذا وذاك يمكن رسم معالمه على النحو التالي:

١ ـ أما الأسباب بالنسبة لعمرة القضاء فهي:

أولاً: إن هذه العمرة هي أداء نسك ظل الناس محرومين من أدائه مدة طويلة، ولم يكن النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» ليحرم أحداً من أداء نسكه، أو أن يمنعه من القيام بعبادة ربه.

ثانياً: إن التنصيص على لزوم حضور أهل الحديبية يتضمن التعريض بغيرهم، وتعريف الناس بأن تخلفهم عنه «صلى الله عليه وآله» في تلك الغزوة كان بلا مبرر معقول أو مقبول.

ولابد أن يكون هذا درساً لهم ولغيرهم، ويفهمهم: أن التخلف عن طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرضهم للحرمان من أن يكونوا في

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٣٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٢٦.

مواقع التفضل، والرضا، ويوجب لهم انتكاسات لا يروق لهم أن يعرضوا أنفسهم لها.

ثالثاً: إن هذا التنصيص يمثل تكريماً وتعظيماً لمن حضر الحديبية، وهو إعلان بأن حضورهم هناك كان ذا قيمة وذا أهمية، ومن شأن هذا أن يعطيهم، المزيد من الاندفاع نحو الطاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، والحرص على الكون في مواقع رضا الله تبارك وتعالى.

رابعاً: إن حضور المتخلفين عن الحديبية إلى مكة، التي كانت طيلة سنوات لا يأتيهم منها إلا الشرور والمتاعب، والبلايا والمصائب، يجعلهم أكثر شعوراً بعظمة الإنجاز الذي حققه إخوانهم الذين تخلفوا هم عن مشاركتهم، وخذلانهم قبل عام.. ثم هو يثير فيهم الشعور بالحسرة والندم على ما فرط منهم. ويدفعهم نحو التوبة النصوح بقوة وحزم وإخلاص.

٢ ـ وأما بالنسبة لما جرى في خيبر، فالمقصود به هو: تخصيص من حضر الحديبية بالمكافأة، التي لا يستحقها المتخلفون، لأن الله قد جعل هذا الفتح جائزة وثواباً لهم ﴿**وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهَ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾[1].

وبذلك يتشجَّع المحسنون لمضاعفة إحسانهم، ويكون في هذا الإعلان بتكريمهم من التعظيم والإجلال لهم ما يسعدهم، ويفرح أرواحهم، ويبهج قلوبهم.

كما أن فيه إعلاناً بسوء فعل من تخلف، وتقبيحاً لتمرده على الأوامر

---

(١) الآيتان ١٨ و ١٩ من سورة الفتح.

النبوية، وتحذيراً وإنذاراً لمن تحدثه نفسه بأن يتأسى بهم، وتحتم عليه أن يقلع عما عقد العزم عليه، فإن فيه فضيحة لا يرضاها أهل الكرامة، وخزي يأباه أهل الحفاظ.

تقليد الهدي، وحمل السلاح:

والظاهر هو: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يريد دخول مكة من خلال تحطيم عنفوان الشرك، وإسقاط مقاومته من الداخل. أي أنه يريد أن يهزم المشركين نفسياً، من خلال تكوين قناعة لديهم بعدم جدوى مقاومتهم لهذا الدين، والإدراك عملياً بأن حصاد هذه المقاومة لن يكون سوى الدمار والبوار، والمزيد من الخيبات المريرة والمخزية لهم، ليتوصل «صلى الله عليه وآله» ـ من خلال إذكاء هذا الشعور فيهم ـ إلى إخراج مكة والبيت العتيق من أسرهم، من دون أن تراق فيه محجمة من دم، صيانة منه «صلى الله عليه وآله» لحرمة الحرم، وحفاظاً على مكانة البيت وموقعه وحفظاً له من أن يتجرأ عليه أحد، عبر الأحقاب والدهور..

فلأجل ذلك ترى: أنه في نفس الوقت الذي يجهز فيه أمة كبيرة من الناس لدخول مكة للاعتمار، ويستصحب معه الخيل والسلاح، والدروع والرماح، ويقود معه مائة فرس، ويقدمها هي والسلاح أمامه، حين بلغ ذا الحليفة[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ والبحار ج٢١ ص٤٦ ومرقاة الجنان ج٧ ص٦٤٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠.

تراه «صلى الله عليه وآله» يبالغ في إعطاء التطمينات بأنه لا يريد حرباً ولا قتالاً في مسيره ذاك، فهو يقلِّد الهديَ ليُعْلَمَ أنه هدي، فيكفّ الناس عنه..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» لا يخرج نفسه عن دائرة الحذر والاحتياط، فيجعل السلاح قريباً منه، تحسباً لأي طارئ، حتى إنه لما دخل مكة جعل السلاح في بطن يأجج، وهو موضع قريب من الحرم، وجعل لحراسته أوس بن خولي في مائتي رجل، ليمنع بذلك أهل الخيانة والغدر، من التفكير بالغدر، أو افتعال أي ذريعة للخيانة.

قصور النظر لدى بعض المسلمين:

وقد أظهر بعض المسلمين قصور نظر، أو سوء نية حين تظاهر بالاستغراب من أمر السلاح، وقال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، أحملت السلاح، وقد شرطوا علينا ألا ندخل عليهم إلا بسلاح المسافر؛ السيوف في القرب؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنا لا نُدْخِلُهَا عليهم الحرم، ولكن تكون قريباً منا؛ فإن هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريباً منا..

فقال له ذلك الرجل: يا رسول الله، تخاف قريشاً على ذلك؟!

فأسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقدم البدن[1].

ونحن لا نستطيع أن نسكت على هذا التعبير القبيح والوقح، وهو

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ عن الواقدي.

قوله: «فأسكت رسول الله»!! فإنه مناف للأدب معه «صلى الله عليه وآله»، كما أنه مجانب للحقيقة..

والحقيقة هي: أنه «صلى الله عليه وآله» قد سكت عن رجل ضعيف البصيرة، خامل التفكير، سقيم النظر، ومؤثراً عدم بسط القول معه؛ لأن ذلك الاسترسال، قد يؤدي إلى تسليط الضوء على أمور ليس من المصلحة التعرض لها.

وبقي هذا الاحتياط النبوي بحمل السلاح هو الإجراء الصحيح والضروري، وهو الموافق للحكمة والتدبير السليم، إذ لم يكن من الجائز للعاقل الأريب أن يظهر من نفسه الغفلة والاستنامة، مع عدو عرف بالغدر، والانطواء على نوايا مدخولة، وأهداف شريرة.

يضاف إلى ما تقدم: أن من المصلحة تعريف الناس بحقيقة هذا العدو الذي يواجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه عدو غير مأمون على الوفاء بتعهداته، وأن نهجه خياني وغادر، في حين لم يزل نفس ذلك العدو يشهد له «صلى الله عليه وآله» بأنه لم يزل يعرفه بالوفاء والاستقامة، من صغره إلى كبره، وفي جميع الأوقات والحالات..

وآخر ما نقوله هنا هو: أن المقصود من جعل السلاح قريباً منه: هو إرهاب ذلك العدو، وتعريفه بأن التفكير في غير سياق الوفاء بالعهود، سوف يعيد الأمور إلى مجراها الأول وهو مقاومة الظلم والبغي، وأن ليس ثمة أي خلل أو قصور في التصميم على نشر هذا الدين، وأن العزم لا يزال منعقداً على متابعة المسيرة، فلا مجال للمساومة، ولا للتراخي في شيء من الحقوق التي جعلها الله تعالى للمسلمين والمستضعفين، مهما طال الزمن،

فلا فائدة من التآمر، ولا جدوى من خيانة العهود، إلا المزيد من المآسي والرزايا، والنكبات والبلايا.

رعب قريش وحيرتها:

وبالعودة إلى موضوع تقديم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخيل أمامه، حتى بلغت مر الظهران، فرأى أولئك النفر من قريش ـ أو الذين كانوا هناك ـ خيلاً كثيرة، وسلاحاً وفيراً.. فطاروا بالخبر إلى قريش، التي فزعت من ذلك، وتحيرت، وظنت أن ثمة غزواً لها من قبله «صلى الله عليه وآله»..

إننا بالعودة إلى ذلك نقول:

لقد كان هذا التصور هو ما يريده النبي «صلى الله عليه وآله»؛ لأن ذلك يعني: أن هذه المفاجأة قد أثمرت ما يلي:

أولاً: وضع قريش على محك المفاجآت لتقترب من التفكير بموضوعية وواقعية، فلا تستسلم لخيالاتها وأوهامها، التي قد توحي لها بأن الأمور تسير على وتيرة واحدة، أو تتوهم أن من الممكن أن تعرض للنبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين غفلة، تستطيع الاستفادة منها، في تسديد ضربتها الغادرة.

فإن شعورها ذاك، وتوهمها هذا، يثير فيها الرغبة الجامحة إلى أن تخطط، وتدبر، وتتآمر.. على أمل أن تنجح بتغيير المعادلة، إذا أصابت غرة من عدوها الغافل عما دبرته له، وكادته به.

ولكنها إذا عرفت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يفكر في كل اتجاه، ويلاحق كل صغيرة وكبيرة، فسوف لا تجرؤ على الدخول في مغامرة خطيرة من هذا القبيل.

ثانياً: إن هذه المفاجأة التي حيَّرت قريشاً، دفعتها إلى الاعتراف لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه ما عرف بالغدر صغيراً، ولا كبيراً، بل كان البر الوفي في جميع أحواله وشؤونه.

ولابد أن تكون قد استحضرت في مقابل ذلك ما كان منها طيلة عشرين سنة تجاهه «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، من ظلم وغدر، وقطيعة رحم، وأذى.

كما أن لهذا الاعتراف أهميته البالغة، في فضح حقيقتها، وتعريف الناس بمدى شناعة وقباحة فعلها، فيما مضى، ثم فيما يأتي، حيث إنها سوف تغدر به، بعد أقل من سنة من هذا التاريخ، وتضطره إلى دخول مكة على غير هذه الصورة، وهو ما عرف بفتح مكة.

ثالثاً: كانت قريش تعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين حققوا أعظم الانتصارات وأجلها في المنطقة بأسرها، سواء على المشركين، أم على اليهود، ولابد أن تتوقع منه التفكير فيما هو أبعد من ذلك.

فقد هالها أن تراه يفكر ويبادر إلى نشر هذا الدين فعلاً في أرض الحبشة، وكان النصر حليفه في ذلك، وها هي تراه قد أرسل إلى جبابرة الأرض يطالبهم بالاستجابة لأمر الله تعالى، والإيمان بنبوته.

هذا، على رغم أن أعداد أنصاره كانت لا تزال قليلة، وعُدَّتهم ضئيلة.. فكيف وقد تضاعف العدد، وقويت العدة، وأصبح المسلمون أسياد المنطقة بأسرها. وصار الكل يرهب جانبهم، ويطمح إلى إنشاء علاقات طبيعية معهم؟!

رابعاً: إذا ظهر أن هؤلاء الأقوياء لم تسلمهم قوتهم المتنامية، ولا كثرة

عددهم إلى الغرور، ولم تؤثّر انتصاراتهم في حقيقة ومستوى التزامهم بعهودهم، وبشعاراتهم، وبمبادئهم، وقيمهم، وبأحكام دينهم، وأخلاقهم قيد شعرة.

فذلك من شأنه: أن يهزَّ وجدان الكثيرين من الناس، وأن يدعوهم إلى احترامهم، وإلى الثقة بهم، والسكون إلى كل ما يقولونه ويفعلونه..

الحقد هو الحاكم، وليس المنطق:

وبعد، فقد ذكر النص المتقدم: أن كبراء قريش خرجوا من مكة، حتى لا يروا النبي «صلى الله عليه وآله» يطوف بالبيت هو وأصحابه، حسداً، وعداوة، وبغضاً له «صلى الله عليه وآله».

فإذا كان الكبراء والرؤساء تسيِّرهم مشاعرهم، ويتخذون مواقفهم انطلاقاً من البغض، والحسد والحقد، لا من خلال التفكير والتروي، ووزن الأمور بميزان العقل والحكمة، فماذا نتوقع من عامة الناس يا ترى.. فهل تراهم سوف يتصرفون على عكس ما يجدونه من كبرائهم ورؤسائهم؟! خصوصاً مع ما هو معروف من أن عامة الناس على دين ملوكهم، ولهم يكون سعيهم، وهم يبذلون غاية جهدهم في إجابة مطالبهم، وتحقيق رغباتهم ومآربهم..

ويذكرنا فعل هؤلاء، وما نتوقعه من أولئك بقول الشاعر:

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً ... فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ظهور الوهن في المهاجرين:

وبمجرد أن عرفت قريش بمسير النبي «صلى الله عليه وآله» بدأت شائعاتها تلاحق المسلمين، فقد ذكروا: أنه لما نزل النبي «صلى الله عليه وآله» مرَّ الظهران في عمرته، بلغ أصحابه: أن قريشاً تقول: ما يتباعثون من العجف.

فقال أصحابه: لو انتحرنا من ظهرنا، فأكلنا من لحمه، وحسونا من مرقه، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تفعلوا، ولكن اجمعوا إلي من أزوادكم.

فجمعوا له، وبسطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تركوا، وحشى كل واحد منهم في جرابه[1].

وقد تقدم: أن جمعاً من المشركين حين نظروا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، وهم يطوفون، لفت نظرهم المهاجرون دون غيرهم، رغم اختلاط الناس بعضهم ببعض، ورغم قلة عدد المهاجرين بالقياس إلى ذلك العدد الكبير من غيرهم، فقالوا: إن المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب.

ويبقى هنا أمامنا سؤالان:

السؤال الأول هو: لماذا نسبوا ما يلاحظونه من تعب ووهن في المهاجرين إلى الحمى، ولا ينسبونه إلى تعب السفر ومشقاته؟!

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٢٠٥ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٨٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩١ وج٩ ص٤٨٥ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٧.

والجواب: لعلهم أرادوا الإيحاء للضعفاء من الناس ولأنفسهم: بأن هذا الوهن كامن في عمق شخصية أولئك الأفراد، وأنه ثابت ودائم فيهم، وليس أمراً عارضاً بسبب متاعب ومشقات السفر، لكي يزول بمجرد الراحة والجمام.

والسؤال الثاني هو: لماذا خصوا كلامهم بالمهاجرين دون غيرهم؟!

ونجيب:

أولاً: إن بعض الروايات قد ذكرت ذلك بصيغة تعم المهاجرين والأنصار، وأنهم قالوا: يقدم عليكم قوم أوهنتهم حمى يثرب..

ثانياً: لعل بعضهم خص الكلام بالمهاجرين، وبعضهم أطلقه ليشمل غيرهم معهم.

ثالثاً: إن وجود المهاجرين بين المسلمين يزيد في حسرة قريش، وفي إحراجها أمام الناس العاديين، الذين يرون أن لهم أقرباء في المسلمين، فلماذا يقسون عليهم، فلعل الأيام تعيد الأمور إلى مجاريها، ويجتمع شملهم بهم؟!

فإذا أظهرت قريش: أن هؤلاء المهاجرين الأقارب لم يسعدوا بتركهم مكة، بل واجهوا الأمراض، وابتلوا بالوهن والضعف، فذلك يقلل من درجة الحنين أو الميل إلى مشاركتهم في ما هم فيه. ما دام أن ثمن ذلك سيكون ضعفاً ووهناً..

أما الأنصار، فقد كانوا قحطانيين، ولا تربط أهل مكة العدنانيين بهم روابط عميقة، ولا يجدون في أنفسهم ميلاً للكون معهم، ومشاركتهم في حلو الحياة ومرها..

وأما المشركون الذين تحدثوا بصيغة التعميم لصفة الضعف والوهن حتى تشمل جميع من جاء مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فلعلهم أرادوا أن

يصدوا الناس عن التفكير في المدينة من حيث هي منشأ للحمى الموجبة للضعف، والوهن لكل من يسكن فيها!

إظهار القوة.. يبطل كيدهم:

وحين أطلع الله عز وجل نبيه «صلى الله عليه وآله» على مقالتهم هذه، طلب من أصحابه إظهار القوة، وأطلق دعاءه بالرحمة لمن يفعل ذلك.

ولم يُرِدْ «صلى الله عليه وآله» أن يجسد هذه القوة في حركات تستبطن التحدي، أو الادعاء القولي، بل أراد تجسيدها بطريقة تظهر حقيقة وجودها بالفعل في واقع نفس كل واحد من أصحابه، ولذلك قال لهم: «أراهم من نفسه قوة»، أي أنه يريد أن يرى المشركون القوة نفسها في حركة الجسد، لا أن يسمعهم ادعاءات وجودها.

واختار أن يجسدها في نفس ممارستهم العبادية، فأمرهم بالرمل ـ وهو ضرب من المشي السريع ـ في الأشواط الثلاثة.

كما أن طريقة المشي هذه تستبطن ما يشبه الوثبة مع كل خطوة، ولهذا تأثيره القوي في إعطاء الانطباع المطلوب.

وقد فاجأت حركات المسلمين هذه أهل الشرك، فجاء الاعتراض القوي من قبل أولئك الذين أُريد تضليلهم، بادعاء تأثير حمى يثرب في وهن قوتهم، وكان اعتراضاً يستبطن تكذيب هذا الزعم.

فقالوا: «هؤلاء الذين زعمتم: أن الحمى قد وهنتهم؟! هؤلاء أجلد من

كذا (أو أجلد منا)، (أو ما يرضون بالمشي) أما إنهم لينفرون نفر الظبي»[1].

إجراء آخر لإظهار القوة:

وبعد هذا الاستعراض العملي، جاء إجراء عملي آخر، ليرسخ ذلك الانطباع الذي تركه الإجراء الأول، من حيث إنه يريد أن يفهمهم: أن ما جرى في الطواف لم يكن أمراً عابراً، فرضته مناورة ومكابرة، بل هو يستند إلى مخزون حقيقي من القوة الكامنة في كيان أولئك الأفراد أنفسهم.

ويتلخص هذا الإجراء: في أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى الاضطباع، ثم الكشف عن عضده اليمنى. ففعل الصحابة كذلك..

قالوا: وهذا أول رمل واضطباع في الإسلام[2].

ونلاحظ هنا:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر هو نفسه لممارسة نفس الفعل الذي كان يفترض أن يأمر أصحابه به، فاضطبع، وأخرج يده.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٢ وعن مسند أحمد ج٣ ص٥٠٢ ومجمع الزوائد ج٣ ص٦٠٧ وراجع: المجموع ج٨ ص٤١ وتلخيص الحبير ج٧ ص٣٢٥ ومغني المحتاج ج١ ص٤٩٠ وإعانة الطالبين ج٢ ص٣٣٨ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٣٨٧ وفقه السنة ج١ ص٧٠٢ عن مسند أحمد ج١ ص٢٩٥ وعن صحيح مسلم ج٤ ص٦٥ وعن سنن أبي داود ج١ ص٤٢١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٨٢ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٥٠٤ ونصب الراية ج٣ ص١٢٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٢.

ثانياً: لم يتضح لنا هل اضطبع «صلى الله عليه وآله»، قبل الطواف، أو بعده؟!

ثالثاً: إن أصحابه «صلى الله عليه وآله» قد اقتدوا به، من دون أن يحتاج إلى أن يأمرهم بذلك.

رابعاً: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما كشف عن عضد اليد اليمنى، التي تتولى عادة القبض على مقابض السيوف والرماح، وتورد الضربات المهلكة على الأعداء. ليترك ظهور عضلات هذه اليد بالذات أثراً في نفوس الأعداء.

وقد روي أن ابن عباس سئل، فقيل له: يزعمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر بالرمل حول الكعبة.

فقال: كذبوا وصدقوا.

قلت: وكيف ذلك؟!

فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دخل مكة في عمرة القضاء وأهلها مشركون، فبلغهم أن أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» مجهودون، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله امرء أراهم من نفسه جلداً».

فأمرهم، فحسروا عن أعضادهم، ورملوا بالبيت ثلاثة أشواط، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقته، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها، والمشركون بحيال الميزاب ينظرون إليهم.

ثم حج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فلم يرمل ولم يأمرهم بذلك، فصدقوا في ذلك، وكذبوا في هذا[1].

---

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٢٩ وراجع: الحدائق الناضرة ج١٦ ص١٢٨ =

خامساً: المروي عن أهل البيت «عليهم السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اكتفى بالرمل، وبكشف عضده، وأنه فعل ذلك في عمرة القضاء، وقد حج بعد ذلك، ولم يفعل، ولم يأمر بشيء من ذلك[1].

سادساً: إن الاضطباع للمحرم عند أهل السنة: هو إدخال الرداء تحت الإبط الأيمن، وتغطية الأيسر، وبذلك يتم إظهار أحد ضبعيه.

والضبع: وسط العضد بلحمه.

وقيل: العضد كلها.

وقيل: الإبط[2].

وفي جميع الأحوال نقول:

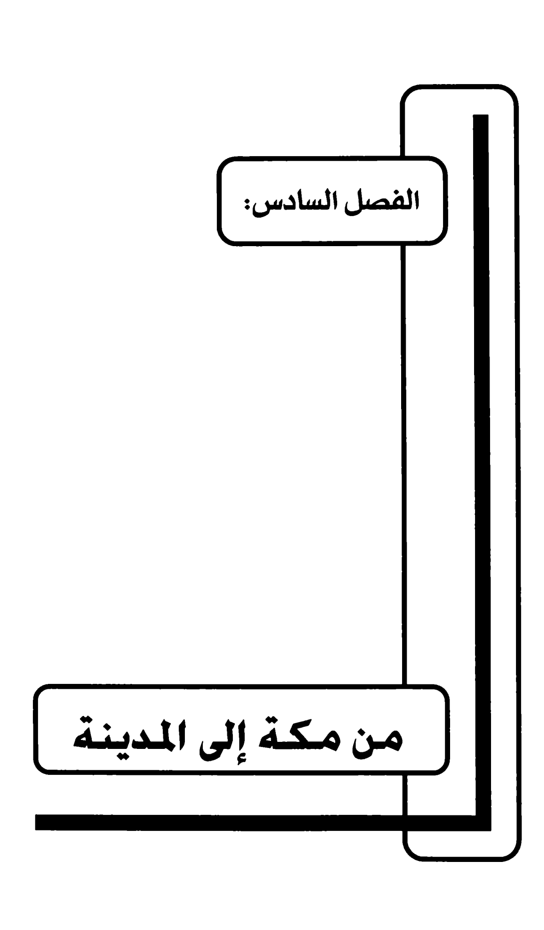
إن الذي فرض الاضطباع هو حالة خاصة، عالجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الطريقة، فيبقى الأمر مرهوناً بها، ولا مجال لإحراز بقاء

= ورياض المسائل (ط جديد) ج٧ ص٤١ وجواهر الكلام ج١٩ ص٣٥١ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٩٤ والبحار ج٩٣ ص٣٥٣ وراجع صحيح ابن حبان ج٩ ص١٥١.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٢٨ و ٤٢٩ وفي هامشه: من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٣٥، وعن فقه الرضا ص٢٣ وراجع: علل الشرائع ج٢ ص٤١٢ و ٤١٣ وعن الكافي (الفروع) ج١ ص٢٧٩ وعن تهذيب الأحكام ج١ ص٤٧٧ وراجع: الحدائق الناضرة ج١٦ ص١٢٨ ورياض المسائل (ط جديد) ج٧ ص٤١ وجواهر الكلام ج١٩ ص٣٥١ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٩٤ والبحار ج٩٣ ص٣٥٣.

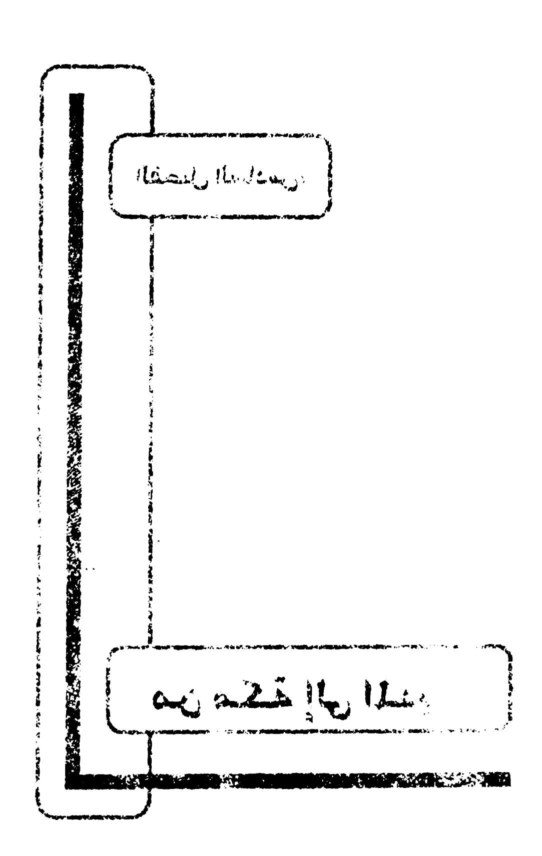
(٢) راجع: مادة ضبع في كتب اللغة، مثل أقرب الموارد ج١ ص٦٧٦ وكتاب العين ج١ ص٢٨٤ ولسان العرب ج٨ ص٢١٦.

هذا كتشريع مستمر بعده «صلى الله عليه وآله». فكيف إذا ورد عن أهل بيت العصمة «عليهم السلام» ما يدل على أنه حالة خاصة، وليس لها أي صفة شرعية؟!



الفصل السادس:

من مكة إلى المدينة



هل كان أبو هريرة مع الهدي؟!

ذكر الواقدي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جعل ناجية بن جندب الأسلمي على هديه، ومعه أربعة فتيان من أسلم[1].

ولكننا نجد في مقابل ذلك: أن أبا هريرة الدوسي يدعي ويقول: كنت ممن صاحب البدن أسوقها.

كما أن عبيد بن أبي رهم قال: أنا كنت ممن يسوق الهدي، وأركب على البدن[2].

مع أن أبا هريرة لم يكن أسلمياً، ولم نجد لعبيد بن أبي رهم ترجمة تدلنا على قبيلته، ولم نجد أبا رهم في بني أسلم..

إلا أن يقال: إن الذين وظفهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الهدي هم الأسلميون، فلا يمنع ذلك من مشاركة غيرهم لهم على سبيل

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ ودلائل النبوة ج٤ ص٣٢٠، والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٥.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٣، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٤٤.

التبرع، والمبادرة الشخصية..

على أننا لا نستبعد أن يكون المقصود: هو التبجح بأمر لم يحصل منه إلا اليسير، إذ لا مانع من أن يبادر شخص فيسوق الهدي ولو لدقائق، لكي يقول للناس: لقد سقت الهدي، وليثبت لنفسه شرفاً وكرامة، مهما كان ذلك ضئيلاً، وغير ذي بال!!

شعر ابن رواحة:

وعن شعر عبد الله بن رواحة «رحمه الله» نقول:

إن لنا تحفظاً على قوله: «نحن ضربناكم على تأويله»، لأن قريشاً وأهل مكة لم يسلموا بعد، ولم يقروا بالتنزيل، ولم يتأولوا القرآن على خلاف ما أنزل الله تعالى، ولم يقاتلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على تأويله..

وإنما حاربهم علي «عليه السلام» على تأويله بعد استشهاده «صلى الله عليه وآله»..

ولأجل ذلك قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله»، إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم، قال السهيلي: يعني يوم صفين[1].

إلا أن يقال: إن عبد الله بن رواحة كان قد سمع من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن علياً «عليه السلام» سوف يقاتل هؤلاء القوم على تأويل القرآن، كما قاتلهم على تنزيله، فأورده في شعره، على سبيل تنزيل الأمر الذي لم يحصل بعد منزلة الحاصل، فأخبر عنه بواسطة الفعل الماضي.

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣١.

ومن الواضح: أن هذا الاحتمال لا يصار إليه إلا بقرينة ودليل، لأنه خلاف الظاهر.

وزعم الحلبي: أنه لا يمنع أن يكون عمار قد أخذه من ابن رواحة وتمثل به[1].

ونقول:

ذكرنا: أنه لا معنى لأن يقول ذلك ابن رواحة، وليس الإشكال في إيراد عمّار لهذا الشعر، خصوصاً لقوله:

اليوم نضربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

فما ذكره لا أثر له في دفع هذه المؤاخذة..

خطأ يقع فيه الترمذي:

وذكر الصالحي الشامي: أن أبا عيسى الترمذي بعد أن ذكر رجز ابن رواحة، قال:

وفي غير هذا الحديث: أن هذه القصة لكعب بن مالك، وهو الأصح، لأن عبد الله بن رواحة قتل بمؤتة، وكانت عمرة القضاء بعد ذلك.

قال الحافظ: وهو ذهول شديد، وغلط مردود. وما أدري كيف وقع الترمذي في ذلك، ومع أن في قصة عمرة القضاء، اختصام جعفر، وأخيه علي، وزيد بن حارثة في بنت حمزة، وجعفر قتل هو وزيد وابن رواحة في موطن واحد، فكيف يخفى على الترمذي مثل هذا؟!

ثم وجدت عند بعضهم: أن الذي عند الترمذي من حديث أنس: أن

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٤.

ذلك كان في فتح مكة. فإن كان كذلك اتجه اعتراض الترمذي.

لكن الموجود بخط الكروخي، راوي الترمذي، هو ما تقدم. وكذلك رأيته في عدة نسخ من جامع الترمذي"[1].

يا عمر، إني أسمع:

ويستوقفنا هنا قول عمر بن الخطاب: يابن رواحة.

ثم قول النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عمر، إني أسمع.

فهل هذا الخطاب من عمر، خطاب توعُّد وتهديد لابن رواحة؟!

أو هو خطاب تحذير له، من أن يسمعه أهل الشرك، فتثور ثائرتهم؟!

أو هو خطاب يستبطن الاتهام بعدم رعاية جانب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، باعتبار أنه لم يسبق إذن منه «صلى الله عليه وآله» لابن رواحة بهذا الإنشاد؟!

فقد يقال: إن التهديد والوعيد هو الأرجح والأظهر هنا، بملاحظة ما ورد في الرواية نفسها، فهي تقول:

«فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عمر، إني أسمع. فأسكت عمر».

فلولا أن عمر كان غاضباً وحانقاً، ومتوعداً لم يكن وجه لقوله: فأسكت عمر. الظاهر في أنه قد كف عن متابعة أقواله قسراً وجبراً..

ثم إن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عمر إني أسمع، قد أريد به أمران:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٧ وراجع: تحفة الأحوذي ج٨ ص١١٢ وعن فتح الباري ج٨ ص٢٨٤.

أحدهما: إعلام عمر بأنه «صلى الله عليه وآله» راض بقول ابن رواحة، وبأنه «صلى الله عليه وآله» قد حسب لكل شيء حسابه، فلا داعي للخوف من ردة فعل المشركين، التي ربما يجد فيها عمر ما يؤذيه، أو يؤذي توجهاته..

الثاني: صد عمر عن مواصلة هجومه وتحدياته لابن رواحة.

وقد قلنا: إن البعض ربما يرى أن احتمال إرادة تطمين عمر غير وارد؛ لأن أهل الخير من المؤمنين والمسلمين يشعرون أنهم في أمن وأمان، وهم على يقين من حسن تدبير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يخالجهم شك في ذلك.

فيتعين أن يكون المراد: الصد لعمر عن وعيده، وتهديده، وهذا هو الأوفق بلحن الكلام وسياقه..

امشوا بين اليماني والأسود:

وذكر الواقدي: أن جبرئيل «عليه السلام» نزل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن المشركين على الجبل، وهم يرونكم، امشوا بين اليماني والأسود، ففعلوا[1].

ونقول:

لم نفهم معنى لإصدار الأمر للمسلمين، وهم ألفا رجل، جاؤوا للطواف بالبيت، بأن يمشوا بين اليماني والأسود!!

فإن ذلك غير ممكن، بل غير قابل للتصور.

بل الظاهر: أنه «صلى الله عليه وآله» أمرهم بالطواف بين مقام إبراهيم،

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٦.

وبين الحجر الأسود. وذلك لكي يظهر للمشركين الذين يراقبونهم من فوق الجبل: أنهم كتلة واحدة، متراصة، شديدة التلاحم، توحي بالقوة، والتناصر.. بدلاً من أن يتفرقوا أفراداً وجماعات في أكناف المسجد وأطرافه، فيظهر لهم ـ للمشركين ـ أحجام أفرادهم، وتبدو لهم الفُرَجُ فيما بينهم، فتقتحمهم أنظارهم باستخفاف، وتوحي لهم تلك الفرج الخالية بين الأفراد بالتجزئة المظهرة لصِغر الأحجام، التي تشي بالضعف، وبالتشتت والتفرق.

أذان بلال فوق ظهر الكعبة:

وقالوا: إنه لما قضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نسكه دخل البيت، فلم يزل فيه حتى أذَّن بلال بالظهر فوق ظهر الكعبة، امتثالاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبي، حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول.

وكذلك قال صفوان بن أمية.

وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي، ولم يشهد هذا اليوم، حين يقوم بلال ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة.

وأما سهيل بن عمرو، ورجال معه، فحين سمعوا ذلك غطوا وجوههم.

وفي شرح النهج للمعتزلي: أن خالد بن سعيد بن العاص قال: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يدرك هذا اليوم.

وقال الحارث بن هشام: واثكلاه! ليتنى مت قبل هذا اليوم، قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة!

وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبد بني جمح، يصيح بما يصيح به على بيت أبي طلحه[١].

وقالوا: إن بلالاً قد أذن فوق الكعبة يومئذٍ مرة واحدة، ولم يعد بعد، وهو الثبت[٢].

وقالوا أيضاً: إن المشهور هو أن بلالاً أذن فوق الكعبة في يوم الفتح، لا في عمرة القضاء[٣].

ثم قالوا: لم يدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكعبة في عمرة القضاء، وقد طلب ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المشركين، فأبوا، وقالوا: لم يكن في شرطك[٤].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٨٤ والدرجات الرفيعة ص٣٦٥ وراجع: الوفا بتعريف فضائل المصطفى.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٧ و ٧٣٨ والبحار ج٢١ ص٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٣ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٢٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٨ و ٤٣٩.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٥، وحول أذان بلال يوم الفتح راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٢٥٣ وج٨ ص٥٣٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥١٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٨ والمصنف للصنعاني ج١٠ ص٣٩٣ وعن تاريخ مدينية دمشق ج١٠ ص٤٦٦ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٥٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٧٥ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٩ ص١٤٧.

(٤) المغازي ج٢ ص٧٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥.

ونقول:

الراجح من الاحتمالات والأقوال:

إننا بالنسبة للاختلاف في دخول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى داخل الكعبة، وأنهم منعوه من ذلك، أو عدم حصول شيء من ذلك نقول:

نحن نرجح: أنهم قد منعوه من دخولها في عمرة القضاء؛ وقالوا له: إن ذلك لم يكن في شرطك، وهو إنما دخلها في فتح مكة[1]، وفي حجة الوداع[2].

وبالنسبة إلى أذان بلال فوق الكعبة في عمرة القضاء، أو فيها وفي حجة الوداع معاً، نقول:

كلاهما محتمل، وسيأتي أيضاً: أنه أذن فوق الكعبة يوم الفتح، ولكننا نرفض احتمال أن يكون أذان بلال مختصاً بحجة الوداع دون سواها؛ لأن الأقوال المنقولة عن زعماء قريش وإهاناتهم له، تؤيد وتناسب أن يكون قد أذن على ظهر الكعبة في عمرة القضاء وفي فتح مكة أيضاً.

---

(١) مستند الشيعة ج١٣ ص٨٤ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٦٠ والبحار ج٩٣ ص٣٥٧ ونيل الأوطار ج٢ ص١٤٧ والمعجم الصغير ج١ ص٧٧ و ٧٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٧٥ وسير أعلام النبلاء ج٢٣ ص١٥٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٤٧ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٧٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٧١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٧١ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص٨٤ والديباج على مسلم ج٣ ص٧٣.

(٢) تلخيص الحبير ج٣ ص٢٢٢ وشرح مسند أبي حنيفة ص٧٨.

لماذا بـلال؟!

لقد كان العرب يأنفون من إعطاء أي دور للموالي، وكانوا يحتقرونهم، ويسيئون معاملتهم، ويحرمونهم من أبسط حقوقهم، ولعلهم أخذوا ذلك من اليهود..

وقد جاء الإسلام ليساوي بين المولى والعبد، على قاعدة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى[2].

فأثارت هذه التشريعات حفيظة الكثيرين منهم، حتى بعض أولئك الذين تظاهروا بالإسلام، فإنهم سرعان ما نقضوا هذه الأحكام بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعادوا إلى مفاهيمهم الجاهلية، فميزوا العربي على الأعجمي، والسيد على العبد، والأبيض على الأسود، في الإرث والزواج، والصلاة، وفي كثير من الأمور..

ثم لما أراد علي «عليه السلام» أن يعيد الناس إلى سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» واجهوه بالحرب التي راح ضحيتها الألوف من المسلمين، فراجع

---

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٥ ص٤١١ وكنز العمال ج٣ ص٦٩٩ وفتح الباري ج٦ ص٣٨٢ ومسند ابن المبارك ص١٤٧ والمعجم الأوسط ج٥ ص٨٦ والعهود المحمدية ص٨٧٣ ووضوء النبي ج١ ص٢٢٢ والمبسوط للسرخسي ج٥ ص٢٣ ونيل الأوطار ج٥ ص١٦٤ والغدير ج٦ ص١٨٨ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤١٢ وتفسير الميزان ج١٤ ص٣٣٤ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٣٨٢ وج٣ ص٥٤٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٢.

أسباب حرب الجمل.

وقد ذكرنا نبذة مما يتعلق بهذا الأمر في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي» فيمكن الرجوع إليه.

وإن ما صدر عن قريش تجاه بلال، حين شرع في الأذان؛ إن دل على شيء، فهو يدل على مدى الألم الذي كان يشعر به القرشيون، وهم يرون بلالاً الأسود، والمولى، والفقير، والحبشي الغريب!! يرونه فوق الكعبة، وهي أعظم ما يعتزُّون به..

نعم، لقد هالهم أن يسمعوا بلالاً يعلن بتلك الكلمات التي طالما حاربوها، وسعوا في إبطالها، وقتل من آبائهم وإخوانهم، وأبنائهم العشرات، وخسروا الكثير من تحالفاتهم، ومن مكانتهم، ومن هيبتهم، ومن أموالهم، في سبيل إسقاطها، والقضاء عليها.

إن صوت بلال الذي ارتقى فوق الكعبة، التي يزعمون للناس أنهم هم حفظتها وسدنتها سوف يمزقهم، وسيحرق قلوبهم، في وقت يجدون أنفسهم فيه عاجزين عن القيام بأي شيء، وهذا العجز، وتلك الحرقة سوف ينتجان لديهم شعوراً بالصَّغار، وبالخزي، والذل، والاندحار.

وقد ظهر ذلك بصورة واضحة في تعابيرهم، حيث وصف عكرمة وغيره بلالاً بالعبد. ووصف خالد بن أسيد صوته بالنهيق، وأنه ينهق فوق الكعبة، وسهيل بن عمرو وجماعة معه راحوا يغطون وجوههم، حين سمعوا أذانه..

واللافت هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار الأذان لصلاة الظهر، وهو الوقت الذي تكون فيه أشعة الشمس ساطعة، ويتمكن جميع الناس من سماع الصوت، ومن رؤية صاحبه في موقعه ـ وهو ظهر الكعبة ـ ويرون

لونه، وتقاسيم وجهه، ويعرفون شخصه.

وكان بلال معروفاً لديهم، لأنه عاش بينهم، وتداولته أيدي بعض زعمائهم، وقد عذبوه من أجل دينه، وإسلامه.

ولعل هذه الخصوصية أيضاً، هي التي رجحت اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» له لهذه المهمة. فلم يأمر رجلاً من أهل المدينة أو من غيرهم بالقيام بهذا الأمر.. وذلك لكي يزيد هذا الاختيار من حسرة المشركين، وتتضاعف لأجله آلامهم، ويعظم به ذلهم وخزيهم.

بين سهيل وسعد بن عبادة:

ومن الأمورالجديرة بالتأمل هنا: طريقة النبي «صلى الله عليه وآله» في معالجة الأمر بين سعد بن عبادة، وسهيل بن عمرو، ومن معه..

وملخص ما جرى: حسب نقلهم هو: أن قريشاً كانت قد فوضت حويطب بن عبد العزى بإخراج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة[1]، فجاء سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو في مجلس من مجالس الأنصار، يتحدث مع سعد بن عبادة، فقالا: قد انقضى أجلك، فاخرج عنا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وما عليكم لو تركتموني، فأعرست بين

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٤ وراجع: البحار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ وج٢١ ص٤٦ عن ابن هشام ج٣ ص٢٤٦ والمعجم الكبير ج١١ ص١٣٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢١٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٨ و ٨٢٩ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٧٠.

أظهركم، فصنعت لكم طعاماً؟!

فقالا: لا حاجة لنا في طعامك، اخرج عنا. ننشدك الله، يا محمد، والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا، فهذه الثلاث قد مضت.

وكان «صلى الله عليه وآله» لم يدخل تحت سقف بيت من بيوت مكة، بل ضربت له قبة من أدم بالأبطح، بقي فيها إلى أن خرج من مكة.

فغضب سعد بن عبادة، لما رأى من غلظة كلامهم للنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال لسهيل: كذبت، لا أم لك، ليست بأرضك، ولا أرض أبيك. والله، لا يبرح منها إلا طائعاً راضياً.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: يا سعد، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا.

قال: وأُسْكِتَ الرجلان عن سعد، ثم أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالرحيل، وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين، وركب «صلى الله عليه وآله» حتى نزل سرف، وتتامَّ الناس.

وجاءه أبو رافع بزوجته ميمونة بعد أن حل المساء، ثم جاءت الخيل، وجاؤوا بالسلاح الذي كان ببطن يأجج، ولحقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله».. وكان «صلى الله عليه وآله» قد استبدلهم بفوج كان قبلهم، ليتمكن هؤلاء وأولئك من أداء نسكهم والطواف بالبيت.

ثم أدلج «صلى الله عليه وآله» من سرف حتى قدم المدينة[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٩ ـ ٧٤١ بتلخيص، والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٤ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٣٠ وانظر =

قال الصالحي الشامي: وفي الصحيح عن البراء بن عازب: أن الأجل لما مضى أتى المشركون علياً، فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا فقد مضى الأجل.

فذكر ذلك علي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا رافع بالرحيل، وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين الخ..[1].

أخرج من أرضنا:

إن أغرب شيء يواجه الإنسان العاقل، هو أن يقدم الذين يدَّعون أنهم قادة، وأنهم عقلاء على أمر لا يقره عقل، ولا يرضاه وجدان، كالذي فعلته قريش مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمرة القضاء، وقولهم: «نناشدك الله، والعقد، إلا ما خرجت من أرضنا».

والذي نلاحظه هنا هو:

أولاً: إنهم قد نسبوا تلك الأرض إلى أنفسهم، مع ادَّعائهم أن الكعبة بيت الله تعالى، ولكل البشر الحق في زيارته، والبقاء عنده ما شاؤوا.

ثانياً: إن الأرض لله سبحانه وتعالى، ولا يحق لأحد ان يمنع أحداً من الإقامة في أي موقع، إلا إذا كان ملكها بالإحياء، أو بغيره من أسباب

= السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ و ٦٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ و ٦٤ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٣ والبحار ج٢١ ص٤٦.

الملك، إما لرقبة الأرض أو لمنفعتها..

ثالثاً: إن هؤلاء أنفسهم كانوا من أقارب وأرحام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد عاش بينهم دهراً طويلاً، فما معنى الادِّعاء: بأن الأرض لهم دونه؟!

رابعاً: إن هؤلاء أنفسهم سوف ينقضون عن قريب نفس هذا العقد الذي يطالبونه «صلى الله عليه وآله» اليوم بالوفاء به، وسوف يلاقون جزاء نقضهم هذا نصراً مؤزراً له «صلى الله عليه وآله» عليهم.

خامساً: إن نفس اشتراطهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدم الإقامة في بلده، وعند بيت ربه سوى ثلاثة أيام، هو أحد مفردات الظلم والبغي منهم، الذي يريدون تكريسه ضده «صلى الله عليه وآله» تحت شعار الوفاء بالعهد!!

وها هم يمعنون في بغيهم، ويسعون للحفاظ عليه باسم العدل، ويعتبرون ذلك من حقهم، وبذلك يصبح ظلمهم وبغيهم مشروعاً!! يلزمون به من فرضوه عليه، ويطالبونه برعايته، وبالوفاء به!!

إنتفاضة سعد:

وبعد، فإن من هوان الدنيا على الله تعالى أن يصبح أعداؤه تعالى، والمحاربون لرسوله «صلى الله عليه وآله»، والرافضون لدينه، والساعون في إطفاء نوره، هم الذين يفرضون أنفسهم حماة لبيت الله تعالى، وسدنة له، وسادة لحرمه، ثم يطالبون صفي الله وحبيبه، وخليله ونجيبه، بأن يخلي لهم بيت ربه، الذي هو أولى به منهم، ومن كل أحد على وجه الأرض، بل لا

ولاية عليه لأحد سواه..

إنهم يطالبونه بذلك، بفظاظة ظاهرة، وبعنجهية وافرة، ويريدون بذلك حفظ ثمرات ظلمهم، وبغيهم على الحق وأهله، مع مزيد من الرغبة في الإمعان في الكيد، والتنفيس عن مراجل الحقد، الذي يغلي في أعماق نفوسهم..

وهذا بالذات هو ما أغاض سعد بن عبادة، فانبرى لهم، يفند مزاعمهم، بحمية، وأنفة وكبرياء، بعد أن طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى..

لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا:

ويبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى معالجة الموقف بمنطق يدينهم، ويلحق بهم المزيد من الخزي والعار، ويرسخ المرارة، ويعمق الألم في نفوسهم، من حيث إنه منطق يخضعون له، ويلزمون أنفسهم به.. وإنما على نفسها جنت براقش..

ويطلق «صلى الله عليه وآله» كلمته التي قد تبدو عابرة بحسب الظاهر، ولكنها أمضى من السيف، وأنفذ من السهم في قلوب أهل الطغيان، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: يا سعد، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا.

وأسكت الرجلان عن سعد!!

وكيف لا يسكتان عنه، وقد ألقمهما النبي الكريم والحليم «صلى الله عليه وآله» حجراً؟! وألزمهما عاراً لا يزول، وشناراً لا يمحى؟! حيث تعامل معهم بالخلق الرفيع، وبمنطق الشمم، والإباء، والترفع عن مقابلة الإساءة بما يوجبه منطق المقابلة بالمثل، فهو «صلى الله عليه وآله» ولمجرد مجيئهما إلى رحله ليس فقط يتجاوز عن إساءتهما، بل هو يعطيهما بذلك

حصانة من التعرض للعقوبة التي يستحقانها، نتيجة سوء ما أتياه تجاه شخصه «صلى الله عليه وآله»..

وبطريقة تظهر قبح فعلهم، وما جاءا يطالبانه به..

فإذا كانت زيارتها للنبي «صلى الله عليه وآله» في رحله جعلته يمنحهما هذه الحصانة، فلماذا لا يتعاملان معه بنفس هذا الخلق؟! ويعتبران زيارته «صلى الله عليه وآله» لبيت ربه ـ وليس لبيوتهم ورحالهم ـ من موجبات كف أذاهم عنه، وعمن معه؟!

وإذا كان مشركو مكة يعتبرون ـ ظلماً وعتواً ـ أن هذه الأرض أرضهم، فلماذا لا يعاملونه كزائر لهم في أرضهم، فيمتنعون عن أذاه، ويكفون عن مواجهته بهذا المستوى من الغلظة، والمناكرة؟!

ولماذا لا يمهلونه ـ ولو للحظات ـ بعد انقضاء الثلاثة أيام، وهو إنما وعد بالمغادرة في اليوم الرابع، ولم ينقض ذلك الموعد بعد.. ليروا إن كان سَيَفِي لهم بوعده، الذي ابتزوه منه، ولا حق لهم به، أو أنه سوف لا يفي؟!

فإن الوقت لم يفت بعد، لأن باستطاعته البقاء حتى المساء، ولم تظهر منه أية بادرة تشير إلى أنه سيبقى في مكة بعد انقضاء الوقت المحدد!!

ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: لا يمسين في مكة أحد من المسلمين. ولم يعترض عليه سهيل بن عمرو، ولا غيره، ولو كان بوسع أحد منهم الادّعاء: بأن ذلك يخالف العقد والعهد، ولو بساعة واحدة لبادر إليه، بهدف الطعن والانتقاص والتجريح به «صلى الله عليه وآله»..

وإن عدم دخول النبي «صلى الله عليه وآله» تحت سقف أي بيت من بيوت مكة، رغم أن فيها بيوت أهله، وإخوانه، وعشيرته، وآبائه، وفي تلك

البيوت عاش ونشأ، وترعرع ـ إن ذلك ـ لا بد أن يقطع دابر أي تكهن باطل عن نواياه تجاه مكة وأهلها، أو البقاء فيها، فلماذا هذا الصلف؟! ولماذا هذا البغي الظاهر عليه.. وهو لم يلمح إلى وجود أي ميل لديه، أو أي حنين إلى سكنى مكة سوى حنينه لبيت الله، تبارك وتعالى؟!

وكان باستطاعته أن يغتنمها فرصة، لإظهار مظلوميته، وللتذكير بحقوقه المغتصبة، من خلال الشواهد الحية التي لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو أن يناقش فيها.

وذلك كله يعطينا أنه «صلى الله عليه وآله» قد أفهمهم أنه لا يفكر بنفسه كشخص، وإنما يفكر في دين الله سبحانه، وفي حرمه وبيته، وفي المستضعفين والمقهورين من عباده عز وجل.

زواج النبي ﷺ بميمونة:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خطب ميمونة بنت الحارث الهلالية في عمرة القضاء، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فزوجها العباس من رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1]، وأصدقها أربع مائة

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ المحلى ج٩ ص٤٥٨ والبحار ج٢٠ ص٣٣٧ وعن مسند أحمد ج١ ص٢٧١ وسنن النسائي ج٦ ص٨٨ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٢٢١ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٨٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٢ وج٩ ص١٣٥ وعن السنن الكبرى للنسائي ص٢٨٥ و ٢٨٩ وج١١ ص٣٠٩ وسنن الدارقطني ج٣ ص١٨٣ وإرواء الغليل ج٦ ص٢٥٣ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٢١١. =

درهم[1].

ولما خرج «صلى الله عليه وآله» من مكة خلَّف أبا رافع ليحملها إليه حين يمسي، فخرج بها أبو رافع وبمن معها عند المساء، فلقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين، وتناولوا النبي «صلى الله عليه وآله» بألسنتهم، ولم يرتدعوا حتى هددهم أبو رافع بالسلاح، على اعتبار أنهم يريدون نقض العهد، فولوا هاربين.

وبنى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بزوجته ميمونة بسرف[2].

= وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٣٢ و ١٣٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٣٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦١ و ٢٦٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٣ و ٤٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٠٨.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٩.

(٢) راجع: المغازي ج٢ ص٧٤٠ و ٧٤١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ عن الإكتفاء وجامع الخلاف والوفاق ص٨٧ ووضوء النبي ج٢ ص١٢٢ والبحار ج٢١ ص٤٦ وج٢٢ ص٢٠٣ وعن مسند أحمد ج١ ص٣٥٩ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٢٨٨ ونيل الأوطار ج٥ ص٨١ ومسند ابن راهويه ج٤ ص٢٤ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٨٩ وج٧ ص١٠٣ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٥٢ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص٥٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٧٤ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٣٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٧٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٨.

ونقول:

إن هناك أموراً يحسن التذكير بها، وهي التالية:

الإعراس في مكة غير ميسور:

تقدم: أن سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، طلبا من النبي «صلى الله عليه وآله» مغادرة مكة بعد أن مضى عليه ثلاثة أيام من دخولها، فقال لهما النبي «صلى الله عليه وآله»: وما عليكم لو تركتموني أعرست بين أظهركم، وصنعت لكم طعاماً؟!

فقالا: لا حاجة لنا في طعامك، اخرج عنا[1].

غير أننا نقول:

أولاً: ربما يحاول البعض الاستفادة من هذه الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خطب ميمونة وعقد عليها، وهو محرم، ولم يبق إلا أن يعرِّس بها..

لكنها استفادة غير تامة، إذ من الجائز أن يكون قد خطبها وعقد عليها بعد أن أحل من إحرامه..

ثانياً: إن عرض النبي «صلى الله عليه وآله» على قريش أن يتركوه

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٩ و ٧٤٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ و ٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٤ وج١١ ص٢٠٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والمعجم الكبير ج١١ ص١٣٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٩ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٢ وشرح المعاني والآثار ج٢ ص٢٦٨ وحياة الصحابة (باب١٠) باب أخلاق الصحابة وشمائلهم.

ليعرس بين أظهرهم فيه إيحاء لهم، بأنه يتعامل مع الأمور بعفوية وبطبيعية تامة، وأنه ليس متوتراً، بل هو على غاية من السكينة والهدوء، ولا يعتبر نفسه في حالة استثنائية، أو غير عادية.. حتى إنه يعرض على أعدائه ـ بكل عفوية ـ أن يمنحوه الفرصة لممارسة حقه الطبيعي في الحياة، في بلدهم، وبين أظهرهم، وهو الأمر الذي يرتبط به كشخص، وهو إنشاء بيت للزوجية جديد، ويطلب منهم أن يشاركوه فرحته، رغم علمه بأنهم يضعون أنفسهم في موقع المحارب والعدو..

وفي مقابل ذلك: فإن هؤلاء المناوئين إذا عادوا إلى أنفسهم فسيرون أنها مشحونة بالقلق، زاخرة بالحقد، مليئة بالعقد، والأزمات، ولا يجدون الفرصة لممارسة حياتهم الشخصية، وتلبية حاجاتهم الطبيعية إلا في أجواء من الهموم والغموم، والتوترات..

فما أبعد ما بين الحالتين، وما أشد تأثيرهما على نفوسهم، وما أمضَّ ألم ذلك في قلوبهم.

هل تزوج ميمونة وهو محرم؟!

قيل: إنه «صلى الله عليه وآله» قد تزوج ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة[1].

وقيل: بعد أن أحل منها[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وعن فتح الباري ج٩ ص١٣٦ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٥٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ =

وقيل: بل خطبها وتزوجها وهو محرم[1]. وروي ذلك عن ابن عباس،

= ص١١١ وتهذيب الكمال ج٢٠ ص٢٨٠ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٣ وعن الإصابة ج٨ ص٣٢٣ ووضوء النبي ج٢ ص١١٩ وزاد المعاد ج١ ص٧٥.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ عن البخاري، ومسلم، والدارقطني، وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٨ وعن مسند أحمد ج١ ص٢٥٤ و ٤٠٥ و ٤٣٩ و ٤٧١ و ٥٥٢ والمجموع ج٧ ص٢٨٩ والبحار ج١٦ ص٣٩٤ وإختلاف الحديث ص٥٣٠ وعن فتح الباري ج٩ ص١٢٦ والديباج على مسلم ج٤ ص٢١ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٤٢٧ والفصول في الأصول للجصاص ج٣ ص١٦١ وتاريخ بغداد ج٥ ص٣٢٨ وج١١ ص٢٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٦١ ص٣٣٧ وتهذيب الكمال ج٢٥ ص٥٤٥ وتهذيب التهذيب ج٩ ص٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٦ وعن صحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج٤ ص٥٢٧ وعن صحيح مسلم (ط دار الكتب العلمية) ج٩ ص١٦٥.

وراجع أيضاً: السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢١٠ و ٢١١ و ٢١٣ ومجمع الزوائد ج٤ ص٤٩٢ وسنن الدارقطني ج٣ ص١٨٤ ومشكاة المصابيح ج٥ ص٣٧٩ ومنتخب عبد بن حميد ج١ ص٢٠٢ واللؤلؤ والمرجان ج١ ص٤٢٢ ونيل الأوطار ج٣ ص٧٨ وعون المعبود ج٥ ص٢٩٣ وعمدة القاري ج٢ ص١١٠ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٦٨ وأسد الغابة ج٥ ص٤٠١ ولسان الميزان ج٣ ص٤٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤١ ومعجم الشيوخ للذهبي ج١ ص٣١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٥ وعن زاد المعاد ج١ ص٧٥ والمغني ج٣ ص٣١٢.

وأبي هريرة. وجُعِل ذلك من خصائصه «صلى الله عليه وآله»[1].

وقالوا: تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلالاً[2].

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تزوجها في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام، فلعل هذا هو المراد، وليس المراد: أنه تزوجها قبل أن يحل من إحرامه[3].

وقالوا: تزوجها حلالاً، وأظهر أمر زواجها وهو محرم[4].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٥٨ وكشف القناع ج٢ ص٥١٣.

(٢) وضوء النبي ج٢ ص١٢٢ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص١٩١ والبحر الرائق ص١٨٤ وحاشية رد المحتار ج٣ ص٥١ وعن مسند أحمد ج١ ص٣٥٩ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٦ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٤٩٢ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٥٢ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٥ وص٣٢٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٤٠ والإصابة ج٨ ص٣٢٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٩ و ٤٤٠.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ عن البيهقي، والترمذي، والنسائي، وعن فتح الباري ج٩ ص١٣٦ والمجموع ج٧ ص٢٨٩ والمغني ج٣ ص٣١٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٣١٢ وسبل السلام ج٣ ص١٢٤ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج٦ ص٨٨ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٨ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١٩٤ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٥٠٨ وراجع: نيل الأوطار ج٥ ص٨٢ وعن عون المعبود ج٥ ص٢٠٨ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٨٠٨ وتذكرة الفقهاء (ط قديم) ج١ ص٣٤٢.

(٤) المغني لابن قدامة ج٣ ص٣١٢ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٨٠٨ وتذكرة الفقهاء (ط قديم) ج١ ص٣٤٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٣١٢ وفقه =

وقال القاضي عياض: لم يرو أنه تزوجها محرماً إلا ابن عباس وحده، حتى قال سعيد: ذهل ابن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا بعد ما حل. ذكره البخاري[1].

وقال القاضي وغيره: ولم يرو أنه تزوجها محرماً إلا ابن عباس وحده.

وروت ميمونة وأبو رافع وغيرهما: أنه تزوجها حلالاً، وهم أعرف بالقضية لتعلقهم به، خلاف ابن عباس، ولأنهم أضبط من ابن عباس[2].

وميمونة هي آخر امرأة تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

جعفر هو الخاطب:

وادَّعت بعض الروايات: أن أبا رافع كان هو الوكيل عن النبي «صلى

= السنة ج١ ص٦٧٥ وسنن الترمذي ج٢ ص١٦٩ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٧ وأسد الغابة ج٥ ص٥٥٠ وكشف القناع ج٢ ص٥١٣.

(١) سبل السلام ج٢ ص١٩٢.

(٢) شرح مسلم للنووي ج٩ ص١٩٤ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٤٩٤ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٨.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٥ والبحار ج٢١ ص٤٦ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٠ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٣٢ وعن الإصابة ج٨ ص٣٢٢ و ٣٢٣ والأعلام ج٧ ص٣٤٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٠٩ وزوجات النبي لسعيد أيوب ص١٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ وتفسير القرطبي ج١٤ ص١٦٧.

الله عليه وآله» في أمر ميمونة[1].

والصحيح هو: أن جعفر بن أبي طالب هو الذي خطبها له «صلى الله عليه وآله»، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد بعث جعفراً بين يديه من أجل ذلك[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ والمجموع ج٧ ص٢٨٩ وكتاب الأم ج٥ ص١٩٠ وتلخيص الحبير ج١١ ص٣ والمبسوط للطوسي ج٤ ص١٩١ والمغني ج٣ ص٣١٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٣١١ وكشف القناع ج٥ ص٢٧ وسبل السلام ج٢ ص١٩٢ ونيل الأوطار ج٥ ص٨٢ والبحار ج٢٢ ص٣٠٣ وعن فتح الباري ج٩ ص١٣٦ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٤٣٣ وعون المعبود ج٥ ص٢٠٨ والآحاد والمثاني ج١ ص٣٣٧ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٢٨٨ والمعجم الكبير للطبراني ج١ ص٣١٠ ونصب الراية ج٣ ص٣٢٨ وموارد الظمآن ص٣١٠ والأحكام للآمدي ج٤ ص٢٤٣ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٣٤ والثقات ج٢ ص٢٦ وعن التعديل والتجريح ج٣ ص١٤٩٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤١ وج٥ ص٢٣ وعن إعلام الورى ج١ ص٢٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٠٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٠ وج١١ ص٢٠٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٠٧ والإصابة ج٤ ص٤١١ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٢١ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٣٢ والجوهر النقي ج٧ ص٢١١ والخصال ص٣٦٣ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٢ والتمهيد ج٣ ص١٥١ وحياة الصحابة (باب أخلاق الصحابة وشمائلهم).

برة.. ثم ميمونة:

وزعموا: أن اسمها كان في الأصل «برَّة» فسماها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ميمونة[١].

غير أنه قد تقدم منا بعض الكلام حول هذا الموضوع حين الحديث عن زينب بنت جحش، حيث زعموا أن اسمها كان أيضاً برة، فغيَّره النبي «صلى الله عليه وآله» إلى زينب ـ وذكرنا هناك بعض ما يوجب الشك بل الجزم بعدم صحة هذه المزاعم، فراجع فصل: «على هامش حديث الزواج»[٢].

البعير وما عليه للبشير:

وقالوا: إن ميمونة لما علمت بأمر الخطبة وكانت على بعيرها، قالت:

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٣ والإصابة ج٤ ص٤١١ ومسند الطيالسي ج١ ص٣٢١ ومسند ابن راهويه ج١ ص١١٤ وجامع الخلاف والوفاق ص٨٧ ومنتهى المطلب ج١ ص١٦٥ والمجموع ج١ ص٤٦٠ وفتح الباري ج١٠ ص٤٧٥ ومسند أبي داود ص٣٢١ والأدب المفرد ص١٧٩ و ١٨٠ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٣٧ والتعديل والتجريح ج٣ ص١٤٩٣ وإكمال الكمال ج١ ص٢٥٣ وعن أسد الغابة ج٥ ص٤٢٠ و ٥٥٠ وتهذيب الكمال ج٢٥ ص٣١٢ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٣ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٠٢ وعن البداية والنهاية ج٨ ص٦٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص٢٩١ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٥٩ وج١١ ص٢٠٧ وزوجات النبي لسعيد أيوب ص١٠٨.

(٢) الجزء ١٤ الصفحة ١٧٣ من هذا الكتاب (الطبعة الخامسة).

البعير وما عليه لله ولرسوله[1].

ولذلك قيل: إنها هي التي وهبت نفسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

ونقول:

إن الصحيح هو: أن التي وهبت نفسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي امرأة من الأنصار، فبادرتها حفصة (أو عائشة) بالقول: ما أقل حياءك، وأجرأك، وأنهمك للرجال!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كفي يا حفصة، فإنها خير منك، رغبت في رسول الله، ولُمْتِها، وعِبْتِها؟!

ثم قال للمرأة: انصرفي رحمك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٠٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦١ وعن عيون الأثر ج٣ ص٣٩٢ ومرقاة المفتاح ج٦ ص٣٨٧.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ والدر المنثور ج٥ ص٢٠٨ و ٢٠٩ وعن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٣ وشرح مسلم للنووي ج١٠ ص٥١ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٤٩ ومقدمة فتح الباري ص٣١٣ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٧٥ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٤٠٤ وج٨ ص٣٥٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص٤٣٣ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤٤٧ و ج٢٣ ص٤٢٢ وكنز العمال ج١٣ ص٦٨٩ و٧٠٨ وتفسير الميزان ج٤ ص١٩٧ وجامع البيان ج٢٢ ص٢٨ و٢٩ ومعاني القرآن للنحاس ج٥ ص٣٦١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٠٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٢.

فيَّ، وتعرضك لمحبتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله.

فأنزل الله عز وجل: ﴿..وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..﴾[1].

وقيل: إنها لما وهبت نفسها للنبي «صلى الله عليه وآله»، قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟!

فنزلت الآية، فقالت عائشة: ما أرى الله إلا يسارع في هواك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فإنك إن أطعت الله سارع في هواك[2].

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الأحزاب. والرواية في: الحدائق الناضرة ج٢٣ ص٩٨ والجواهر ج٢٩ ص١٢٢ والكافي ج٥ ص٥٦٨ والبحار ج٢٢ ص٢١١ ومسند محمد بن قيس البجلي ص١٣٩ والتفسير الصافي ج٤ ص١٩٦ ونور الثقلين ج٤ ص٢٩٢ والميزان ج١٦ ص٣٤٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٤٥ و ٥٩٢ ومسالك الأفهام ج٧ هامش ص٧٠.

(٢) راجع: تفسير الصافي ج٤ ص١٩٦وأحكام القرآن للجصاص ص٤٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٥ وج١٤ ص٢٠٨ و ٢١٤ وفتح القدير ج٤ ص٢٩٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٤٥ ومجمع البيان (ط دار الأعلمي) ج٨ ص١٧١ ونور الثقلين ج٤ ص٢٩٣ والميزان ج١٦ ص٣٤٢ وراجع: الدر المنثور ج٥ ص٢٠٨ عن ابن سعد، والمبسوط ج٤ ص١٥٨ والصراط المستقيم ج٣ ص١٦٦ وحاشية السندي على النسائي ج٦ ص٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٢٥ والبحار ج٢٢ ص١٨١ وعن صحيح البخاري ج٦ ص١٢٤ وعن مسند أحمد ج٦ ص٢٦١ وعن فتح الباري ج٨ ص٤٠٥ وج٩ ص١٣٥ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٢٨٢.

وروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن التي وهبت نفسها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي خولة بنت حكيم السلمي[١].

وروي ذلك عن عائشة وعن عروة أيضاً[٢].

---

(١) الخصال ج٢ ص٤١٩ ونور الثقلين ج٤ ص٢٩٣ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٣٣١ والحدائق الناضرة ج٢٣ ص٩٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٠ ص٢٤٥ والبحار ج٢٢ ص١٩٤ وفتح الباري ج٨ ص٤٠٤ و ج٩ ص١٣٥ و١٦٩ وصحيح البخاري ج٦ ص١٢٨ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٧٦ والآحاد والمثاني ج٦ ص٦١ وكنز العمال ج١٣ ص٧١٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٨٨ والسنن الكبرى ج٧ ص٥٥ وفتح الباري ج٨ ص٤٠٤ وج٩ ص١٣٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٤٠٣ والتفسير الصافي ج٤ ص١٩٧ والتفسير الأصفى ج٢ ص٩٩٨ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٦٨ و ٢٩٣ وتفسير الميزان ج١٦ ص٣١٦ وزاد المسير ج٦ ص٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٨ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٠٧ وتفسير الثعالبي ج٤ ص٢٥٣ وفتح القدير ج٤ ص٢٩٢ و ٢٩٥ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٥٨ وزوجات النبي لسعيد ايوب ص٢١ ومجمع البحرين ج٤ ص٥٦٥ ونيل الأوطار ج٦ ص٣١٥ والبحار ج٢٢ ص١٨١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٢٩ وتحفة الأحوذي ج٦ ص٣٢ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٧١ وأسد الغابة ج٥ ص٤٤٤ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٥٤ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٦٣٧ وإسعاف المبطأ للسيوطي ص١٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣٣ وتاج العروس ج٧ ص٣١٢.

(٢) الدر المنثور ج٥ ص٢٠٨ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في السنن، وعبد الرزاق، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن =

وقيل غيرها، فراجع[1].

فلعل حشر اسم ميمونة في هذه القضية يراد منه التعتيم على ما صدر

= المنذر، وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٧١ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٥٥ وعن فتح الباري ج٨ ص٤٠٤ وج٩ ص١٣٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٤٠٣ و ٤٠٤ وجامع البيان ج٢٢ ص٢٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٠٧ وتفسير الثعالبي ج٤ ص٣٥٣ وعن صحيح البخاري ج٦ ص١٢٨ وفتح القدير ج٤ ص٢٩٢ و ٢٩٥ وعن الإصابة ج٨ ص١١٦ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٧٦ والآحاد والمثاني ج٦ ص٦١ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٢٣٦ وكنز العمال ج١٣ ص٧١٠ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٦٤ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٣٦٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٣١٨.

(١) راجع: الدر المنثور ج٥ ص٢٠٩ البحار ج٢٢ ص١٨١ وشرح مسلم للنووي ج١٠ ص٥١ و ٩٦ ومجمع الزوائد ج٧ ص٩٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٤٠٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص٣٥١ والتبيان للطبرسي ج٨ ص٣٥٢ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٧١ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٩٣ ومعاني القرآن ج٥ ص٣٦١ وأحكام للقرآن للجصاص ج٣ ص٤٨٠ وزاد المسير ج٦ ص٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٧٨ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٥٥ و ١٥٦ و ١٩٧ وأسد الغابة ج٥ ص٢٥٨ و ٥١٤ وج٧ ص٢٣٥ و ٢٣٦ وج٨ ص٤١٧ و ٤١٩ و ٤٢٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٢٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٤٤ و ٢٤٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦١ وعيون الأثر ج٢ ص٣٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣٥ و ٢٣٦.

من عائشة وحفصة من جرأة عليه «صلى الله عليه وآله».

فضل ميمونة:

وميمونة أفضل نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بعد خديجة، وأم سلمة[1].

وقد روي عن أبي جعفر «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لا ينجو من النار، وشدة تغيظها وزفيرها وقرنها وحميمها من عادى علياً، وترك ولايته، وأحب من عاداه.

فقالت ميمونة، زوجة النبي «صلى الله عليه وآله»: ما أعرف في أصحابك يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يحب علياً إلا قليلاً منهم.

قال: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: القليل من المؤمنين كثير، ومن تعرفين منهم؟

قالت: أعرف أبا ذر، والمقداد، وسلمان. وقد تعلم أني أحب علياً «عليه السلام» بحبك إياه، ونصحه لك.

قال: صدقت، إنك امتحن الله قلبك للإيمان[2].

وراجع ما قالته لشقير بن شجرة في حق علي «عليه السلام»[3].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٣٩ والحدائق الناضرة ج٢٣ ص٩٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٠ ص٢٤٥ والبحار ج٢٢ ص١٩٣ و ١٩٤ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٤ والتفسير الصافي ج٤ ص١٩٧ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٦٨ وتفسير الميزان ج١٦ ص٣١٦ وزوجات النبي ص٢١.

(٢) تنقيح المقال ج٣ ص٨٣ وقاموس الرجال، والأصول الستة عشر ص٦٢.

(٣) الأمالي للطوسي ص٥٠٥ و ٥٠٦.

عمارة بنت حمزة في كفالة جعفر:

ويذكرون أيضاً: أن عمارة، أو أمامة، أو أم أبيها ـ على الخلاف في اسمها ـ بنت الشهيد حمزة بن عبد المطلب، وأمها سلمى بنت عميس، كانت بمكة. فكلم علي «عليه السلام» النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين؟

فلم ينهه النبي «صلى الله عليه وآله» عن إخراجها، فخرج بها[1].

وفي نص آخر: أنها حين خرج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة تبعته وهي تنادي: يا عم، يا عم.

وقيل: إن أبا رافع خرج بها، فتناولها علي «عليه السلام»، وأخذ بيدها، وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ و ١٢٥ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والواقدي، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والبحار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ وعن الإمتاع، وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦١ وعن أسد الغابة ج٥ ص٥٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ وراجع: العمدة ص٢٠١ و ٢٢٦ وعن مسند أحمد ج١ ص٩٨ و ١١٥ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٦٨ وج٥ ص٨٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٦ وعن فتح الباري ج٧ ص٢٨٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٢٧ و ١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٨٨ و ١٥١ وصحيح ابن حبان ص٢٢٩ ونصب الراية ج٣ ص٥٤٩ وكنز العمال ج٥ ص٥٧٨ وعن تفسير =

المشاجرة:

قالوا: وفي المدينة تكلم زيد بن حارثة في أمرها، وأراد أن يكون هو المتكفل لها، استناداً إلى كونه وصي أبيها؛ ولأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد آخى بينه وبين حمزة.

وطالب بها جعفر، باعتبار أن خالتها أسماء بنت عميس زوجته، والخالة والدة.

أما علي «عليه السلام» فقال: ألا أراكم في ابنة عمي[1]، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، وليس لكم إليها نسب دوني، وأنا أحق بها منكم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا أحكم بينكم.

أما أنت يا زيد، فمولى لله ولرسوله.

وأما أنت يا علي، فأخي وصاحبي.

وأما أنت ياجعفر، فتشبه خَلقي وخُلقي. وأنت يا جعفر أحق بها، تحتك خالتها، ولا تنكح المرأة على خالتها، ولا عمتها.

فقضى بها لجعفر.

فقام جعفر فحجل حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذا يا جعفر؟!

قال: يا رسول الله، كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله.

= القرآن العظيم ج٣ ص٤٧٥ وج٤ ص٢١٨ وعن البداية النهاية ج٤ ص٢٦٧ وج٣ ص٤٤٢.

(١) أي ألا أراكم تختلفون في أمر ابنة عمي الخ..

فقيل للنبي «صلى الله عليه وآله»: تزوجها.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ابنة أخي من الرضاعة، فزوَّجها سلمة بن أبي سلمة[1].

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقفات، هي التالية:

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٨ و ٧٣٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ و ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ وفي هامشه عن: البخاري ج٧ ص٥٧٠ وعن صحيح مسلم ج٣ ص١٤٠٩ وعن سنن أبي داود رقم (٢٢٨٠) والجامع الصحيح ج٤ ص٣٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والأمالي للطوسي ص٥٦١ و ٥٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٥ و ٣٦ وج٨ ص١٥٩ و ١٦٠ وج٣ ص٨ و ٩ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٨٧ و ٢٢٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج٧ ص٣٣١ وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢٨٤ وعن مسند أحمد ج١ ص١٥٨ و ١٨٥ وعن فتح الباري ج٩ ص١٣٠ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٢ ص٥٣ وج١٨ ص٢٥٣ وج٢٠ ص١٢٤ وكنز العمال ج١ ص٩٨٦ وج٥ ص٥٨٠ و ٥٨١ وعن فتح الباري ج٨ ص٢٨٤ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٢ والبيان والتعريف ج١ ص١٠٣ ونصب الراية ج٥ ص١١٥ والبحار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ عن ابن إسحاق، وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٣.

يا عم، يا عم!!

لا ندري لماذا خرجت بنت حمزة تنادي النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عم، يا عم[1]، مع أنه ليس عمها، بل هو ابن عمها!!

وقد زعم بعضهم: أن هذا الخطاب جاء على سبيل الإجلال منها لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

أو أنها قد لاحظت كونه أخاً لأبيها من الرضاعة[2].

ولكننا نشك في صحة هذا وذاك، إذ لم يكن لديها من التمييز والإدراك ما يدعوها إلى اختيار هذا التعبير، واستبعاد ما عداه.

هذا بالإضافة إلى ما زعموه: من أنه «صلى الله عليه وآله» كان أخاً لأبيها من الرضاعة لم يثبت، فراجع ما ذكرناه في موضعه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

جعفر يحجل والنبي ﷺ يسأل:

ورد في النص المتقدم: أن جعفراً قد حجل مسروراً بقضاء النبي «صلى الله عليه وآله» له بكفالة بنت حمزة، فسأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ و ٦٤ والعمدة ص٢٠١ و ٣٢٦ والبحار ج٢٨ ص٣٢٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص٨٥ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٨.

ذلك، فأخبره أن هذا مما يفعله النجاشي في مثل هذه الحالات..

ونقول:

تقدم في خيبر: أن جعفراً «رضوان الله تعالى عليه» قد حجل حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فور قدومه عليه من الحبشة، فسأله آنئذٍ، عن نفس هذا الأمر وأجابه، ولما يمض وقت طويل على سؤاله هذا، وعلى إجابته تلك؟!

وحاول البعض التخلص من ذلك: باحتمال أن يكون جعفر قد حجل في خيبر، ولم يره النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

وهو جواب لا يصح، فقد صرحوا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» سأله عن فعله هذا، فأخبره، فراجع..

ولعل الجواب الأقرب هو: أن السؤال في مناسبة الحكم له ببنت حمزة لم يكن عن أصل الفعل، بل عن سبب فعله في مثل هذه المناسبة، فأخبره بأن النجاشي كان إذا أرضى أحداً حجل حوله، تعبيراً عن سروره وشكره للنجاشي..

وما جرى في خيبر كان سببه هو سروره بلقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسروره «صلى الله عليه وآله» بقدومه، فقد اختلف السبب في الموردين، ولذلك تكرر السؤال منه «صلى الله عليه وآله»..

غير أن هذا الجواب ليس مقنعاً أيضاً..

فأولاً: إن سرور جعفر بلقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان واضحاً بيناً، وتنتفي بذلك الحاجة إلى السؤال والجواب.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٥.

ثانياً: هذه الإجابة تبقى غير مفهومة أيضاً، فإن ملك الحبشة كان يقضي للناس الكثير من الحاجات، فهل كان يحجل حولهم جميعاً في كل تلك الحالات والمناسبات؟! وهل لديه وقت يتسع لذلك؟!

وهل كان يقضي وقته في الدوران حول هذا وذاك؟!

ابنة أخي من الرضاعة:

وزعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد رفض الزواج بهذه الطفلة، لأنها ابنة أخيه من الرضاعة، بادعاء أن ثويبة مولاة أبي لهب أرضعته هو وحمزة بلبن ولدها مسروح[1].

---

(١) أسد الغابة ج٣ ص٩٥ وج٢ ص٤٦ والبدء والتاريخ ج٥ ص٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٩، وبهجة المحافل ج١ ص٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق١ ص٦٧ و (ط أخرى) ج١ ص١٠٨ والإصابة ج٤ ص٢٥٨ وج٢ ص٣٣٥ عن الصحيحين، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٣٨ وج١ ص١٦ و ٢٧١ والبحار ج١٥ ص٣٣٧ و ٣٨٤ عن المنتقى للكازروني، وقاموس الرجال ج١٠ ص٤١٧ والمجموع ج١٨ ص٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج١ ص٤٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٧٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٩٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص١٨ و ١٩ وقسم المغازي ص٢٠٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٢٢٢ والوفاء ج١ ص١٠٧ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٣١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص١١٣ وصفة الصفوة ج١ ص٥٦ و ٥٧ وزاد المعاد ج١ ص١٩ وذخائر العقبى ص٢٥٩ و ١٧٢ وإعلام الورى ص٦ وكشف الغمة ج١ ص١٥ والأنس الجليل ج١ ص١٧٦ وأنساب الأشراف (قسم السيرة) ص٩٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٦٤ وفي الروض الأنف ج١ ص١٨٦ لكن فيه بدل =

ونقول:

ذكرنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب، في فصل «عهد الطفولة»: أننا نشك في صحة ذلك.

أولاً: لتناقض الروايات في كثير من الأمور المرتبطة بهذا الزعم، فراجع.

ثانياً: إن حمزة كان أكبر سناً من النبي «صلى الله عليه وآله» إما بسنتين، أو بأربع سنوات، وذلك يجعل من البعيد أن يكونا قد ارتضعا بلبن واحد، إلا في حالات نادرة الوقوع، وفي سن لا يحتاج الطفل فيها إلى الرضاع، بل هو يستغني عنه بالطعام والفطام.

وثالثاً: لو أغمضنا النظر عن هذا وذاك، فإننا نقول:

إن حمزة كان أكبر من النبي «صلى الله عليه وآله» بأكثر من عشر سنوات، بدليل: أن عبد المطلب كان قد نذر لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة.

فلما ولد له عشرة، وكان عبد الله أصغرهم، وفيهم حمزة، جمعهم ثم أخبرهم بنذره.

وأقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله.. فلم يمكّنوه من ذبحه.

= أبي سلمة عبدالله بن جحش.

وراجع: المعجم الصغير ج٢ ص٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص١٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج١ ص٥٧٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٢٦٠ ـ ٢٦٢ والعدد القوية ص١٢٢ وعن عيون الأثر ج١ ص٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٦ و ٣٧٥ وج١١ ص٨٣ والبدء والتاريخ ج٥ ص٨.

والقصة معروفة، فراجع[1].

وقد صرحوا: بأن قصة الذبح هذه حصلت قبل خمس سنوات من ولادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وربما يكون هذا التحديد غير دقيق، ويكون الفاصل بين قصة الذبح وولادة النبي «صلى الله عليه وآله» أقل من ذلك أيضاً.

أسئلة تبقى حائرة:

وتبقى هنا أسئلة عديدة تحتاج إلى إجابات، ومنها:

١ ـ إنه كما كانت أسماء بنت عميس خالة لابنة حمزة، فإن صفية بنت عبد المطلب كانت عمتها، فلماذا لم تأخذها صفية، دون كل أحد؟

فهل هي لم تطالب بها، أو أنها طالبت بها لكنهم لم يعطوها إياها؟

وعلى فرض عدم مطالبتها، لابد أن نسأل عن سبب ذلك، فهل هو لأجل عدم قدرتها على القيام بشؤونها؟ أو أنها لم تحضر هذه القضية، وقد

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج٢ ص٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج١ ص٣٦ وفي السيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥ وإن كان لم يذكر: أن عبد الله كان أصغر ولده، لكنه ذكر حمزة والعباس في جملة أولاد عبد المطلب حين قضية الذبح.. وذكر في الكامل لابن الأثير ج٢ ص٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج٢ ص٤: أن عبد الله كان أصغر ولده، وأحبهم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب وراجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٣١٥ و ٣١٦ وعن الدر المنثور ج٣ ص٢٢٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٤٠ وتاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٥٠ و ٢٥١.

(٢) أنساب الأشراف ج١ ص٧٩ عن الواقدي.

حسم الأمر دون أن تعلم، ثم علمت فرضيت؟!

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» ـ كما زعموا ـ أخاً لحمزة من الرضاعة، ولحمة الرضاعة كلحمة النسب، وكانت زوجته ميمونة بنت الحارث أخت سلمى بنت عميس؛ لأمها. فهي خالة بنت حمزة، فلماذا لم يأخذها رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً.

٢ ـ لماذا بقيت زوجة حمزة سلمى بنت عميس وابنتها في مكة حتى كبرت ابنة حمزة، فهل هي لم تهاجر مع زوجها؟ أو أنها هاجرت معه، ثم عادت إلى مكة؟ مع العلم بأنه هاجر إلى المدينة في أول سني الهجرة..

وكان أول لواء عقده النبي «صلى الله عليه وآله» هو لواء حمزة، وقد حضر بدراً، واستشهد في أحد.

ولعل الصحيح: هو أن علياً «عليه السلام» قد أخرج فاطمة بنت الحمزة ـ كما قيل: بنت سلمى بنت عميس[1] وقيل: أن اسمها عمارة[2]،

---

(١) الإصابة ج٤ ص٣٨١ والجوهر النقي ج٦ ص٢٤١ ومقاتل الطالبيين ص١١ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٥ و ٣٦ وتهذيب الكمال ج١٥ ص٨٢ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٣ و ٢١٤ و ١٥١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٨ و ٣٨٩.

(٢) البحار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ عن الإمتاع، وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٨ و ٣٨٩ وكنز العمال ج٥ ص٥٨٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٢ وج٨ ص١٥٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦١ وعن أسد الغابة ج٥ ص٥٠٨ وج٨ ص١٨٥ و ٢٤٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص١١٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٣ وعمدة القاري ص١٧ ص٢٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩.

وقيل: أمامة[1] ـ من مكة حين هجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2]، لا في عمرة القضاء.. فإن صح هذا فلماذا عادت إلى مكة؟ وكيف؟

وحين يذكرون هجرة الفواطم مع علي «عليه السلام» ونزولهم ضجنان لا يذكرون فاطمة بنت الحمزة مع الفواطم الثلاث، ولعل ذلك لأنها كانت طفلاً تابعاً.

أما في غيره من المواضع، فإنهم يقولون: إن الفواطم أربعة، أو ثلاث ويذكرونها بينهن[3].

---

(١) الطبقات الكبرى ج٨ ص٤٨ و ٥٨ وكتاب المحبر ص١٠٧ وعن أسد الغابة ج٥ ص٣٩٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ و ١٩٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وتفسير الميزان ج٤ ص٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٧٤٨ والأمالي للطوسي ص٤٧١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٥٩ وحلية الأبرار ج١ ص١٥١ و ١٥٢ والبحار ج١٩ ص٦٦ وج٦٣ ص٣٥٠ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٤٦٨ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٠ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٢٣ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٢٦ وكشف الغمة ص٣٣ وسيرة المصطفى ص٢٥٩.

(٣) راجع: نيل الأوطار ج٢ ص٧٧ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٦٧ وشرح مسلم للنووي ج١٤ ص٥٠ ومقدمة فتح الباري ص٢٨٢ والديباج على مسلم ج٥ ص١٢٦ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص١٧٤ وعيون الأثر ج٢ ص٣٧١ واللمعة البيضاء ص٢٠٧ ولسان العرب ج١٢ ص٤٥٥ وتارج العروس ج٩ ص١٣ وكنز العمال ج١ ص٣١٠٢ وفتح الباري ج١١ ص٤٧٧ وسبل السلام ج٢ ص٨٦ وعون المعبود ج١١ ص١٠١ وعمدة القاري ج٢١ ص٢٣ وج٢٢ =

٣ـ إذا كان زيد وجعفر مهتمين بابنة حمزة إلى حد الخصومة والاحتكام إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا لم يذكرها أي منهما في مكة، ولم يبادرا إلى مساعدتها للخلاص مما هي فيه؟!

٤ ـ هل كانت هذه الطفلة تتبع عمها وحدها؟ أم كان معها من يرعاها؟! وإن كانت وحدها، فكيف تركتها أمها وحيدة تتجول في مكة، وتتبع الخارجين منها، دون أن تدبِّر أمرها، وترشدها إلى ما ينبغي لها أن تفعله؟!

وكيف تتركها تسافر معهم؟!

وهل سجلت اعتراضاً على سفرها إلى المدينة؟!

أم أنها لم تعلم بما جرى لابنتها أصلاً؟!

وربما يؤيد ذلك أن ظاهر بعض النصوص المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» قد تناولها، وسلمها لفاطمة «عليها السلام»، وانتهى الأمر.

فهل هذه عملية خطف أقدم عليها أعظم الخلق وأكرمهم، ولم يراع حال والدتها المسكينة، التي لابد أن تبحث عن ابنتها في كل اتجاه فلا تجدها، وسيتقطع قلبها خوفاً عليها؟

وهل يتناسب هذا مع ما تفترضه الشفقة وتقضي به العاطفة في أمور كهذه؟!

= ص١٧ والتمهيد ج١٤ ص٢٣٩ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٤٣ ومرقاة المفاتيح ج٨ ص١٧٧ وعن الإصابة ج٤ ص٣٨١ وعن أسد الغابة ج٥ ص٣٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٥٣ وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروسي ج١ ص١١٦.

وإذا كانت أمها معها وهي ترعاها، فهل أرادت التخلص منها، فأغرتها باتباع النبي «صلى الله عليه وآله»، ومناداته؟!

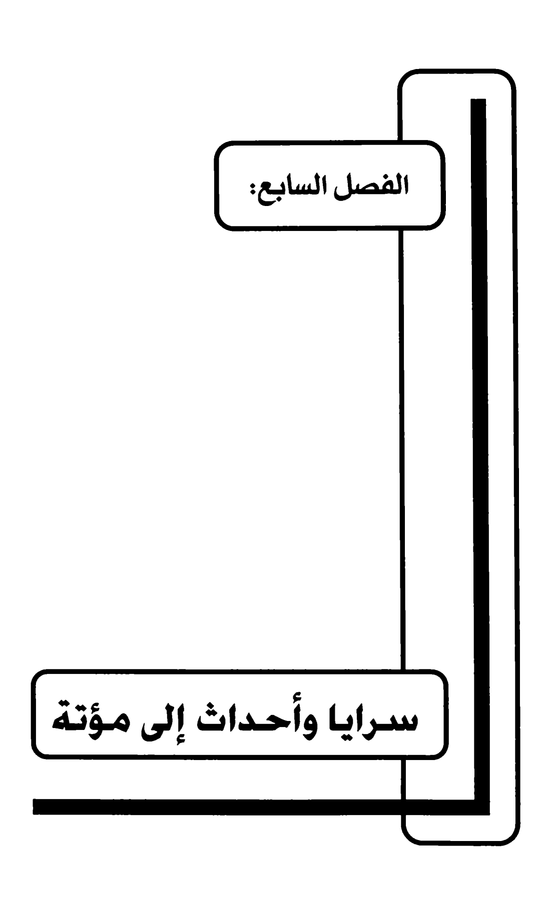
٥ ـ وحين نادت هذه الطفلة النبي «صلى الله عليه وآله» فلماذا لم يجبها، وانتظر حتى كلَّمه علي «عليه السلام» في شأنها؟!

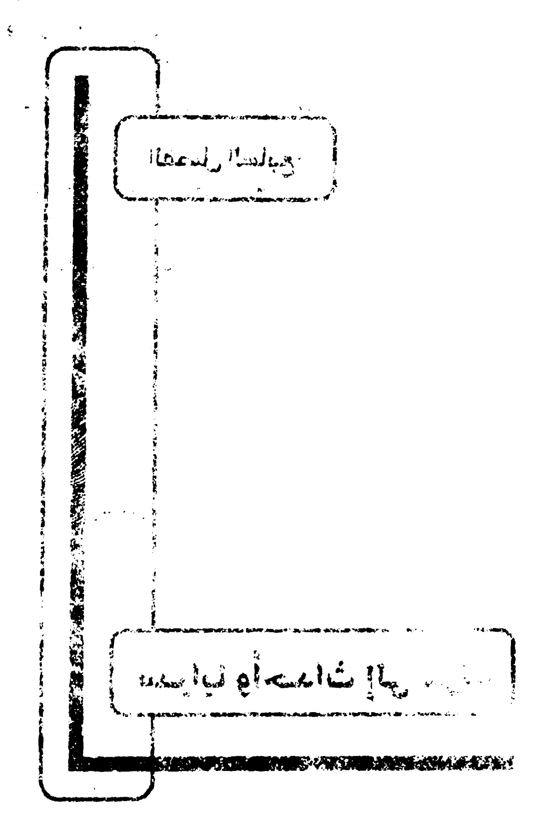
وإذا كان أبو رافع قد خرج بها، فهل فعل ذلك بإذن من أمها؟ أم بدون إذن منها؟!

٦ ـ ما معنى القول المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه المناسبة: «..ولا تنكح المرأة على خالتها، ولا على عمتها»؟! هل أريد به التعريض بعلي «عليه السلام»، وبزيد بأنهما قد يبادران إلى الزواج منها، لو كانت في كفالتهما؟!

٧ ـ كيف أخرج أبو رافع ابنة حمزة معه، مع أن المشركين كانوا قد اشترطوا في الحديبية ألا يخرجوا بأحد من أهلها أراد الخروج؟!

إلا أن يجاب: بأن المقصود بهذا الاشتراط هو خصوص الرجال، ولا يشمل النساء.


الفصل السابع:
سرايا وأحداث إلى مؤتة



سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم:

وروى الزهري: أنه لما رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من عمرة القضاء، سنة سبع، وكان رجوعه في ذي الحجة، بعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً إلى بني سليم. وكان في جملتهم عين لبني سليم.

فلما خرج من المدينة سبقهم ذلك العين، إلى بني سليم، وأخبرهم بالأمر، فجمعوا جمعاً كثيراً، فجاءهم ابن أبي العوجاء، وقد أعدُّوا له، فلما رأوهم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام، فرشقوهم بالنبل، ولم يسمعوا قولهم، وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه.

فراموهم ساعة، وجعلت الأمداد تأتي، حتى أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالاً شديداً، حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(١) البداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٣٤ و(ط دار إحياء التراث العربي) ج٢ ص٢٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٣ وج٤ ص٢٧٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٨ وعن حياة الصحابة (باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله حب الدعوة) دعوة ابن أبي العوجاء، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٤.

ونقول:

تشابه مريب وغريب:

ما معنى أن يتكرر ما يشبه هذه الحادثة؟!

ثم ما معنى أن يتجلى هذا التشابه في الأوقات، ومع أشخاص، ومع قبائل مختلفة، ثم هو يتجلى من حيث معرفة المقصودين بأمر البعث إليهم، ثم استعدادهم لهم، ثم مهاجمتهم للمبعوثين إليهم، ثم مراماتهم بالنبل، وقتل أكثر أفراد السرية، ثم نجاة قائدها، جريحاً مرتثاً بين القتلى، ثم تحامله على نفسه، والالتحاق برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فراجع ما يذكرونه في سرية ذات أطلاح، في شهر ربيع الأول سنة ثمان.

وسرية بشير بن سعد إلى فدك في شعبان سنة سبع.

وسرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة في ذي القصة.

جهل أم تجاهل؟!

لم يذكر لنا اسم أي واحد من هؤلاء المسلمين الذين قتلوا في هذه السرية، رغم أن ثمة حرصاً ظاهراً على تسجيل هذا الأمر كما نلاحظه في سائر الموارد.

جمع بني سليم:

كيف تمكن بنو سليم من أن يجمعوا هذا الجمع الكثير لمواجهة هذه السرية، فالمفروض أن العين قد خرج من المدينة مع نفس تلك السرية، ثم سبقها، فحتى لو كان سبقها بيوم كامل، فإنهم لا يتمكنون من جمع أعداد

كبيرة، يحتاج جمعها إلى التنقل من مكان إلى مكان، وإلى إعداد ووقت.

على أن سبقه للسرية من شأنه أن يثير الشكوك حوله، إذا التفت أفراد السرية إلى مفارقته لهم، وسوف يجعلهم يترددون في مواصلة المسير، وسيكون اكثر حذراً، وأبعد عن الوقوع في الفخ الذي نصب لهم.

سبب هذه السرية:

إذا كان الخيار الوحيد المتوفر لدينا فعلاً هو التسليم والقبول، أو السكوت عن النقاش في صحة هذه السرية، بسبب شحة النصوص حولها، فإن ما يمكن أن نقوله فيها هو: أن نقلة الأخبار وإن كانوا لم يذكروا لنا الكثير من أخبارها، ولا أوردوا شيئاً عن سبب إرسالها إلى بني سليم، فهل هو لأنهم نقضوا عهداً؟! أو لأنهم ارتكبوا جرماً؟ أو لأجل الحصول على نعمهم ومواشيهم؟! أو لأنهم جمعوا الناس لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أم لغير ذلك؟!

لكننا نطمئن إلى أن هذا الافتراض الأخير غير صحيح، لأن النص التاريخي يصرح: بأنهم إنما جمعوا جمعاً كثيراً بعد أن أخبرهم العين بأمر السرية..

كما أن افتراض إرادة سلب أموالهم، لا يمكن قبوله أيضاً، لما ذكرناه مراراً وتكراراً: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليغير على أحد بهدف استلاب الأموال، بل لأجل دفع شره، أو جزاء له على عذره، حين يكشّر عن أنيابه، ويدبر للانقضاض على المسلمين!! وإلحاق الأذى بهم.

وربما يكون إرسالهم للعين إلى المدينة مؤشراً على نواياهم العدوانية

هذه، وإن كان لا يكفي لإثبات ذلك بصورة قاطعة..

ويمكن تأييد ذلك بمؤشرٍ آخر أقوى، وهو أنه لا شيء يثبت أن المسلمين قد جاؤوا للحرب، بل الظاهر من سياق الأحداث: هو أنهم جاؤوا للدعوة إلى الإسلام، وذلك من حقهم.. فكان بإمكانهم الاكتفاء برفض الاستجابة، ولكنهم لم يكتفوا بذلك، بل رشقوا المسلمين بالنبل قبل أن يصرحوا برفضهم!!

ثم باشروا بالعمليات الحربية ضد المسلمين، وكانوا قد هيأوا لها!!

وربما يؤيد ذلك أيضاً: أن اكتفاء النبي «صلى الله عليه وآله» بإرسال خمسين رجلاً إلى قوم يستطيعون أن يجمعوا جموعاً قتالية كثيرة، قادرة على إبادة هؤلاء الخمسين، يشير إلى أنها لم تكن سرية قتالية، وإنما كانت سرية دعوة، وإرشاد، وتعليم، ليس إلا، ولكن خبث هؤلاء القوم، قد ساقهم إلى هذا الكيد، الذي يستهين بالجريمة، ويعتبر ارتكابها نصراً وفخراً..

إسلام خالد، وعمرو بن العاص:

وكان بين الحديبية وعمرة القضاء، إسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة.

وقيل: كان ذلك بعد عمرة القضاء[1]، في السنة الثامنة[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٧٢٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٩ عن البيهقي، وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٥ و ٧٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٥ و ٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٩ =

وفي نص آخر: قبيل الفتح[1].

قيل: ويشهد له ما جاء عن خالد بن الوليد أنه قال: لما أراد الله عز وجل ما أراد بي من الخير قذف في قلبي الإسلام، وحضر لي رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف، وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعٌ في غير شيء، وأن محمداً يظهر.

فلما جاء لعمرة القضاء تغيبت، ولم أشهد دخوله، فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه، فطلبني فلم يجدني، فكتب إليّ كتاباً، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد.. فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وقلة عقلك، ومثل الإسلام يجهله أحد. قد سألني عنك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: أين خالد؟

فقلت: يأتي الله به.

فقال: ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على

= وج٧ ص١٢٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٥٥ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٥٢٩ والثقات ج٣ ص١٠١ وعن أسد الغابة ج٢ ص٩٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢١٩ عن الواقدي، وفتوح البلدان ج١ ص٩٣ والجوهر النقي للمارديني ج٩ ص٧٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٢٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٣١٩ عن الإستيعاب.

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٥ وعن مسند أحمد ج٤ ص١٩٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٩٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٥١ والأحاديث الطوال ص٤٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص١٦٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٧١.

المشركين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره.

فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة.

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأيت في المنام: كأني في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.

زاد الواقدي وغيره: أنه ذكر هذه الرؤيا لأبي بكر حين جاء إلى المدينة، ففسر له الضيق بالشرك، والسعة بالإسلام.

فلما اجتمعنا للخروج إلى المدينة لقيت صفوان، فقلت: يا أبا وهب، أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم، فلو قدمنا عليه فاتبعناه، فإن شرفه شرف لنا.

قال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً.

قلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر، فلقيت عكرمة بن أبي جهل، فقلت له: مثل ما قلت لصفوان.

فقال: مثل الذي قال صفوان.

قلت: فاكتم ذكر ما قلت لك.

قال: لا أذكره.

ثم لقيت عثمان بن طلحة ـ أي الحجبي ـ فقلت: هذا لي صديق، فأردت أن أذكر له.

ثم ذكرت من قتل من آبائه: أي قتل أبيه طلحة، وعمه عثمان، وقتل إخوته الأربعة: مسافع، والجلاس، والحارث، وكلاب، كلهم قتلوا يوم أحد. فكرهت أن أذكر له.

ثم قلت: وما عليّ، وأنا راحل من ساعتي، فذكرت له ما صار الأمر إليه.

فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر، لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج.

ثم قلت له: ما قلته لصفوان وعكرمة، فأسرع الإجابة، فواعدني إن سبقني أقام في محل كذا، وإن سبقته إليه انتظرته.

فلم يطلع الفجر حتى التقينا، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة ـ اسم محل ـ فنجد عمرو بن العاص بها، فقال: مرحباً بالقوم.

فقلنا: وبك.

قال: أين مسيركم؟

قلنا: الدخول في الإسلام.

قال: وذلك الذي أقدمني.

وفي لفظ: قال عمرو لخالد: يا أبا سليمان أين تريد؟

قال: والله لقد استقام الميسم، أي تبين الطريق، وظهر الأمر، وإن هذا الرجل لنبي، فأذهب فأسلم، فحتى متى؟

وفي نص آخر: أن خالداً قال لعمرو: دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طمع، والله، لو أقمنا لأخذ برقابنا، كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها[1].

قال عمرو: وأنا ما جئت إلا لأسلم.

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة الشريفة.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٤ وكنز العمال ج١٣ ص٣٧١ ـ ٣٧٤ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٢٧ و ٢٢٨ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٢ و ٢٧٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥١ و ٤٥٢.

وعند الدياربكري: «فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة، أول يوم في صفر سنة ثمان»[1].

فأنخنا بظهر الحرة ركابنا، فأخبر بنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسرّ بنا، وقال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلقيني أخي، فقال: أسرع فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد سر بقدومكم وهو ينتظركم.

فأسرعنا المشي، فاطلعت عليه، فما زال يتبسم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة، فرد عليَّ السلام بوجه طلق، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قال: الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير.

قلت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «الإسلام يجبُّ ما كان قبله».

وفي نص آخر: قال خالد: فوالله ما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يوم أسلمت يعدل بي أحداً فيما حزبه[2].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ والطبقات الكبرى ج٤ ص٢٥٢ وج٧ ص٣٩٤ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٣٨ ص٣٨٣.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٢٨ والطبقات الكبرى ج٣ ص١٨٩ وج٧ ص٢٦٨ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٢٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٣.

وتقدم عثمان وعمرو فأسلما.

وفي رواية عن عمرو بن العاص قال: قدمنا المدينة، فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر، فانطلقنا حتى اطلعنا عليه وإن لوجهه تهللاً، والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا؛ وتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه «صلى الله عليه وآله»، فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه «صلى الله عليه وآله».

قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم يحضرني ما تأخر.

فقال: «إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها».

فوالله ما عدل بي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبخالد بن الوليد أحداً من الصحابة في أمر حربه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة.

وكان عمر على خالد كالعاتب.

وتقدم: أن عمرواً أسلم على يد النجاشي.

قال بعضهم: وفي إسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة، وهي: صحابي أسلم على يد تابعي. ولا يعرف مثله.

ومن حين أسلم خالد لم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوليه أعنة الخيل، فيكون في مقدمها[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٧٢٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٦ و ٧٥٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ وعن أسد الغابة ج٢ ص٩٤ وتهذيب الأسماء واللغات.

قال أبو عمر: لم يصح لخالد بن الوليد مشهد مع رسول الله قبل الفتح[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات، نجملها على النحو التالي:

رسالة الوليد إلى خالد:

تقدم: أن الوليد بن الوليد كتب إلى أخيه خالد كتاباً يتعجب فيه من ذهاب رأيه ـ خالد ـ عن الإسلام، ومن قلة عقله، وقال له: «ومثل الإسلام يجهله أحد»؟!!

ونقول:

أولاً: مع أن الوليد نفسه لم يسلم إلا بعد وقعة بدر[2]، فأين كان عقله عنه طيلة أكثر خمس عشرة سنة، كان النبي «صلى الله عليه وآله» يدعوهم فيها إلى الإسلام.

ثانياً: لم يثبت أن الوليد وصل إلى المدينة بعد خروجه من مكة في عمرة القضاء، فقد قيل: إنه مشى على رجليه لما هرب، وطلبوه فلم يدركوه.

ويقال: إنه مات في بئر أبي عتبة قبل أن يدخل المدينة[3].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٦.

(٢) الإصابة ج٣ ص٦٣٩ وعن فتح الباري ج٨ ص١٧٠ والطبقات الكبرى ج٤ ص١٣٠ وعن أسد الغابة ج٥ ص٩٢ وج٦ ص٤٨٤.

(٣) الإصابة ج٣ ص٦٣٩ وأسد الغابة ج٥ ص٩٢ و ٩٣ والأعلام للزركلي ج٨ ص١٢٣.

لم يسلم خالد سنة خمس:

زعم بعضهم: أن خالداً أسلم سنة خمس للهجرة[1].

وهذا لا يصح، إذ قد تقدم في عمرة الحديبية: أن خالداً كان قائداً لطليعة قريش في تلك الغزوة وكان ذلك سنة ست[2].

من أسباب إسلام عمرو وخالد:

قد أشير فيما تقدم إلى إسلام ابن العاص، وخالد، وإلى الأسباب الداعية لهما إلى ذلك، ولنا على ذلك ملاحظات، هي التالية:

١ ـ إن كلمات خالد المتقدمة تشير إلى: أن شعوره باليأس من الظفر، وتنامي إحساسه بالفشل، وعدم الوصول إلى نتيجة، ومعاناة الهزائم المتتالية أمام جيوش الإسلام، هو الذي دعاه لمراجعة حساباته، والتفكير بالانحياز إلى المعسكر الذي يرى بأم عينيه كيف يزداد قوة يوماً بعد يوم.

فالقضية إذن، لا تنطلق من الإحساس بالواجب، وظهور الحق له ولغيره بعد أن كان خافياً، كما أنها لم تكن صحوة وجدان، ويقظة ضمير. بل

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ الفايق في غريب الحديث ج١ ص٢٩٣ وعن البداية ج٤ ص٢٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٨ والإستيعاب ج١ ص١٥١.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٨١ وعن اسد الغابة ج٢ ص٩٣ وعن البداية ج٤ ص١٦٣ و ٢٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٧٢ و ٤٥٠ والخلاف للطوسي ج٤ ص٣٢٧ وكنز العمال ج١٣ ص٣٧٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٢٦.

هي حسابات ربح وخسارة في الدنيا، والمبادرة إلى اقتناص ما يمكن اقتناصه من الفرص قبل فوات الأوان..

وأظهرت الوقائع هذا الأمر بصورة جلية وواضحة، حتى لقد ذهبت مصر كلها طعمة لعمرو، وثمناً لمحاربة الحق وأهله، وذلك في أواخر عمره، حين عقد صفقة مع معاوية على حرب علي «عليه السلام» في صفين.

٢ ـ ولعل من أسباب رغبة خالد وعمرو بالدخول في الإسلام: هو أن عمرو بن العاص داهية محنك معروف بالمكائد والمصائد، وقد انتدبته قريش ليذهب إلى الحبشة، وليتسبب بمكره ودهائه بترحيل جعفر وغيره من المهاجرين، وإعادتهم إلى مكة.

وهو الذي دبر الأمر في حرب صفين، وكاد المسلمين برفع المصاحف فيها، حتى انجر الأمر إلى التحكيم.

وكان أشد خطراً من خالد بن الوليد، الذي كان متسرعاً إلى قتل الناس، قسياً، غادراً، خصوصاً بمن له عندهم ثارات.

وغدره ببني جذيمة انتقاماً لعمه الفاكه بن المغيرة، وعوف بن عبد عوف، بعد أن أعطاهم الأمان، معروف ومشهور. وقد تبرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من فعلته فيهم، وكان «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم داعياً لهم إلى الإسلام، لا مقاتلاً[1].

---

(١) قاموس الرجال ج٤ ص١٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٦٦ و ٧٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٧ والمسترشد في الإمامة للطبري ص٤٩٢ والبحار ج٢١ ص١٤٠ و ١٤١ والنص والإجتهاد ص٤٦٠ وعن أسد الغابة ج٣ ص٣١٦ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦١ وعن البداية والنهاية لابن كثير ج٤ =

كما أنه غدر بمالك بن نويرة، وقتله، ثم عرّس بامرأته في ليلة قتله[1].

ثم قتل رجلين مسلمين في غارته على مضيَّح، وهما: عبد العزى بن أبي رهم، ولبيد بن جرير[2].

ولكن وعكل هذه المخازي التي ارتكبها خالد، فإنه كان أقل ضرراً على الإسلام من عمرو بن العاص، من حيث إنه كان له محيطه الخاص، ويمكن لجم جماحه، وإخضاعه ووضعه في دائرة السيطرة وليس كذلك عمرو بن العاص.

٣ ـ ولو سلم أنه قد كتب ذلك لخالد، فلابد أن يكون هذا التلويح النبوي لخالد بأنه سوف يقدّمه إذا أسلم قد أذكى الطموح لديه، ورجح له الانحياز إلى المسلمين.

= ص٣٥٩ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٣ ومعجم ما استعجم ج٣ ص١٠٠٥.

(١) قاموس الرجال ج٤ ص١٤٦ و ١٤٧ عن تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٧٨ و ٢٧٩ والغدير ج٧ ص١٥٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٠٤ ـ ٢٠٦ والنص والإجتهاد ص١١٩ و ١٢٣ وعن أسد الغابة ج٤ ص٢٩٥ و ٢٩٦ ومعجم البلدان ج١ ص٤٥٥ وعن البداية والنهاية ج٦ ص٣٥٤ و ٣٥٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٧٣ والبحار ج٣٠ ص٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٩١ و ٤٩٣ والثقات ج٢ ص١٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٧٤ وعن الإصابة ج٢ ص٢١٨ وج٥ ص٥٦٠ و ٥٦١ والإستغاثة ج٢ ص٦ والكنى والألقاب ج١ ص٤٢ و ٤٣ وبيت الأحزان ص١٠٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٨٠ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٨٧.

وتكون نتيجة هذا وذاك أن إسلام خالد لم يكن عن قناعة تكونت لديه بصحة هذا الدين، وإنما أسلم طمعاً بالتقديم، بعد اليأس من الظفر بشيء عن طريق الحرب.. تماماً كما كان الحال بالنسبة لعمرو بن العاص.

ولكن الملاحظ هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ميَّز خالداً عن عمرو بن العاص. ولعله لأجل ما قدمناه من شدة خطورة الثاني بالنسبة للأول..

٤ ـ إن ظهور النبي «صلى الله عليه وآله» على العرب والعجم، قد أضاف عنصراً آخر، فرض نفسه على تفكير هؤلاء الطامعين، والطامحين، كما دل عليه كلام خالد مع صفوان بن أمية.. فإنهم يقيسون الأمور بمقاييس الأحجام والأوزان، وكانت تبهرهم العناوين الكبيرة، وتهيمن الكثرات على تفكيرهم، ومن ثم على مسيرهم ومصيرهم.مية

٥ ـ إن الرغبة في الحصول على المواقع الدنيوية، ونيل مقامات ومراتب الأبهة والشرف من أهل الشرف، قد أذكت الرغبة لديهم بهذا الشرف الدنيوي، وفق مفهومهم ونظرتهم، لكي يلونوه بالألوان التي تروق لهم.

٦ ـ إنه على تقدير صحة هذه الرسالة، فإن ما يثير دهشتنا: هو أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد جعل تقديمه لخالد مرهوناً بنكاية خالد في المشركين على وجه التحديد، مع أنه كان لا يزال على شركه، وهذا العرض ليس فقط لم يزعج هذا الرجل المشرك، بل هو قد شجعه على الإقدام على الدخول في الإسلام، وكان على استعداد لأن يمارس هذه النكاية فعلاً، مقابل هذا التقديم..

وهذا إعلان صريح للأجيال بأن هؤلاء الناس ليس لهم دين، ولا

معبود إلا أنفسهم، ولا يفكرون إلا بمصالحهم، وأن إسلامهم الظاهري هذا قد لا يغيِّر شيئاً من دخائلهم، وإن كان يجب قبوله منهم، ومعاملتهم على أساسه في الظاهر.

والحديث عن هذا يستبطن تشجيع حركة النفاق داخل المجتمع الإسلامي.. غير دقيق، وتحدثنا عن ذلك حين الحديث عن فتح وادي القرى فراجع..

٧ ـ إن ما قاله خالد لعثمان بن طلحة: «إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر، لو صب فيه ذنوب ماء لخرج»، كان تقييماً دقيقاً لحقيقة ما انتهى إليه واقع قريش ومشركي مكة، فقد أصبحوا محصورين في داخل بلدهم، بل لقد دخل الإسلام كل بيت، وشاع في كل قبيلة حتى في مكة نفسها، ولم يعد لقريش أي ملاذ تأوي إليه، أو تراوغ فيه، سوى هذا الموقع الذي هو مكة، بحيث لو خرجت منها، لوجدت نفسها في العراء أمام قانصها، الذي كان بانتظارها ليواجهها بمصيرها الذي استحقته بما كسبته يداها.

وهذا المنطق قد فرض نفسه على عثمان بن طلحة، وعلى خالد، وعلى عمرو بن العاص وعلى غيرهم.

الإسلام الصادق عليه السلام:

إن طريقة اعتراف خالد لعمرو بن العاص بما يفكر فيه، وقوله: «فحتى متى»؟! تدل على أنهم كانوا يعلمون بنبوة رسول قبل مدة، ولكنهم كانوا يسوِّفون ويماطلون في الاعتراف بهذا الأمر.. وذلك وفقاً لما أخبر الله تعالى

به عنهم حين قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1].

وهذا الأمر بالذات يجعلنا لا نثق بصدقهم في دعواهم الإسلام والإيمان، فإن من يكتم الحق، ويرفض الإعتراف به دهراً، من أجل مكاسب دنيوية، لا يتورع عن أن يظهر القبول والاعتراف به، طمعاً في مكاسب دنيوية أيضاً..

ولأجل ذلك.. نقول:

إننا وإن كنا نلتزم بوجوب معاملة هؤلاء وفق ما يفرضه الشرع الحنيف من أحكام لمظهري الإسلام، لكننا لابد أن نبقى على حذر منهم، وأن لا نُخدع بظاهر حالهم، حتى تُثبت لنا تضحياتهم، وممارساتهم، أن باطنهم يتوافق مع ظاهرهم.. وأن ما أضمروه موافق لما أظهروه.

الإسلام يجبُّ ما قبله:

وذكرت الروايات المتقدمة: أن عمرو بن العاص طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله أن يغفر له ما كان قد فعله في حربه على الإسلام، قبل أن يسلم.

وفي نص آخر: بايعه على أن يغفر له ما تقدم من ذنوبه..

فأجابه «صلى الله عليه وآله»: بأن الإسلام يجبُّ ما كان قبله.

والذي يستوقفنا هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لطلب عمرو بن العاص، ولم يستغفر الله له.. بل جعل الأمر مرهوناً بصدقه في إسلامه، فإن كان صادقاً فيه، فنفس هذا الإسلام هو الذي يرفع ويزيل آثار أفاعيله السابقة، وتكون النتيجة هي: أننا لا نستطيع الجزم بأن ابن العاص قد

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

تخلص من تلك الآثار، إلا إذا تيقنا بصدقه في دعواه الإسلام.

ومن الواضح: أن زوال الآثار إنما يبدأ من لحظة تكوّن هذا الإسلام الحقيقي، الذي قد يتأخر، بل ربما لا يحصل أصلاً، ويبقى مجرد ادِّعاء، ليس وراءه قناعة ولا قبول.

ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا أو استغفر لعمرو لزالت آثار تلك العظائم حتماً وجزماً، في أي حال يكون ابن العاص عليها، أي سواء أكان صادقاً في دعواه الإسلام، أم غير صادق.

ثم يبدأ حسابه على أعماله من لحظة دعائه «صلى الله عليه وآله» له..

عمر كالعاتب على خالد!!:

وذكر النص المتقدم: أن عمر بن الخطاب كان كالعاتب على خالد، ولكنه لم يبين لنا مبررات هذا العتب..

فإن خالداً لم يقترف ذنباً حين قد مر إلى المدينة وأعلن اسلامه، إلا إذا كان عتبه عليه من أجل ما فعله ببني جذيمة[1]، حين أرسله النبي «صلى الله

---

(١) علل الشرايع (ط النجف) ص٤٧٤ والبحار ج٢١ ص١٤٢ وج١٠١ ص٤٢٤ والأمالي للصدوق ص٢٣٧ و ٢٣٨ وأمالي الطوسي ص٤٩٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٠٣ ومسند أحمد ج٢ ص١٥١ وسنن النسائي ج٨ ص٢٢٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٧٠ و ٧١ وعن فتح الباري ج٨ ص٤٥ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٢٠٣ وج٤ ص١٢٢ وج٨ ص٩٢ وج٩ ص٩١ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٢٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٦٦ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٦٦.

عليه وآله» إليهم داعياً، لا مقاتلاً؟! أم أنه كان عاتباً عليه لأجل قتله مالك بن نويرة، ووطئه زوجته في ليلة قتله؟![1].

أو لعل السبب في ذلك هو: أنه كان قد اصطرع مع خالد بن الوليد، وهما غلامان. وكان خالد ابن خال عمر، فكسر خالد ساق عمر، فعرجت، وجبرت، فكان ذلك سبب العداوة بينهما[2].

إننا نرجح هذا السبب الأخير، إذ لم نجد من عمر أية ردة فعل تجاه ما جرى لبني جذيمة، فإنه لم يسحب سيفه ليقول: دعني أقتله يا رسول الله، كما تعودناه منه في الكثير من المناسبات.

كما لم نجده يسعى في معاقبته بعد توليه الخلافة على جريمة الزنى بزوجة مالك بن نويرة في ليلة قتله لرجل مسلم، ولا على قتله امرءاً مسلماً بصورة غادرة، وغير شريفة، بل هو قد استعان به، وأظهر الحزن عليه حين وفاته، وأعرب عن رغبته في بكاء الناس عليه[3]. رغم أنه كان يمنع غيره من ذلك.

---

(١) قاموس الرجال ج٣ ص٤٩١ عن الطبري، والصراط المستقيم ج٢ ص٢٧٩ والغدير ج٧ ص١٥٨ و ١٩٦ والبحار ج٣٠ ص٣٥١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٠٣ و ٥٠٤.

(٢) كنز العمال ج١٣ ص٣٦٩ عن ابن عساكر، والبداية والنهاية ج٧ ص١٣١ والغدير ج٦ ص٢٧٤ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٢٠ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٩ ص٢٥٣ و ٣٩٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٦٧.

(٣) الإصابة ج١ ص٤١٥ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٤١٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ج١٦ ص٢٦٩ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٦٧.

دعاوى عريضة لعمرو بن العاص:

وأما ما ادَّعاه عمرو بن العاص: من أنه «صلى الله عليه وآله» لم يعدل به وبخالد بن الوليد أحداً من الصحابة، في أمر حربه منذ أسلما، وأنه من حين أسلم خالد، لم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوليه أعنة الخيل(١).

فهو محض افتراء، تكذبه جميع الشواهد والدلائل التاريخية..

فإن علياً «عليه السلام» كان صاحب لواء النبي «صلى الله عليه وآله»، وحامل رايته في كل مشهد، باستثناء تبوك، التي لم تكن فيها رايته ولواؤه، لا لعمرو بن العاص، ولا لخالد بن الوليد.

وكذلك الحال في سائر الغزوات التي شهدها هذان الرجلان، كغزوة حنين؛ فقد كان خالد في ضمن مجموعة المقدمة(٢)، وفي فتح مكة، والطائف، كان سهم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد فيها لا يكاد يذكر، باستثناء مشاركة خالد في بعض المجموعات القتالية في فتح مكة من دون إعطائه أية مهمات خاصة، أو متميزة.

وحين تعدى خالد طوره فيها سعى النبي «صلى الله عليه وآله» إلى رأب الصدع، وإعادة الأمور إلى نصابها.

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج٥ ص٣٤٣ والإصابة ج١ ص والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٤٠٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ وعن أسد الغابة ج٢ ص٩٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٣٠٦ وراجع: الأعلام للزركلي ج٢ ص٣٠٠ وتهذيب الأسماء واللغات (١٤٢) ترجمة خالد بن الوليد، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٥٥.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٦.

وأما السرايا التي أرسلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد إسلام هذين الرجلين، فكان أكثرها بقيادة أناس آخرين أيضاً.

وقد ورد ذكر خالد في سرية إلى بني جذيمة، ولكنها لم تكن سرية قتال، بل كانت سرية دعوة، تعدى فيها خالد حدود الأوامر النبوية، فأوقع بهم، لأنهم كانوا قد قتلوا عمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية[1].

وهذا ما دعا النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» إلى التبرؤ مما صنعه خالد، ثم بادر «صلى الله عليه وآله» إلى تكليف علي «عليه السلام» بمعالجة الفتق الذي أحدثه هذا الرجل[2].

---

(١) قاموس الرجال ج٣ ص٤٨٩ و ٤٩٠ عن الطبري، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٢ وفيه: أن خالداً اعترف بأن هذا هو السبب فيما فعله بهم، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٧ والمسترشد ص٣٨٥ و ٤٩٢ والنص والإجتهاد ص٤٦٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٣٩ والبحار ج٢١ ص١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٨ وعن أسد الغابة ج٣ ص٣١٦ والمنمق لابن حبيب ص٢١٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٥٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٨٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٣ و ٥٩٤ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٩ ص٣٩٥ و ٥٣٦ وكنز العمال ج١٣ ص٢٢٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠٢.

(٢) قاموس الرجال ج٣ ص٤٩٠ عن الطبري، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٢، والمعارف (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص١١٦ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٤٠٧ وعن البداية والنهاية ج٦ ص٣٥٥ والمبسوط للسرخسي ج١٣ ص٩٢ وج٢٠ ص١٤٣ والمحلى ج٨ ص١٦٦ والمسترشد ص٤٩١ ـ ٤٩٣ وشرح =

وقد ذكر اسم خالد أيضاً في ضمن من نفَّر برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة[1].

وذكروا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسله لهدم العزى، ولا يصح عدّ هذه المهمة من المهمات القتالية..

أما ما زعموه: من أنه «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى أكيدر، فهناك أيضاً شكوك تحوم حول صحة كثير مما يقال فيه، كما سيأتي بيانه.

وأما عمرو بن العاص فقد ورد: أنه كُلِّف بمهمة هدم سواع.. ولا يصح عد هذه المهمة في جملة المهمات القتالية أيضاً..

وذكر أيضاً: أنه أرسله أميراً لسرية ذات السلاسل التي ظهر فيها فشله الذريع، وكان النصر المؤزر فيها لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد سعى عمرو بن العاص نفسه إلى إفشال مهمة علي «عليه السلام» فخاب سعيه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

= الأخبار ج١ ص٣٠٩ و ٣١٠ والبحار ج٢١ ص١٤٢ و ١٤٣ وج٣١ ص٣٣٠ والنص والإجتهاد ص٤٦٠ و ٤٦١ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٧٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٤٨ وعن أسد الغابة ج٢ ص٩٤ والمحبر ص١٢٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٨٤ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١ وغريب الحديث ج١ ص٣٧٢ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٢٧٧ وج٥ ص٢٢٦ ولسان العرب ج٨ ص١٣٥ و ٤٦٠ وتاج العروس ج٦ ص٢٦.

(١) الخصال ج٢ ص٢٩٩ والبحار ج٢١ ص٢٢٢ و ٢٢٣ وج٣١ ص٦٣٢ و ٦٣٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٠٢ و ٦٠٣ وكتاب سليم بن قيس ص١٥٥.

إسلام ابن العاص على يد النجاشي!!

وهناك من زعم: أن ابن العاص أسلم على يد النجاشي، وذلك حين ذهب إليه مع رجال قومه بعد الحديبية، فطلب من النجاشي أن يعطيه عمرو بن أمية الضمري ليضرب عنقه، وكان قد جاءه بكتاب النبي «صلى الله عليه وآله» ليزوجه بأم حبيبة، فلما طلبه منه، ضربه النجاشي على أنفه، فابتدر دماً، فأسلم عمرو حينئذٍ على يد النجاشي، وبايعه على الإسلام، وعاد إلى بلاده، فلما بلغ الظهران، التقى بخالد، وعثمان بن طلحة، فترافقوا إلى المدينة، حسبما تقدم[1].

ولذلك قيل: إن هذا معناه: أن صحابياً قد أسلم على يد تابعي، ولا يعرف مثله.

ونقول:

١ ـ إن عمرو بن العاص لم يذكر لنا اسم أي واحد من الذين ذهبوا معه إلى النجاشي، وهم من قومه، وقد تركهم هناك، وانسل راجعاً إلى بلاده.

---

(١) راجع: الإصابة ج٣ ص٢ عن الزبير بن بكار، والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٢ـ ٧٥٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٦ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٩٧ و ٣٩٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٦٩ و ٥٧٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٧١ و ٢٧٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٥١ وكنز العمال ج١٣ ص٣٦٩ و ٣٧٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٢٦ وج٤٦ ص١٢٢ و ١٢٣ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٤ وعن مسند أحمد ج٥ ص٢٢٢ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٩ ص٣٩٨.

مع أنه لم يكن هناك أي داع لأن ينسل من بينهم، فلماذا لا يخبرهم بما جرى له مع النجاشي؟ فلعلهم يوافقونه الرأي ويختارون الإسلام أيضاً، خصوصاً مع كونهم ـ كما ذكر ابن العاص نفسه ـ من قومه، وممن يرون رأيه، ويسمعون كلامه، ويقدمونه فيما نابهم.

وكيف وثق بخالد، وبعثمان بن طلحة، ولم يثق بهؤلاء الذين يصفهم بهذه الأوصاف؟!

٢ ـ إن هذه الرواية لم يروها ـ فيما نعلم ـ سوى عمرو بن العاص نفسه، وهو متهم فيما يقول عن نفسه.

٣ ـ لماذا لم يتصل بجعفر بن أبي طالب، وسائر المهاجرين المسلمين، ويبشرهم بإسلامه، ويكون معهم وإلى جانبهم؟!

٤ ـ لماذا لم يخبر عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد بإسلامه على يد النجاشي؟! بل ادَّعى لهم: أنه يريد أن يذهب إلى المدينة ليسلم على يد النبي «صلى الله عليه وآله»..

٥ ـ إن ما جرى بين عمرو وبين النجاشي لم يحمل في طياته أي سبب لإسلام عمرو، بل ربما يقال: إن الأوفق بمسار الأمور هو: أن يزيد حقده على الإسلام، ويتأكد صدوده عنه، وأن يبذل المزيد من الجهد في الكيد له ولأهله..

لقد كان ما فعله النجاشي عبارة عن تسديد لطمة لعمرو، من شأنها أن تدفعه للانتقام من أهل الإسلام، واعتبارهم السبب في بلائه، وفي تحطيم عنفوانه، وكبريائه، وليس لهذه الضربة أي أثر في دفع الشبهات، أو في إيضاح الحقائق، أو في تليين القلوب للحق.

إسلام خزاعة وكتب النبي ﷺ لها:

قالوا: ولما انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الحديبية، لم يبق أحد من خزاعة إلا مسلم مصدق بمحمد، قد أتوا بالإسلام، وهو في من حوله قليل. وأسلم قوم من العرب كثير، ومنهم من هو بعد مقيم على شركه.

إلى أن قدم علقمة بن علاثة، وابنا هوذة، وهاجروا؛ فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى خزاعة في جمادى الآخرة سنة ثمان الرسالة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بديل، وبشر، وسروات بني عمرو.

سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الله لا إله إلا هو.

أما بعد..

فإني لم آثم بإلّكم. ولم أضع في جنبكم. وإن أكرم تهامة عليَّ أنتم وأقربهم رحماً أنتم، ومن تبعكم من المطيبين. فإني قد أخذت لمن قد هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسي ـ ولو هاجر بأرضه ـ غير ساكن مكة إلا معتمراً، أو حاجاً.

وإني لم أضع فيكم إذ سالمت، وإنكم غير خائفين من قبلي، ولا محصورين.

أما بعد.. فإنه قد أسلم علقمة بن علاثة وابناه. وتابعا، وهاجرا على من تبعهما من عكرمة.

أخذت لمن تبعني فيكم ما آخذ لنفسي، وإن بعضنا من بعض أبداً في

الحل والحرم. وإنني ـ والله ـ ما كذبتكم. وليحبكم ربكم»[1].

وقد أورد العلامة المتتبع الشيخ علي الأحمدي «رحمه الله» هذا النص بصوره المختلفة عن الأموال، وطبقات ابن سعد، والطبراني، وشرح

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٩ و ٧٥٠.

ونقله في مكاتيب الرسول ج٣ ص١٢٦ عن: الأموال لأبي عبيد ص٢٠١ وفي (ط أخرى) ص٢٨٨ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج٢ ق١ ص٢٥ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٢٧٢ وأسد الغابة ج١ ص١٧٠ في ترجمة بديل، ورسالات نبوية ص٩٦ (عن ابن حجر والطبراني) وابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٨٦ وكنز العمال ج٤ ص٢٧٦ (عن ابن سعد، والباوردي، والفاكهي في أخبار مكة، والطبراني، وأبي نعيم) وص٣١٠ (عن ابن أبي شيبة).

وراجع: والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص١٥ بسندين، ومدينة البلاغة ج٢ ص٣١٥ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٦٤ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٥٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٧٢ و ١٧٣ ومجموعة الوثائق السياسة ٢٧٥ و ٢٧٦/ ١٧٢ (عن جمع ممن تقدم وعن) وسيلة المتعبدين ج٨ ص ٢٨/ ألف، ثم قال: قابل ابن عبد ربه ج٢ ص٧٦ والإستيعاب، وانظر: كايتاني ج٨ ص٢١ واشبرنكر ج٣ ص٤٠٤ واشبربر ص٢٠.

ثم قال العلامة الأحمدي: وأوعز إليه كنز العمال ج١ ص٢٧٣ وجمهرة النسب لهشام الكلبي ص٣٦٥ والإصابة ج١ ص١٤٩ و ٦٤٦ في ترجمة بسر عن أبي شيبة، والطبراني، والفاكهي وص١٤١/ ٦٤١ وص٣٢١ في حرملة، وج٢ ص٥٠٤ والإستيعاب ج١ ص١٦٦ في بديل، وص٤١١ في خالد بن هوذة، ورسالات نبوية ص١٧ وأسد الغابة ج١ ص٣٩٨ وج٢ ص٩٧ وراجع: ثقات ابن حبان ج٢ ص٣٦ والإشتقاق ص٤٧٦ والمفصل ج٦ ص٤٢٣ وج٤ ص١٥ و ٣٦٧.

ألفاظه، فراجع(١).

ونقول:

إن لنا مع هذا الكتاب وقفات عديدة، نقتصر منها على ما يلي:

من هو كاتب الكتاب؟!

يلاحظ: أن أكثر المصادر لم تذكر من الذي تولى كتابة هذا الكتاب، لكن ابن الأثير قال: كان الكتاب بخط علي بن أبي طالب.أخرجه الثلاثة(٢).

وفي رسالات نبوية: وإن الكتاب بيد علي بن أبي طالب.

ونقل الطبراني، قال: قال أبو محمد: وحدثني أبي قال: سمعت يقولون: هو خط علي بن أبي طالب «عليه السلام»(٣).

رسالتان.. أم رسالة واحدة؟!

وإن إلقاء نظرة على الرسالة المتقدمة تثير أمام الباحث احتمال أن تكون عبارة عن رسالتين، إذ لم يعهد في المكاتبات تكرار كلمة «أما بعد..» في الرسالة الواحدة.

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٢٥ ـ ١٣٧.

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص ١٣٧ عن المعجم الكبير ج٢ ص١٥ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣١٥ وراجع: مجمع الزوائد ج٨ ص١٧٣ وعن أسد الغابة ج١ ص١٩٧ وعن الإصابة ج١ ص٤١٠.

(٣) مكاتيب الرسول ج٣ ص ١٣٧ والمعجم الكبير ج٢ ص٣٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٧٣.

ويؤيد ذلك: التكرار لأمر واحد في الفقرة الأولى، ثم في الثانية، فقد قال:

أولاً: «فإني قد أخذت لمن قد هاجر منكم، مثلما أخذت لنفسي».

ثم قال ثانياً: «فقد أخذت لمن تبعني منكم ما آخذ لنفسي».

بل في رواية ابن سعد: وردت كلمة «أما بعد» ثلاث مرات في الرسالة المذكورة.. فلماذا كان ذلك يا ترى؟!.

ويدل على ذلك أيضاً: أن الواقدي يصرح: بأن هذه الرسالة قد كتبت في جمادى الآخرة سنة ثمان..

مع أن الفقرة الأخيرة من الرسالة ـ حسب نص الطبراني، ورواية ابن سعد ـ صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» ذكر لهم: أن علقمة بن علاثة، وابنا هوذة قد أسلما، وبايعا، وهاجرا.

وصرحت رواية الواقدي: بأنهما قدما على رسول «صلى الله عليه وآله» وهاجرا.

ومن الواضح: أن العداء (كعَطَاء) بن خالد بن هوذة، من بني عمرو بن ربيعة، من بني عكرمة بن خصفة، كان من المؤلفة قلوبهم، وهو إنما أسلم بعد حنين، مع أبيه، وأخيه حرملة[1].

وذكرت بعض الروايات: أن حرملة هو عمه.

---

(١) راجع: الإصابة ج٢ ص٤٦٦ وج١ ص٣٢١ والإستيعاب ج٢ ص١٦١ وج١ ص٣٦١ والجمهرة للكلبي ص٣٦٥، وأسد الغابة ج١ ص٣٩٨ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٢٨١ وإكمال الكمال ج٣ ص٢٦٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٣٣٨ و ٦٠٩.

وهذا يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» كتب إلى خزاعة يبشرهم بإسلام هؤلاء بعد حرب حنين.

فكيف تكون الرسالة قد كتبت في سنة ثمان؟

اشتباه ابن سعد:

وزعم ابن سعد: «أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتب فيها السلام، لأنه كتب بها إليهم قبل أن ينزل عليه السلام»[1].

وهو كلام غير دقيق:

فأولاً: لأن رواية الواقدي ـ وما أقرب ابن سعد إليه، فإنه كاتبه، وراوي أخباره ـ قد جاء فيها قوله: «السلام عليكم»، فراجع نسخة المغازي.

ثانياً: قد ورد في العديد من السور المكية ذكر السلام، أو الأمر به؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾[2].

وقال: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾[3].

وقال: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾[4].

وقال: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[5].

---

(١) الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٢٥ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٢٧٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص١٤٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص١٢٩.

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٤٦ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ١٠ من سورة يونس، وراجع الآية ١٢ من سورة إبراهيم.

(٥) الآية ٢٤ من سورة الرعد.

وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ﴾(١).

والآيات في ذلك كثيرة.

علاقة مودة ورحمة:

وبعد.. فإن هذا الكتاب الشريف الطافح بالمودة، والعطف، والناضح بالحنان، والرقة، قد أظهر ما كان يكنُّه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين «صلى الله عليه وآله» لهؤلاء الناس الأوفياء، من محبة واحترام وتقدير، وهو خير دليل على طبيعة العلاقة التي يريدها الله تعالى لها أن تقوم بين الأنبياء «عليهم السلام» وبين قومهم، وأنها لابد أن تتجاوز حدود الطاعة والانقياد من جانب الرعية، وأنها أكثر من مجرد علاقة تدبير ورعاية، ودلالة وهداية من جانب الأنبياء أنفسهم «عليهم السلام»..

إنه تعالى يريدها علاقة حب تصل إلى حد الانصهار لهم في شخص رسوله «صلى الله عليه وآله».. كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٢).

كما أنها لا تقل عن هذا المستوى في جانب شخص الرسول «صلى الله عليه وآله» تجاه رعيته، حيث كانت تذهب نفسه حسرات حتى على الذين

---

(١) الآية ٦٩ من سورة هود.

(٢) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

لا يزالون يقاتلونه فكيف تكون حاله تجاه المؤمنين؟! وذلك على قاعدة:

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾(٢).

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(٣).

امتاز الحليف على الرئيس:

وسجل الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» في هذه الرسالة المباركة، حقيقة هامة جداً، وهي أنه أخذ لمن هاجر من حلفائه من بني خزاعة مثل ما أخذ لنفسه.

ثم ألحق بمن هاجر، أولئك الذين لزموا أراضيهم، ولم يسكنوا مكة، ولا يدخلونها إلا للحج أو للعمرة..

وقد تجاوز هذا حدود الإنصاف والعدل، ليكون هو منتهى التفضل، إذ لم نعهد في تاريخ الأحلاف سوى الالتزام بما يقع التحالف عليه، مثل نصرة الحليف حين مهاجمة عدو، أو نحو ذلك..

ولم نسمع أن حليفاً منح حليفه نفس الحقوق والامتيازات التي يعطيها لنفسه، كيف ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تجاوز ذلك هنا؟! فأعطى

---

(١) الآية ١٢ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٣) الآية ٨ من سورة فاطر.

من أقام بأرضه، ولم يهاجر منها ـ إذا كان لا يسكن مكة ـ مثل ما أعطى للمهاجر الذي ترك أرضه، ووطنه، وماله، وقومه، وعشيرته، وأقاربه!!

أي أنه جعل عدم سكنى مكة، والبقاء في الأرض بمنزلة الهجرة، من حيث الثواب، ومن حيث إن سائر الامتيازات التي تعطى للمهاجر، تعطى لهذا المقيم!!

الحلم والتأني:

ثم هو «صلى الله عليه وآله» يعيد التنصيص على التزامه بعهده معهم، ويؤكد لهم الأمان من قبله، وأنه لا يخون عهدهم، ثم هو يعدهم بأن لا يسرع في مجازاتهم بالسوء، لو صدر منهم ما يوجب ذلك، بل سيعاملهم بالحلم والتأني، ولذلك قال لهم: إني لم أضع فيكم (أي لم أسرع) إذ سالمت، وأنكم غير خائفين من قبلي، ولا محصورين (أو لا مخفورين)..

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد بلغ الغاية، وأوفى على النهاية في حسن تعامله مع حلفائه. وأعطاهم ما لم يعطه حتى لنفسه، ولا صرح بأنه أعطاه لمن معه من الأصحاب، ومن الأهل والعشيرة..

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد:

وفي شهر صفر سنة ثمان بعث «صلى الله عليه وآله» غالب بن عبد الله الليثي في سرية، تتألف من بضعة عشر رجلاً، للإغارة على بني الملوح بالكديد. فلما وصلوا إلى قديد لقيهم الحارث بن مالك بن البرصاء، فأخذوه، فقال: إنما جئت أريد الإسلام.

فقالوا: لا يضرك رباط ليلة إن كنت تريد الإسلام، وإن يكن غير ذلك

نستوثق منك.

فأوثقوه، وخلفوا عليه رجلاً منهم، وقالوا له: إن نازعك فاحتز رأسه.

ثم ساروا حتى أتوا الكديد، فكمنوا هناك، وأرسلوا جندب بن مكيث الجهني ليستطلع لهم، فأتى إلى تل مشرف على بيوت أولئك القوم، فانبطح على رأس التل.

فرأى رجل منهم سواداً هناك، فشك في أمره، فرماه بسهمين فما أخطأه، فانتزعهما جندب من جسده.

ثم لما اطمأن ذلك الحي، وهدأوا شنوا عليهم الغارة، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية، واستاقوا النعم، والشاء، وخرجوا بها إلى المدينة، فمروا بابن البرصاء فاحتملوه..

وخرج صريخ القوم، فجاءهم ما لا قبل لهم به، وكان الوادي بينهم، وإذ بالوادي قد امتلأ جنباه بالماء، بحيث لا يستطيع أحد أن يجوزه، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك سحاباً ومطراً، ففاتوهم، وغزوا المدينة[1].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٠ ـ ٧٥٢ وروي أيضاً عن ابن إسحاق، والإصابة ج٣ ص١٨٤ عن مسند أحمد، عن مسلم بن عبد الله الجهني، وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٧ والبحار ج٢١ ص٤٩ عن الكامل في التاريخ، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٨ و ١٨٩ وراجع: الآحاد والمثاني ج٥ ص٥٥ و ٥٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١١ و ٣١٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٣ و ٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٢٨ و ١٠٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٠ و ٤٢١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وعن مسند أحمد ج٤ ص٥٠٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٢٤.

ونقول:

حديث التل:

ذكر جندب الجهني ما جرى له حين وصل إلى التل، فقال: «فلما استويت على رأسه، انبطحت عليه، لأنظر، إذ خرج رجل منهم، فقال لامرأته: إني لأنظر على هذا الجبل سواداً، ما رأيته قبل. انظري إلى أوعيتك، لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً.

فنظرت، فقالت: والله، ما فقدت من أوعيتي شيئاً.

فقال: ناوليني قوسي ونبلي.

فناولته قوسه وسهمين. فأرسل سهماً، فوالله، ما أخطأ بين عيني، فانتزعته وثبتُّ مكاني، فأرسل آخر، فوضعه في منكبي، فانتزعته، وثبتُّ مكاني.

فقال لامرأته: لو كان جاسوساً لتحرك، لقد خالطه سهمان، لا أبا لك الخ..»[1].

ونشير هنا إلى ما يلي:

أولاً: لم نعرف كيف سمع جندب ما جرى بين ذلك الرجل وزوجته؟! فإن ذلك مما لا يتيسر سماعه عادة من هذه المسافة البعيدة!!

إلا أن يكون: قد التقى أو بزوجته أو بمن سمع كلامهما في وقت لاحق، فأخبره بهذه التفاصيل.. ولكن ليس بين أيدينا ما يدل على حصول

---

(١) الآحاد والمثاني ج٥ ص٥٥ و ٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٣٧.

مثل هذا اللقاء..

ثانياً: لو أغمضنا النظر عما تقدم، فإن من يأتيه سهم في جبهته، ويثبت فيها، ويحتاج إلى انتزاعه منها، لا يتوقع منه البقاء على حالة من الوعي والتوازن، إذ معنى ذلك: أن السهم قد ثقب عظم الجبهة، إذ لا يمكن أن يثبت السهم فيها بدون ذلك.. وهذا يؤدي إلى الغياب عن الوعي والتعرض لمضاعفات أصعب، وأخطر..

هذا، إن قلنا باحتمال قدرة السهم الذي يرسل من مسافة بهذا المقدار، على اختراق العظم.

من هو جندب هذا؟!

إن راوي هذا الحديث هو شخص يدَّعي أنه شارك في تلك السرية، وهو جندب بن مكيث الجهني.. فلماذا لم يروها لنا آخرون ممن شاركوا أو اطلعوا على ما جرى فيها؟!

أما ما ورد في بعض المصادر، من أن الراوي هو مسلم بن عبد الله الجهني[1]، فلم نجد لمسلم هذا ترجمة في كتب الصحابة.

غوامض غير مستساغة:

صرحت الرواية: بأنهم قتلوا مقاتلة ذلك الحي، وسبوا النساء والذرية، مع أنهم كانوا بضعة عشر رجلاً فقط.

لكن الراوي لم يذكر لنا كم كان عدد مقاتلة ذلك الحي؟!

---

(١) الإصابة ج٣ ص١٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٣٩٣.

وكم كان عدد السبي؟!

وكم كان عدد الشاء التي أخذت..

وكم يوماً غابوا عن المدينة؟!

لابد من التروي:

١ ـ قد ذكرنا أكثر من مرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليغير على من لم يعلن الحرب عليه، كما أنه لا يقاتل أحداً إلا بعد الدعوة والاحتجاج، ولم نجد أي شيء يدل على ذلك!!

٢ ـ إن إرسال أفراد قليلين ـ بضعة عشر رجلاً ـ إلى بلاد بعيدة يحتاج الوصول إليها والعود منها إلى أيام عديدة، في منطقة زاخرة بالأعداء، يعد نوعاً من المخاطرة التي يصعب تفسير مبرراتها، ودوافعها بسهولة..

ولأجل ذلك، نقول: إن تأييد، أو تفنيد هذه السرايا يحتاج إلى المزيد من التروي، والتدقيق.

تناقض غير مفهوم:

والغريب في الأمر: أننا تارة نقرأ في روايات هذه الغزوة: أنهم حين صار الوادي بين الفريقين: «أرسل الله سحاباً، فأمطر الوادي ما رأينا مثله، فسال الوادي، بحيث لا يستطيع أحد أن يجوزه»[1].

وأخرى نقرأ فيها قولهم: «القوم ينظرون إلينا، إذ جاء الله بالوادي من حيث شاء يملأ جنبيه ماء، والله ما رأينا يومئذٍ سحاباً ولا مطراً، فجاء بما لا

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٩.

يستطيع أحد أن يجوزه»[1].

تكرار المكررات:

ثم إنهم يقولون: إن ذلك قد تكرر مرة أخرى، وذلك لقطبة بن عامر حين توجه إلى بني خثعم بناحية تبال[2].

فما أكثر التكرار للأحداث في موضوع السرايا، فهل يمكن أن يشير ذلك إلى أن ثمة من كان يريد توزيع الأوسمة للأتباع والأشياع لفريق بعينه، فاتخذ من السرايا باباً لتحقيق هذا الغرض، ولعل سرايا كثيرة قد اخترعت، وجعلت قيادتها إلى هذا وذاك، لتكون رشاوى لهم، أو مكافآت على مواقف اتخذوها، أو مبادرات لصالح فريق يحبونه، أو ضد فريق يناوئونه.

ولعل أحداثاً حقيقية في سرايا بعينها، أو لعل سرايا كاملة، قد حذفت أو حرِّفت لتخفيف الضغط عن أناس متضررين منها، أو تشكيكاً بإخلاص، وبمواقف ناس مخلصين، مجازاة لأصحابها، وكيداً منهم لهم، وتجنياً عليهم، لأغراض ودوافع مختلفة..

ولذلك ظهر التكرار، وطغت على السطح التناقضات، أو الهنات والفجوات، وكثرت السرايا التشريعية، والأحداث الوهمية..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٩ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٢ وسبل الهدى وارشاد ج٦ ص١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٩.

زواج النبي ﷺ ببنت الضحاك:

قالوا: في سنة ثمان تزوج النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة بنت الضحاك الكلابية[1]، فلما دخلت على النبي «صلى الله عليه وآله»، ودنا منها، قالت: إني أعوذ بالله منك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: عذت بعظيم، الحقي بأهلك[2].

وفي رواية: أن ابنة الجون أدخلت الخ..[3].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٧ والبحار ج٢١ ص٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٠٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص٥٦ والمنتخب من ذيل المذيل ص١٠٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٤٣١ وج٥ ص٢١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٧١٠ وج٤ ص٥٩٠ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٤١ و ٢١٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٢٨.

(٢) البحار ج٢١ ص٤٦ و ٤٧ وسنن النسائي ج٦ ص١٥٠ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٥٥ والمعجم الأوسط ج٣ ص٣٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤١ والثقات ج٣ ص٨٣ وعن الإصابة ج٨ ص٢٧٣ والمنتخب من ذيل المذيل ص١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢٨.

(٣) راجع: سنن الدارقطني ج٤ ص١٩ والمجموع ج١٧ ص١٠٥ والمحلى ج١٠ ص١٨٧ وسبل السلام ص١٧٨ ونيل أوطار ج٧ ص٣٠ وفقه السنة ج٢ ٢٢٥٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٦١ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٩ و ٧٢ و ٣٤٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٥٢ والمنتقى من السنن المسندة ص١٨٤ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٨٣ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤٤٧ وكنز العمال ج١٢ ص١٤٠ وج١٣ ص٧١٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٨٤ وعن أسد الغابة ج٥ ص٣٩٧ وسير أعلام النبلاء ج٢ =

سرية ذات أطلاح:

وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، وراء ذات القرى. وكان كعب يكمن النهار، ويسير بالليل، فوجدوا جمعاً كثيراً من أهل الشام، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فقاتلهم المسلمون أشد القتال، حتى قتلوا.

قال أبو عمر: قتلوهم بقضاعة[1].

فأفلت منهم رجل جريح في القتلى.

قال مغلطاي: قيل: هو الأمير.

فلما كان الليل تحامل حتى أتى رسول الله، فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهمَّ بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر، فتركهم[2].

= هامش ص٢٥٥ وعن الإصابة ج٨ ص٩ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٣١٧ و ٣١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٨٧ و ٥٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٢١ وج١١ ص٢٢٢ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٦٣ وعن صحيح البخاري (دار إحياء التراث) ج١٠ ص٤٤٧ وجامع الأحاديث والمراسيل ج٦ ص٦٦ وج١٨ ص٢٥٣ ومنتقى ابن الجارود ج١ ص٣٠١ وعن بلوغ المرام ج١ ص٢١٤ وسبل السلام ج٣ ص١٤٢٩ وعن فتح الباري ج١٠ ص٤٤٧ وعمدة القاري ج٢٠ ص٢٢٩ وعن زاد المعاد ج١ ص٢١٢١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٣.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٢ و ٧٥٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٣ والبحار ج٢١ ص٥٠ وكنز العمال ج١٠ ص٦٠٠ =

ونقول:

إننا نلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ لم يتضح لنا بالتحديد ذلك الموضع الذي بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليه هذه السرية، إلا أنها أرسلت إلى موضع وراء ذات القرى، كما أننا لم نعرف الهدف من إرسالها إلى تلك المناطق البعيدة، فإنها ليست سرايا قتالية بلا شك، إذ لا قدرة لخمسة عشر رجلاً على الدخول في حرب حقيقية، في محيط الكفر الطاغي والباغي هذا.

ولنا أن نحتمل أن تكون سرية استطلاعية، هدفها تنسُّم الأخبار عن تحركات الجيوش في مناطق الشام.. أو هي سرية دعوة إلى الإسلام..

وربما يكون هذا الإجراء الاستطلاعي قد اتُّخذ انتظاراً لنتائج الرسائل التي بعثها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك الأرض، وتحسُّباً، واحتياطاً لأي أمر ربما يفكر فيه أولئك العتاة، والجبابرة المستكبرون.

٢ ـ وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نضع علامة استفهام كبيرة حول صوابية مبادرة قائد السرية إلى مواجهة تلك الجموع بطلب التخلي عن دينهم، والدخول في الإسلام، ما دام أن هذه الطريقة في الدعوة سوف تفهم على أنها نوع من الاستخفاف والتحدي.

٣ ـ ولو أغمضنا النظر عن ذلك، فإن خيار الحرب والقتال ربما لا

= والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٧ و ١٢٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥ وج٥٠ ص١٤٩ و ١٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٤ وعمدة القاري ج١٤ ص٣٠٨ وحياة الصحابة، باب الدعوة إلى الله.

يكون هو الخيار الصحيح حتى لو رفض أولئك قبول هذه الدعوة.. بل قد يكون اللجوء إلى تهدئة الأمور، والخروج من المأزق بلباقة هو الأولى، ما دام أنه لا تترتب على قتل هؤلاء النفر من المسلمين أية فائدة، أو عائدة.

٤ ـ إننا لا نظن أن سبب ترك النبي «صلى الله عليه وآله» إرسال سرية لمعاقبة أولئك القتلة، هو انتقالهم إلى موضع آخر، إذ كان بالإمكان تحديد موقعهم، ثم إرسال الجيوش إليهم لتأديبهم.

٥ ـ إن هذا النوع من سرد الأحداث المتوافقة في عناصر تكوينها، قد تكرر في عدة سرايا، وهو أمر غير مألوف، وبعيد عن الاحتمال، فراجع على سبيل المثال:

سرية ابن أبي العوجاء، إلى بني سليم.

وسرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة في ذي القصة.

وسرية بشير بن سعد إلى فدك.

سرية إلى السّيّ:

روى الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم: أنه في شهر ربيع الأول من سنة ثمان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسِّيِّ، من أرض بني عامر، من ناحية ركبة، على خمس ليال من المدينة، وأمره أن يغير عليهم..

فخرج يسير بالليل، ويكمن النهار، حتى صبَّحهم وهم غارون. وكان قد أوعز إلى أصحابه، أن لا يمعنوا في الطلب، فأصابوا نعماً كثيراً وشاءً،

فاستاقوا ذلك كله حتى قدموا المدينة.

واقتسموا الغنيمة، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً لكل رجل. وغابت السرية خمس عشرة ليلة[1].

وقالوا أيضاً: إنهم كانوا قد أصابوا نسوة هناك، فاستاقوهن. وكانت فيهن جارية وضيئة، فقدموا بها المدينة..

ثم جاء وفد أولئك القوم مسلمين، فكلموا النبي «صلى الله عليه وآله» في السبي، فكلم النبي «صلى الله عليه وآله» شجاعاً وأصحابه في ردهن، فسلموهن، وردُّوهن إلى أصحابهن.

وكانت الجارية الوضيئة عند شجاع بن وهب، أخذها بثمن، فأصابها. فلما قدم الوفد خيَّرها، فاختارت المقام عند شجاع، فلقد قتل يوم اليمامة وهي عنده، ولم يكن له منها ولد[2].

ونقول:

١ ـ إن ثمة شكوكاً تحوم حول هذه السرية، فقد قال الواقدي:

«فقلت لابن أبي سبرة: ما سمعت أحداً قط يذكر هذه السرية.

فقال ابن أبي سبرة: ليس كل العلم سمعته.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٣ و ٧٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٤ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٩٨ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٣ و ٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٣.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٣ و ٧٥٤ وراجع: ما عن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٣.

قال: أجل والله»[1].

فرواية هذه السرية منحصرة بابن أبي زيد. الأمر الذي أثار استهجان الواقدي، فاندفع ليعترض على الراوي الذي جاء بعد حوالي مائتي سنة من شهادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجد الجواب الحاسم، الذي ينضح بروح القمع، ويرشح بالغيظ والتحدي.

٢ ـ إذا كانت المسافة بين المدينة وبين السِّيِّ هي خمس ليال كما ذكروه[2]، وكان المطلوب هو مهاجمة جمع من هوازن كانوا هناك، فهل يكفي أربعة وعشرون رجلاً لإنجاز هذه المهمة؟!

٣ ـ لماذا يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» مهاجمة هذا الجمع من هوازن، فهل كان بينه «صلى الله عليه وآله» وبينهم عهد فنقضوه؟!

أو هل اعتدوا على أحد من المسلمين، أو أغاروا على أطراف المدينة، فيريد «صلى الله عليه وآله» أن يؤدبهم؟!

أو هل كان «صلى الله عليه وآله» يمارس شن الغارات على الآخرين بهدف سلب أموالهم، على عادة العرب في زمانه؟!

أو هل كلف هذه السرية بمهمة إرشاد ودعوة هؤلاء القوم إلى الإسلام، ولكن بهذه الطريقة التي لا يرضاها الله سبحانه، ولا يقرها شرع ودين؟!

إن رواية ابن أبي زيد لم تستطع أن توضح لنا شيئاً من ذلك.

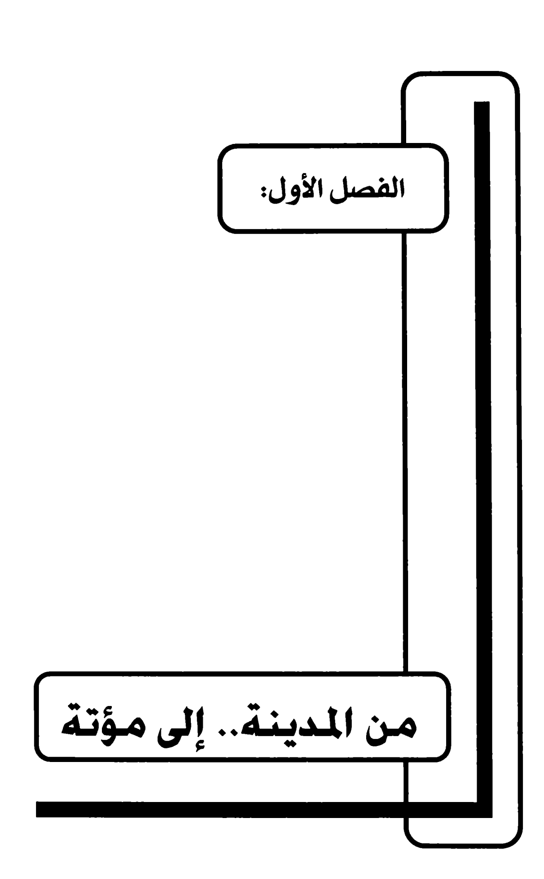
---

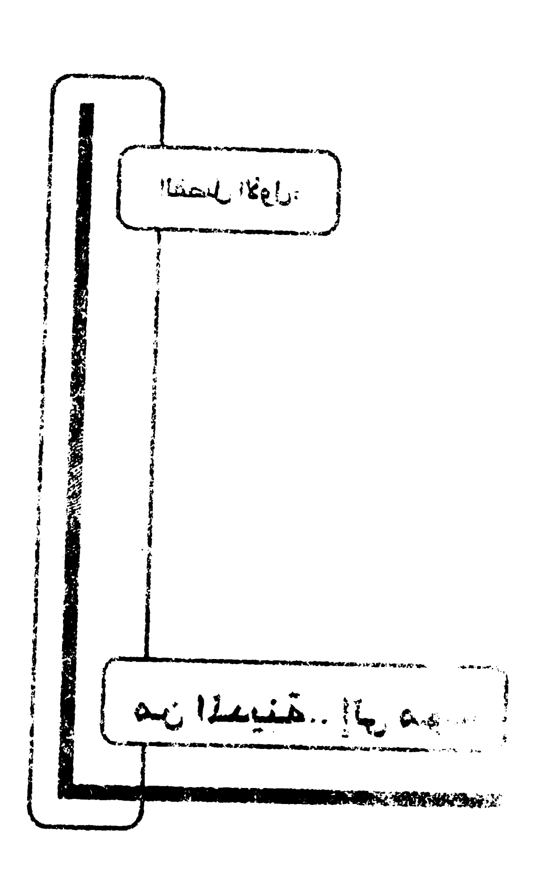
(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٤.

(٢) وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٤٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٢ والتنبيه والإشراف ص٢٣٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٤ وراجع معجم البلدان أيضاً.

الباب الحادي عشر

مـؤتـة.. إلى الـفـتـح


الفصل الأول:
من المدينة.. إلى مؤتة



الفصل الأول:

أول بعث إلى خارج الجزيرة:

ذكر بعضهم: أن بعث مؤتة كان أول بعث يرسله النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خارج الجزيرة العربية، وداخل الأراضي الشامية، التابعة للروم[1].

ونقول:

تقدم: أن سرية أخرى كانت قد قصدت ذات أطلاح، وهي من أرض الشام، وهي في البلقاء من الأردن. وهذه المناطق كانت تحت سيطرة الروم.

وتقدم أيضاً: أن غزوة دومة الجندل قد حصلت قبل سرية مؤتة بزمان، وتقع دومة الجندل على خمس ليال من دمشق، وعلى خمس عشرة ليلة من المدينة، أو ست عشرة، فهي من أعمال الشام[2]. وقد ذكرنا هذه الغزوة في الجزء العاشر صفحة ١٠٤[3] من هذا الكتاب، فراجع.

فلا يصح قوله: إن غزوة مؤتة هي أول بعث يرسله «صلى الله عليه

---

(١) الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة مؤتة ص٥.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج٤ ص١٢و١٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٣ والتنبيه والإشراف ص٢١٤ و ٢١٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٨١.

(٣) الجزء الثامن ص٣٨٧ (الطبعة الرابعة) والجزء ١٤ ص ٣٣٦ (الطبعة الخامسة).

وآله» إلى خارج الجزيرة العربية، وداخل الأراضي الشامية التابعة للروم.

وربما تكون هذه الغزوات تهدف إلى إعداد المسلمين للحروب التي تنتظرهم خارج الجزيرة العربية، ولا سيما مع الدولتين الأقوى في المنطقة، وهما الروم وفارس.

تاريخ غزوة مؤتة:

قال بعضهم: المعروف بين أهل المغازي: أن سرية مؤتة كانت سنة ثمان، لا يختلفون في ذلك، إلا ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه: أنها سنة سبع[1].

ولكن خليفة بن خياط قد ذكرها في أحداث سنة ثمان[2]، وليس فيه.

وعند الترمذي: أن سرية مؤتة كانت قبل عمرة القضاء[3].

قال في النور: وهذا غلط لا شك فيه[4].

وقال الذهبي: قلت: كلا، بل مؤتة بعدها بستة أشهر جزماً[5].

وقال الحافظ بعدما نقل كلام الترمذي: هو ذهول شديد، وغلط مردود، وما أدري كيف وقع الترمذي في ذلك مع وفور معرفته[6].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ج١ ص٢٣٥ و ٢٣٦ وسنن الترمذي ج٤ ص٢١٧ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١٠٣.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ج١ ص٢٣٦.

(٦) تحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣.

نصوص حول سبب غزوة مؤتة:

قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة[١] عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وهو من أمراء قيصر على الشام، فقال: أين تريد؟

قال: الشام.

قال: لعلك من رسل محمد؟

قال: نعم، أنا رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأمر به، فأوثق رباطاً، ثم قدمه، فضرب عنقه صبراً.

ولم يقتل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» رسول غيره.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر، فاشتد عليه. وندب الناس، وأخبرهم بمقتل الحارث، ومن قتله. فأسرع الناس وخرجوا فعسكر بالجرف، ولم يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر[٢].

إلى أن يقول النص: وعسكر الجيش قبل خروجه في الجرف، وهو

---

(١) مؤتة: موضع معروف عند الكرك بالأردن.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٥ و ٧٥٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص١٢٨ و (ط ليدن) ج٤ ص٢٤ و ٦٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ والبحار ج٢١ ص٥٨ و ٥٩ عن شرح النهج للمعتزلي، والإصابة ج١ ص٢٨٦ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٣٠٤ و ٣٠٥ وأسد الغابة ج١ ص٣٤٢ وتهذيب تاريخ دمشق ج١ ص٩٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٧ وج١١ ص٤٦٤ وج١٩ ص٦٨٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٠٤.

موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام[1].

وخرج النبي «صلى الله عليه وآله» في إثرهم، وصلى الظهر بالمسلمين في ذلك الموضع، ثم عين أمراء الجيش[2].

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري، قال: إن بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مؤتة قد كان في جمادى الأولى سنة ثمان، إلى آخر ما سيأتي[3].

وقال محمد بن عمر أيضاً، عن عمر بن الحكم، عن أبيه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما صلى الظهر جلس، وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مهض (فنحص) اليهودي، فوقف على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

---

(١) معجم البلدان ج٢ ص١٢٨ وراجع: تنوير الحوالك ص٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٧٣ و ٤٨٦ وج٦ ص٩٥ و ١٥٩ و ٢٥١ وتاج العروس ج٦ ص٥٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٤ عن البخاري ج٧ ص٥٨٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢١٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٣ والمعجم الكبير ج٥ ص٨٤ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٨ وج٣ ص٥٣٠ وتاريخ خليفة بن خياط ص٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٦ وج١٩ ص٣٦٨ و ٣٧٣ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٨ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٢٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٨ و ٣١٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٥.

«زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله بن رواحة، فليرتض المسلمون رجلاً منهم فليجعلوه عليهم».

فقال النعمان بن مهض (أو فنحص): «يا أبا القاسم، إن كنت نبياً فسميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً، لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم، ثم قالوا: إن أصيب فلان، ففلان، فلو سمى مائة أصيبوا جميعاً.

ثم إن اليهودي جعل يقول لزيد بن حارثة: «اعهد، فإنك لا ترجع الى محمد إن كان نبياً.

قال زيد: «فأشهد أنه رسول صادق بار».

وقالوا أيضاً: وعقد لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لواءً أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة. وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا، وإلا استعينوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم[1].

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة؛ هي التالية:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٤ و ١٤٥ عن الواقدي، والبداية والنهاية ج٤ ص٢٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ وراجع: البحار ج٢١ ص٥٨ و ٥٩ عن الخرايج والجرايح وج٢١ ص٥٩ عن المعتزلي. وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦١ و ٦٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٨.

ليرتض المسلمون رجلاً!!

ذكر النص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: فإن أصيب عبد الله بن رواحسة فليرتض المسلمون رجلاً منهم، فليجعلوه عليهم..

ونقول:

إن ذلك موضع شك وريب، فقد روي: أن عبد الله بن عباس، أو عبد الله بن جعفر قال لمعاوية:

«يا معاوية، أما علمت: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين بعث إلى مؤتة أمَّر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم قال: إن هلك جعفر بن أبي طالب، فزيد بن حارثة، فإن هلك فعبد الله بن رواحة!

ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم»[1].

ولعل هذا هو الأقرب إلى الاعتبار: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعلم بأنهم بعد قتل ابن رواحة سوف ينهزمون أسوأ هزيمة، إذ لا معنى لجعل أمير للهزيمة، وللمنهزمين، لأن الحاجة إلى الأمير إنما تكون في حالة الثبات والتصدي، ليقود العمليات الحربية، ويحدد وظائف المحاربين..

وأما إذا كانت الهزيمة، فأية قيادة يمارسها، وأية وظائف يحددها؟!

وهل تبقى الحاجة إلى أن يقرر لهم: أن يرتضوا لأنفسهم رجلاً، ليجعلوه عليهم؟!

---

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٤٤ وقاموس الرجال ج٦ ص٤٠ والبحار ج٣٣ ص٢٦٩ وكلمات الإمام الحسين «عليه السلام» للشريفي ص٦١٠ ومواقف الشيعة ج٢ ص٧٢.

طعن الصحابة في إمارة زيد:

روى البخاري عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: «بعث النبي «صلى الله عليه وآله» بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد[1]، فطعن [بعض] الناس في إمارته، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «قد بلغني أنكم قلتم في أسامة، إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٩٦ وج٦ ص١٤٤ وفي هامشه عن البخاري كتاب المغازي (٤٤٦٨)، والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٠ و ٢٥٠. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص٢١٣ وج٥ ص١٤٥ وج٧ ص٢١٧ وج٨ ص١١٧ ونهج السعادة ج٥ ص٢٦٠ عن كنز العمال، وفضائل الصحابة ص٢٤ وعن مسند أحمد ج٢ ص١١٠ وعن صحيح مسلم ج٧ ص١٣١ وعن سنن الترمذي ج٥ ص٣٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٢٨ وج٨ ص١٥٤ وج١٠ ص٤٤ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٣٢ وج٨ ص٥٤٩ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٥٢ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٥١٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص١٨٣ وكنز العمال ج٧ ص٢٦٩ وج١٠ ص٥٧٨ وج١١ ص٦٥١ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص٢٥٠ وج٤ ص٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٤٦ و ٤٩ وج٨ ص٦١ وج١٩ ص٣٦٣ وتهذيب الكمال ج١٠ ص٣٧ ومعجم البلدان ج١ ص٥٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٢٩ و ٤٦٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩١ وج٥ ص٢٤٢ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨١ و ٤٨٢ وج٤ ص٤٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٢٥.

إمارة أبيه من قبل، وأيم الله، إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده».

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي عن أبي قتادة، قال: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيش الأمراء وقال: «عليكم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة».

قال: فوثب جعفر رضي الله عنه، وقال: [بأبي أنت وأمي] يا رسول الله، ما كنت أرهب أن (أو ما كنت أذهب إن) تستعمل عليَّ زيداً».

فقال: «امض، فإنك لا تدري أي ذلك خير»[1].

وصايا النبي ﷺ لجيش مؤتة:

وزعم بعضهم أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نهاهم أن يأتوا مؤتة، فغشيتهم ضبابة، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة[2].

وروى محمد بن عمر، عن خالد بن يزيد، قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله، فقال:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٥ ومسند أحمد ج٥ ص٢٩٩ ودلائل النبوة ج٤ ص٣٦٧ وحلية الأولياء ج٩ ص٢٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٤٦ و ٤٧ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٣٢٢ وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص١٥٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٩.

«اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف.

لا تقتلن امرأة، ولا صغيراً ضرعاً، ولا كبيراً فانياً، ولا تقربن نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدمن بيتاً (بناء خ ل)»[1].

وروى محمد بن عمر [الواقدي]، عن زيد بن أرقم [رفعه]: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً. اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله. لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فأيتهن ما أجابوكم إليها فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم الأذى.

ثم ادعوهم الى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبروهم: أن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين.

فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبروهم: أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله [الذي يجري على المؤمنين]، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فإن هم أبوا فسلوهم الجزية، فإن فعلوا فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم.

فإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ والبحار ج٢١ ص٦٠ عن المعتزلي، وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٩ و ١٠.

وإن حاصرتم أهل حصن أو مدينة فأرادوكم أن تجعلوا لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا تجعلوا لهم ذمة الله، ولا ذمة رسوله. ولكن اجعلوا لهم ذمتكم، وذمة آبائكم، إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله». وذكر نحو ما سبق[1].

سبب غزوة مؤتة:

ولنا مع كل هذه النصوص المتقدمة وقفات، نجملها على النحو التالي:

تقدم قولهم: إن سبب سرية مؤتة هو قتل الحارث بن عمير، على يد شرحبيل بن عمرو الغساني..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٧ والبحار ج٢١ ص٥٩ و ٦٠ عن المعتزلي، وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٤ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٥٢ وفقه السنة ج٢ ص٦٢٤ والكافي ج٥ ص٢٩ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٣٨ و ١٣٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٥٩ والبحار ج١٩ ص١٧٩ وعن مسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٣٩ و ١٤٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٥٣ و ٩٥٤ وسنن الترمذي ج٣ ص٨٥ والسنن الكبرى ج٩ ص٤٩ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٥٦ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢١٨ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٦٤٥ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٧٢ و ٢٠٧ و ٢٣٣ و ٢٤١ و ٢٤٢ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٦ و ٧ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٦١ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٤٢ ومعرفة علوم الحديث ص٢٤٠ ومسند أبي حنيفة ص١٤٧ ونصب الراية ج٤ ص٢٢٦ وكنز العمال ج٤ ص٣٨٠ و ٤٨٠ وتهذيب الكمال ج٢٧ ص٥٤٨ و ٥٤٩.

وقيل في مقابل ذلك:

إنه «صلى الله عليه وآله» بعث الحارث بن عمير إلى هرقل عظيم الروم بالشام[1].

غير أننا نقول:

١ ـ إن هذا القول لا ينافي القول السابق، إذ لعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسل الكتاب إلى ملك بصرى ليوصله إلى ملك الروم.

٢ ـ إننا نلمح في النص المتقدم قدراً من التهافت، فإنه يقول: «وندب الناس، فأخبرهم بمقتل الحارث، ومن قتله، فأسرع الناس، وخرجوا، فعسكر بالجرف.

ثم يقول مباشرة: «ولم يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر».

فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» لم يبين الأمر، فما معنى إخباره الناس بما جرى، حتى أسرعوا، وخرجوا فعسكروا؟!

ألا يعد هذا بياناً للأمر؟!. فإن كل إنسان لو سأل عن السبب في هذا الإسراع بالخروج، فسوف يجيب: بأنه هو قَتْلُ الحارث بن عمير، وأن القصد هو المسير لمعاقبة من فعل ذلك..

إلا أن يقال: إن المقصود هو: أنه «صلى الله عليه وآله» أبقى وجهة سيره مخفية عن اليهود والمشركين، ولم يخبر بها إلا الذين انتدبهم للخروج.

ولكن قوله: «لم يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر» يفيد أمراً

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٠ عن الإستيعاب، وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٥٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٥.

عادياً، وهو: أنه أبقى الأمر مخفياً حتى عن أصحابه..

أو يقال: إنه إنما أخبرهم بمقتل الحارث، ولم يطلب منهم التجهز للحرب، لكنهم هم الذين أسرعوا إلى المعسكر بالجرف..

أو أنه ندبهم على الحرب، بعد أن أخبرهم بما جرى للحارث، ولكنه لم يصرح لهم بأنه يريدهم لمحاربة قاتلي الحارث، أو لغيرهم من أعدائه. بل ترك الأمر غامضاً، وعرضه لكل احتمال..

ولعل هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب، والأصوب.

ذات أطلاح هي السبب:

زعم بعضهم: أن سبب سرية مؤتة ليس هو قتل الحارث بن أبي عمير، بل سببها هو قتل أربعة عشر رجلاً من المسلمين، على يد العرب المتنصرة، في سرية ذات أطلاح جنوب الشام، في منطقة البلقاء بالأردن. وكان يحكمها الحارث بن أبي شمر الغساني باسم ملك الروم.

وبعد قتلهم أطلق الحارث هذا تهديدات بغزو النبي «صلى الله عليه وآله»[1]، فبادر «صلى الله عليه وآله» إلى تجهيز هذا الجيش رداً على هذه التهديدات..

ونقول:

١ ـ إن الذين قتلوا الأربعة عشر رجلاً هم من قضاعة، لا من الغساسنة. ورئيسهم رجل يقال له: سدوس[2]، وليس هو الحارث بن أبي شمر الغساني.

---

(١) الكتاب السابع من معارك الإسلام الفاصلة: غزوة مؤتة ص٢٥٣.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص١٥٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٣ عن الواقدي.

٢ ـ وأما التهديدات المشار إليها، فلا تصلح مبرراً لإرسال الجيش، إلا إذا أريد به تسديد ضربة استباقية، يؤخذ العدو فيها على حين غرة.

ومن الواضح: أن الأمور لم تجر على هذا النحو.

مناقشة مردودة:

وربما يقال: إن ثمة مجالاً واسعاً للتشكيك في قصة قتل الحارث بن عمير الأزدي، على اعتبار أن راويها هو الواقدي، ثم أخذه عنه كاتبه ابن سعد وغيره.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني كتاباً مع شجاع بن وهب. فلما بلغه ذلك، قال: من ينزع ملكي، فأنا سائر إليه، وبدأ بالتجهيز للمسير إلى المدينة.

فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: باد ملكه.

وكتب الحارث إلى قيصر يخبره بالأمر، فكتب إليه قيصر: أن لا تسِر إليه، والْهُ عنه، (أي لا تذكره)، واشتغل بإيلياء (أي ببيت الله) وهو بيت المقدس، لأن قيصراً كان قد نذر: إن انتصر على الفرس أن يمشي إلى بيت المقدس. وكان يريد من الحارث أن يهيء لإنزاله[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٥ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٦٢ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٥٢ والتنبيه والإشراف ص٢٢٦ وشرح الزرقاني للمواهب اللدنية ج٤ ص٣٥٦ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٨٠ والبداية النهاية ج٤ ص٢٦٨ وتأريخ الخميس ج٢ ص٣٨ والبحار ج٢٠ ص٣٩٣ والكامل ج٢ ص٢١٣ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٦١ =

وزعم بعضهم: أن الحارث الغساني قد أسلم أيضاً[1].

وذلك كله يدل: على أن السبب ليس هو قتل الحارث بن عمير، بل هو هذا الموقف من ابن أبي شمر الغساني.

ويرد على هذه المناقشة: أن الرسالة التي حملها شجاع بن وهب إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر، إنما حملها إليه سنة ست أو سبع، وذلك حين كتب «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك[2]، وحينئذٍ نهاه قيصر عن غزو المدينة، وأمره بالاشتغال ببيت المقدس.

ولكن هذا لا يمنع أن تكون هناك رسالة أخرى أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر بواسطة الحارث، أو إلى الحارث بن أبي شمر نفسه مع الحارث بن عمير، فأخذه شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله..

جموع الروم وقرار الحرب:

إن ما يدعو إلى التأمل: هو أن يكون الجيش الذي واجهه المسلمون في مؤتة بهذه الأعداد الضخمة، حيث يعد بعشرات، بل بمئات الألوف.. مائتا

= وفي (ط أولى) ق٢ ص١٧ وج٣ ص١٩٤ وفي (ط ثالثة) ق١ ص٦٦ والمنتظم ج٣ ص٢٨٩ والمصباح المضيء ج٢ ص٣١٤ـ٣١٦ وراجع: نصب الراية ج٦ ص٥٦٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٦٩ وميزان الحكمة ج٤ ص٣٢١١.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٥.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٨ و٢٩٣ و ٢٩٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٦١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٥١ و ٦٦٧ عن الواقدي، وعن تاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٣٦٧ وعن الإصابة ج٦ ص٢٢٦.

ألف، أو مائتان وخمسون ألفاً وهذه الأعداد تحتاج إلى وقت طويل، وإلى جهد كبير لجمعها، وإعدادها.

كما أن جيشاً بهذا المستوى لا يُعِدُّه هرقل لمحاربة جماعة صغيرة لم تستطع أن تجهز لأكبر حرب خاضتها أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل..

بل هو يعده لمحاربة جيوش ضخمة ومن هو مثل كسرى في سعة الملك، وكثرة الرجال، والتوفر على الأموال التي تمكنه من التجهيزات المتميزة.

وهذا يعطينا: أن هذا الجيش لم يجهزه قيصر لمجرد دفع غائلة سرية مؤتة.. بل لعله أراد به الانقضاض على منطقة الحجاز بأسرها، للقضاء على دعوة الإسلام واحتلال جزيرة العرب كلها، في وقت كان يرى فيه انشغال المسلمين بحرب المشركين، ويهود المنطقة.

ويكون بذلك قد تمكن من توسعة نفوذه، في منطقة محيطة بملك الأكاسرة، الذين استطاع أن يسجل نصراً عليهم، ويريد استثمار هذا النصر في وقت بدا له فيه أنهم غير قادرين على لمّ الشعث، وجمع الجموع لمواجهته في منطقة حساسة، وفي قلب الصحراء، وفي منأى عن أي نفوذ لكلا الدولتين.

ولو كان يرتبط جمع الجموع بدفع سرية مؤتة، بسبب ما فعله شرحبيل بن عمرو الغساني، فلماذا يكون العنوان المطروح بين المسلمين هو أنهم: يسيرون لمحاربة ملك الروم؟!

وإذا كنا نعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرصد كل تحركات أعدائه، وكان يستطيع من خلال ذلك أن يعرف حتى نوايا الأشخاص، وما يحدثون أنفسهم به، فهل يغفل عن تحركات كسرى وقيصر، وهو قد بعث بالأمس القريب إليهما يدعوهما لاتباعه والدخول في دينه.

فذلك كله يدعونا إلى القول: بأنه كان على علم تام بهذه الجموع المحتشدة، وبمقاصدها.. وبأن قتل الحارث بن عمير الأزدي كان هو الإشارة للمسلمين، التي جعلتهم قادرين على تلمس خطورة الأمر، وشحذت هممهم للنفير لمواجهة الخطر المحدق، بطريقة توجب تشويش الأمور على قيصر، وتمنعه من متابعة مسيرته، وتحجب عنه فرصة اتخاذ القرار النهائي بالتوغل إلى عمق منطقة الحجاز، وتعيد الأمور بالنسبة إليه إلى نقطة الصفر، ولو بأن تثور عاصفة من الشكوك حول حاجة هذا الجيش الذي هيأه إلى إعادة تجهيز، وإلى تهيئة روحية، وإلى شحن نفسي جديد..

فإنه إذا كان ثلاثة آلاف مقاتل، بإمكانياتهم المتواضعة قد واجهوا جيشاً مؤلفاً من مائتي ألف، كانوا بأحسن عدة، وأتم تجهيز..

وإذا كان قادة هذا الجيش هم أكثر الناس حرصاً على التضحية والفداء حتى الاستشهاد، وقد ظهرت منهم هذه البسالة النادرة، رغم أنهم في بلد عدوهم، وإذا كانوا لم ترهبهم عدة ولا عدد عدوهم.. فكيف يكون حال القتال معهم إذا دهمهم الخطر في بلدهم، وأصبح دينهم ونبيهم في معرض الخطر الحقيقي؟!

وإذا كان هذا هو فعل الطليعة، والسرية، فكيف يكون فعل الجيش الذي وراءها، ولابد أن يكون فيه الشجعان والأبطال، والأشدّاء من الرجال..

ولاسيما قالع باب خيبر، والبطل المظفر، علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.. الذي لابد أن يكون صدى ضرباته الماحقة وهجماته الساحقة، واقتلاعه لباب خيبر قد بلغ مسامع قيصر، وكل بطل وشجاع!!

فهذه السرية رغم أنها لم تسر وفق ما يريده الله ورسوله باعتبار أن

خالداً قد انهزم بالجيش بعد قتل قادته الثلاثة. إلا أنها حققت ـ ولا شك ـ الحد الأدنى من أهدافها..

ولولا الهزيمة التي جرَّها خالد عليهم. فلربما يكون إنجازها هائلاً وعظيماً. ليس بإمكاننا التكهن بحدود عظمته، وبمدى أهميته.

مهمات الجيش خطيرة.. وقد ضاعت:

تقدمت الإشارة إلى: أن ثمة ما يشير إلى معرفة المسلمين أو خصوص القادة منهم بأن لهذا البعث مهمات خاصة، على درجة عالية جداً من الخطورة، ويبدو لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» أعلم الناس بأن القادة يقتلون، ثم يكون نصر عظيم، لو واصل الجيش القيام بواجبه..

فقد ذكروا ما يلي:

١ ـ إنه حين عيَّن «صلى الله عليه وآله» قادة الجيش، واعترض جعفر، وأمره «صلى الله عليه وآله» بالمضي.. «بكى الناس، وقالوا: هلَّا متعتنا بهم يا رسول الله، فأمسك»[1].

٢ ـ إن عبد الله بن رواحة لم يزل يظهر ما يدل على: أنه متوقع للشهادة منذ أمَّره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد ظهرت منه العديد من الإشارات إلى ذلك في شعره، وفي كلماته، وفي ممارساته، كما تظهره النصوص التي أوردنا قسماً وافراً منها.

٣ ـ إن أهل المدينة قد واجهوا الجيش المهزوم بحنق شديد، وعاملوهم

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ذكر غزوة مؤتة.

بقسوة ظاهرة، ولم يشفع لهم عندهم أنهم كانوا ثلاثة آلاف فقط في مقابل مائتي ألف، أو مائتين وخمسين ألفاً.

الأمر الذي يعني: أن الناس كانوا يتوقعون نصراً هائلاً وعظيماً، وقد ساءهم تضييعه..

خالد يضيع نتائج المعركة:

ومن المعلوم: أن قائد الهزيمة، هو خالد بن الوليد، الذي كان لحركته في ذلك الجيش أثر بالغ في تهيئة ظروف فرضت تلك الهزيمة، وبذلك يكون قد أبطل التدبير النبوي، وضيَّع نتائج عظيمة وخطيرة، كان «صلى الله عليه وآله» قد خطط لتحقيقها.

ولأجل ذلك وجدنا من المسلمين موقفاً حاداً وصارماً جداً من ذلك الجيش العائد بقيادة مدير الهزيمة وصانعها خالد بن الوليد.

ويكفي أن نذكر: أنهم كانوا يحثون التراب في وجوه العائدين، وقد قاطعوهم، وهجروهم، ولم يعد الواحد منهم يجرؤ على الظهور بين الناس، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، كما سنرى.

ولم نجدهم اعتذروا ولا اعتذر أحد عنهم، بأنهم قد واجهوا جيشاً مؤلفاً من مائتي ألف مقاتل، كان في أتم عدة، وأحسن تجهيز.

وهذا يدل: على أن الناس كانوا يعرفون أن إمكانات الصمود كانت متوفرة، وأن هناك مهمات لم تنجز، بسبب هذا الفرار المبكر وغير المبرر من ساحة المعركة.

الوصايا تشي وتنم:

ولذلك نقول:

إن الخيارات التي تحدث عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين جهز جيش مؤتة، تشي بأن المطلوب هو: أن ينتهي الأمر ـ بعد استشهاد القادة ـ إلى نتائج عظيمة وهائلة، وهي أن يصبح بإمكان جيش المسلمين وضع جيش العدو أمام خيارات تنتهي كلها بتسجيل النصر عليه، وحسم الأمر.. وذلك حين يواجهه بعروضه التي وضعها ضمن مخطط متكامل في خطوات تتبع اللاحقة منها السابقة، فقد أمره «صلى الله عليه وآله» أن يعرض عليهم:

١ ـ الدخول في الإسلام.

فإن فعلوا دعاهم إلى:

ألف: التحول من دارهم إلى دار المهاجرين..

ب: فإن فعلوا يخبرهم: أن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما عليهم.

ج: وإن اختاروا دارهم، فلا يكون لهم في الفيء ولا في القسمة شيء إلا إذا جاهدوا مع المسلمين.

٢ ـ فإن أبوا الإسلام، يعرض عليهم إعطاء الجزية.

فإن قبلوا يكف عنهم.

٣ ـ وإن أبوا إعطاء الجزية، فليستعن بالله، وليقاتلهم..

ورسم له في حال القتال: أنه:

ألف: إذا حاصر مدينة، أو حصناً، فأرادوه أن يستنزلهم على حكم الله تعالى، فلا ينزلهم عليه، بل ينزلهم على حكمه.

ب: وإن أرادوه أن يجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، فلا يقبل منهم، بل يجعل لهم ذمته، وذمة أبيه، وذمة أصحابه..

فهذا المخطط التام إنما يناسب جيشاً واثقاً بالنصر، مطمئناً إلى أنه يذهب إلى فتح المدن والحصون، وتكون يده العليا في حروبه مع أعدائه..

مع أن ظاهر الأمر: أنه يرسله إلى حرب مائتي ألف، أو إلى مائتين وخمسين ألف مقاتل، مجهزين بأتم عدة، في جيش لا يزيد على ثلاثة آلاف، مع ضعف ظاهر في تجهيزاتهم، وعدَّتهم.

وهذه الوصايا تدل على عدم صحة ما ذكره البعض: من أن المطلوب من جيش مؤتة كله هو الاستشهاد، بل المطلوب هو إنجاز أمر عظيم وهائل، وهو النصر على جيوش الروم رغم كثرة عددها، وحسن عدتها، حتى لو كانت قيمة هذا النصر هو استشهاد القادة.

ولكن ما صنعه خالد: قد أفسد ما كان دبره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فثارت ثائرة المسلمين، حيث واجهوا الجيش العائد مع خالد بالطرد، والنبذ، والمقاطعة كما سنرى.

سرية دعوة، أم سرية حرب؟

وذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى القادة بأن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا، وإلا فاستعينوا عليهم بالله تبارك وتعالى، وقاتلوهم.

ونقول:

إن هذه الوصية لابد أن تكون جارية وفق المسار العام للأحداث،

وهي من الأمور التي ربما يكون المراد منها ترتيب الأوضاع فيما يرتبط بالأساليب العامة، التي يراد لها أن تهيمن على حركة الواقع، وفق الضوابط الدينية والإيمان..

وقد دلت هذه الوصية: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يتصرف بصورة انفعالية ومتشنجة، فلم يطلب من أصحابه أن يغيروا على الناس هناك، ويوقعوا بهم، ولا أن يقتلوا، ويأسروا، ويغنموا. بل هو قد أمرهم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وفق المقررات التي تقدمت، مع ملاحظة ما يلي:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» طلب من أصحابه أن يبدأوا حركتهم من ذلك الموضع الذي تعرض فيه أحد المؤمنين لأفحش الظلم، حيث قتل صبراً بحد السيف. وهذا من شأنه أن يزيد أصحابه «صلى الله عليه وآله» بصيرة في أمرهم، ويفرض عليهم أن يتعاملوا مع الأمور بروح المسؤولية، والإنصاف، والانضباط، ضمن الحدود، والأحكام الشرعية. إذ لا مجال للانفعال، والعبثية، ولا مكان للظلم والتعدي في حركة الإنسان المسلم..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما طلب منهم أن يدعوا من يجدونه في ذلك الموضع إلى الإسلام، ولم يحدد لهم فئة ولا أشخاصاً بأعينهم، ولم يذكر لهم اسم شرحبيل بن عمرو الغساني، ربما لعلمه «صلى الله عليه وآله» أنهم لن يصادفوه هناك، حيث سيكون في ضمن جيش الروم، كما أنه يريد أن يبعد القضية عن أجواء الانتقام من الأشخاص، وعن حدود النظرة الضيقة، لتصبح قضية قيم ومبادئ، يراد لها أن تكون هي المهيمنة على سلوك الناس، وعلى قراراتهم، ومواقفهم، وكل حياتهم..

وصايا في نطاق الأهداف الإلهية:

وبعد.. فإن للمحارب أن يتوسل بمختلف الأساليب المشروعة، التي تمكنه من تسجيل النصر على عدوه. فحتى الخدعة، التي أشير إليها في قول النبي «صلى الله عليه وآله»: الحرب خدعة[1]، لابد أن لا تخرج عن دائرة ما

---

(١) المغني لابن قدامة ج١٠ ص٣٩٦ وكشف القناع ج٣ ص٧٩ وسبل السلام ج٤ ص٤٨ ونيل الأوطار ج٨ ص٥٦، فقه السنة ج٢ ص٦٥٤ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٢ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص١٠٢ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٠٣ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٧ وكنز الفوائد ص٢٦٦ وأمالي الطوسي ص٢٦١ والخرائج والجرائح ج١ ص١٨١ ومسند أحمد ج١ ص١٢٦ و ١٣١ وج٢ ص٣١٢ وج٣ ص٢٢٤ و ٣٠٨ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٢٤ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٤٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٤٥ وسنن أبي داود ج١ ص٥٩٣ وسنن الترمذي ج٣ ص١١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٠ وج٩ ص١٥٠ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٢٠ وعن فتح الباري ج٦ ص١١١ وصحيفة همام بن منبه ص٢٦ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٩٨ ومسند الحميدي ج٢ ص٥١٩ والمصنف لابن شيبة ج٧ ص٧٢٩ و ٧٣٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٩٣ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٥٩ و ٤٦٤ وج٤ ص٩١ و ٣٨٤ وج٨ ص٤٤ وج١٢ ص١٣٠ والمنتقى من السنن المسندة لابن الجارود النيسابوري، وصحيح ابن حبان ج١١ ص٧٩ والمعجم الصغير ج١ ص١٧ والمعجم الأوسط ج٢ ص٣٥٦ وج٤ ص٢٥٢ والمعجم الكبير ج٣ ص٨٢ وج٥ ص١٣٦ وج١١ ص٢٩٣ وج١٨ ص٥٣ وج١٩ ص٤٢ ومسند الشاميين ج١ ص١٧٦ وج٢ ص٢٠ و ١٠٨ ومسند الشهاب ج١ ص٤٠ و ٤١ و ٤٢ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٧٩ وج١٥ ص٣٢.

هو مشروع، وأن لا يتجاوز الإنسان حدود إنسانيته، وأن لا يسقط أية قيمة من القيم التي يؤمن بها.

فلا يجوز أن تؤدي الخدعة إلى سفك دم بريء، كدم الشيخ الفاني، والطفل والمرأة مثلاً، ولا أن تسوق إلى الغدر بمن أعطيته شرف العهد والوعد، والخيانة في مال الله، أو في مال المسلمين. وهو ما سمي بالغلول.

بل لابد أن يكون الغزو، ملابساً لاسم الله تعالى، متمازجاً معه، وأن يكون خطوة تضع المجاهد على طريق الوصول إليه.

وهذا بالذات هو ما ترمي إليه وصيته «صلى الله عليه وآله» لجيش مؤتة، حيث قال: «اغزو، باسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً»[1].

من وصاياه ﷺ لجيشه أيضاً:

تقدم: أن من وصايا النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك الجيش هو: أن لا يقطعوا شجراً، ولا يقربوا نخلاً، ولا يهدموا بيتاً، أو بناء..

وهذا الحرص على الشجر، سواء في ذلك المثمر منه وغيره، وعلى النخل الذي يمثل مصدر العيش والارتزاق للناس، وعلى البناء والعمران ـ إن ذلك كله ـ يشير إلى طبيعة اهتمامات الإسلام، وأنه لا يحارب الناس انطلاقاً من حب البطش، ولا استجابة لشهوة القتل أو التلذذ بأذى الآخرين، وحب التنكيل بهم، بل هو يريد أن يدفع ظلمهم، وعتوهم عن نفسه، وعن غيره،

---

(١) المغازي ج٢ ص٧٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٤ والبحار ج٢١ ص٥٩ و ٦٠ عن الواقدي، والمعتزلي.

وأن يبطل كيدهم، ومؤامراتهم، وأن يحصل على حريته بممارسة قناعاته، بعيداً عن أجواء القهر، وفي منأى عن الحدود التي يفرضونها عليه، والقيود التي يقيدونه بها..

إنه يريد أن يحفظ للبيئة صحتها وسلامتها، وللمناظر الخلابة رونقها وروعتها، ولمصادر الرزق عطاءها ونضارتها، وللبلاد العامرة عمرانها وشموخها وبهجتها..

وهذا بالذات هو ما يفسر وصاياه «صلى الله عليه وآله» لجيش مؤتة، ولغيره من البعوث القتالية، التي كان يضطر لإرسالها.

التحول إلى دار المهاجرين:

ومن جملة الخيارات التي طرحها «صلى الله عليه وآله» على جيشه، لتعرض على الناس في مسيرهم ذاك، هو التحول إلى دار المهاجرين، ليكون لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما عليهم.

وهو خيار لافت للنظر، باعتبار أنه جعل للإنسان الذي يريد أن ينسلخ عن محيطه، ليندمج في محيط آخر لا عهد له به، خصوصية ميزه بها، حيث جعل لعمله هذا قيمة، وللمصاعب التي يتحملها عوضاً، ففرض له حقوقاً تناسب هذا الواقع الذي استجد له، وتعينه على المصاعب التي سوف يواجهها.

الرسل لا تقتل:

وإن من الأمور التي تَوَافق عليها البشر كلهم، لإدراك حاجتهم إليها لاستمرار حياتهم، وسلامة علاقاتهم، هو الحصانة التي يعطونها للرسل،

وللموفدين، فإن جميع الأمم على اختلاف أديانها، وعاداتها، وحالاتها تمنع من قتل الرسل، وتلتزم بحمايتهم من كل مكروه.. وترى التعدي عليهم عيباً، بل إن التعدي على حامل الرسالة يعطي الحق لدى البشر جميعاً بمعاقبة فاعل ذلك، ولا يعتبرون هذه العقوبة من مفردات التعدي والظلم للآخرين..

ولعل بعض ما ذكرناه يفسر لنا حقيقة: أنه لم يقتل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» رسول غيره، رغم كثرة رسله ومبعوثيه إلى مختلف الفئات، وفي جميع الاتجاهات.

على أن ما فعله شرحبيل قد جاء أشد قباحة، وأظهر وقاحة، باعتبار أنه لم يتثبت من مضمون الرسالة، فلعلها رسالة سلام ووئام، تحقن بها الدماء، وتصان بها الحقوق..

علماً بأن هذه الرسالة لم تكن تعني شرحبيل في شيء، وإنما هي مرسلة إلى غيره، فلماذا يتدخل في شيء لا يعنيه؟! ولماذا يفوِّت على غيره فرصاً، أو يحرمه من منافع يسعى للحصول عليها؟!.

وأخيراً نقول:

ونحن وإن كنا نعتقد: أن تجهيز الجيش إلى مؤتة، قد كانت له أهداف جليلة، لعل أهونها منع ذلك الجيش العظيم جداً من الزحف نحو المدينة، ومن السعي لامتلاك الحجاز كله.. حيث ستصبح الأمور بالغة التعقيد..

لكن مما لا شك فيه: أن قتل شرحبيل بن عمرو الغساني، لمبعوث النبي «صلى الله عليه وآله» إلى بصرى، قد أطلق الشرارة الأولى باتجاه الحرب، ومثَّل حافزاً للمسلمين لينفروا لمواجهة الخطر، وليكونوا طليعة جيش الإسلام،

وليقدموا الأمثولة الكبرى لجيش الروم في الجهاد، وفي الاستبسال والتضحية، لكي تعود حالة التوازن إلى ذلك الجيش المغرور بعدَّته وبعدده ولتدفعه هذه الصدمة القوية إلى مراجعة حساباته بأناة وروية، وهكذا كان..

اليهودي.. وقتل القادة:

ورغم أن معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الدالة على نبوته كانت تتوالى. وكانت معجزته الكبرى الخالدة، وهي هذا القرآن الكريم حاضرة لدى جميع الناس، وماثلة أمام أعينهم.

وقد صرح القرآن نفسه: بأن اليهود كانوا يعرفون النبي العظيم، كما يعرفون أبناءهم.

نعم، رغم ذلك، فقد رأينا: أن هذا اليهودي يبادر إلى الإعلان على الملأ بأن القادة الذين عيَّنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، صائرون إلى القتل، ثم إنه علَّق صحة نبوته «صلى الله عليه وآله» على قتل هؤلاء القادة..

ومن شأن هذا الإعلان: أن يفت في عضد الناس، وأن يرهبهم، ويحبط عزائمهم، خصوصاً إذا كان القتل سينال هؤلاء الصفوة حتى جعفر بن أبي طالب «رضوان الله عليه».

واللافت: أن هذا اليهودي يختار خصوص زيد بن حارثة، ليقول له: «اعهد، فإنك لا ترجع إلى محمد إن كان نبياً».

فلماذا يخاطب زيداً بهذا الخطاب المرّ، المقرون بالتشكيك بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أن ذلك اليهودي كان عارفاً بنبوته «صلى الله عليه وآله» تماماً كما كان يعرف أقرب الناس إليه، من أبنائه وغيرهم، كما

صرح به القرآن الكريم..

فهل خص ذلك اليهودي زيداً بالخطاب؛ لأنه كان بلا عشيرة ترعاه، وتهتم له؟! وتمنع من إطلاق هذا الفأل الذي تعتبره سيئاً في حق من ينتسب إليها؟!

أم أنه اختاره لأنه احتمل أن يظهر شيئاً من الضعف في قبال هذا الخبر الذي يصعب وقعه على النفس؟!

أم اختاره لأنه كان قد تعرض لطعون مرة وقاسية من قبل جماعات كانوا يجهرون بالانتقاص له، والانتقاد لقيادته؟! الأمر الذي يهيء لنشوء حالة من الاتهام له بالتفريط، وعدم القيام بالواجب، وربما ينجر ذلك إلى توجيه الملامة لمن نصبه في موقع ليس أهلاً له. ألا وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه؟!

لماذا طعنوا في إمارة زيد؟!

لقد صرح النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن هناك من يطعن في إمارة زيد..

ولكن مراجعة حياة زيد، ومشاركاته في السرايا والغزوات، مذكورة في كتب السير، ولا نجد فيها ما يشير إلى هذا الطعن، وإلى مناشئه، وعناصره، والنبي «صلى الله عليه وآله» صادق فيما قال بدون ريب، فلماذا حذفت تلك الطعون في قيادة زيد، وغُيِّبت عن ساحة التداول، حتى كأن شيئاً لم يكن..

بل إن الطعون في قيادة ولده أسامة قد غُيِّبت وحذفت أيضاً، ولم يبق منها إلا نزر يسير جداً، ينحصر في مورد أو موردين لا يستحقان أبداً أن

يطلق النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» هذه الصرخة القوية.

ألا يدل حذف تلك الطعون من دائرة التداول على أن شيوع هذا الأمر عن الطاعنين يوقعهم في مشكلة من جهتين:

إحداهما: أنه يفضح نواياهم.

الثانية: أنه يظهر جرأتهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واعتراضهم عليه، وتشكيكهم في صوابية قراراته..

والأمر الذي لا مرية فيه: هو التشابه في مضمون الطعن بين ما جرى لزيد وما جرى لولده. والطعن في إمارة الوالد إنما هو لتأميره على المهاجرين، ولا أحد في المهاجرين يراد إبعاده عن هذه الدائرة، وإعطاؤه الميزات، والمقامات سوى أبي بكر وعمر، اللذين هما من المهاجرين.

وقد أصبح أسامة أميراً عليهما أيضاً. الأمر الذي يدلنا على أن الاعتراض على إمارة زيد قد كان لأجل هذا بالذات.

فلعلهم أَنِفُوا من إمارة زيد على أمثال خالد وغيره من رجالاتهم، لاسيما وأن زيداً قد ابتلي بالرق، وتبرأ منه أبوه، فتبناه رسول الله «صلى الله عليه وآله». ونحو ذلك من أمور لا يرضاها الذين يقيسون الأمور بمقاييس دنيوية، أو حتى جاهلية أيضاً.

إنه لمن أحب الناس إلي!!

وأما قوله «صلى الله عليه وآله»: إنه لمن أحب الناس إليَّ؛ فنحن نرتاب في صحته جداً:

أولاً: لأنه يريد أن يجعل ذلك الطعن منحصراً في أسامة وزيد كأشخاص

وفي الآخرين كذلك..

مع أن الظاهر: أن الطعن في نفس إمارة هذا وذاك، إنما هو موجه للفعل الذي صدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، أي في عملية التأمير التي هي فعل شخصه «صلى الله عليه وآله».. فالطعن يستهدف مقام النبوة.. لا زيداً ولا أسامة.

كما أن كلمة النبي «صلى الله عليه وآله» تدل على أن هذا الطعن قد شاع وذاع، حتى صح أن ينسبه إليهم بصورة عامة، فهم إما طاعنون، أو راضون بالطعن..

ثانياً: إن حب النبي «صلى الله عليه وآله» للناس ليس عشوائياً، ولا مزاجياً، بل هو يحبهم بقدر ما فيهم من فضائل وميزات، وملكات، فإذا كان أحدهم من أحب الناس إليه «صلى الله عليه وآله»، فلابد أن يكون في مقام من الفضل والتقى، والعلم والعمل الصالح، والميزات والملكات يجعله أفضل من جميع من عداه ممن لم ينالوا تلك الدرجة من حب الرسول «صلى الله عليه وآله» لهم..

وإذا كان لزيد قسط وافر من هذه الميزات والفضائل، كما تشهد له نصوص كثيرة، فإن أسامة لم يكن بهذه المثابة، لكي يخصه «صلى الله عليه وآله» بهذا الحب دون من عداه، وإذا كان زيد يملك مثل هذه الميزات العظيمة والظاهرة، فلا مبرر لانتقاد إمارته إلا إرادة حفظ ماء الوجه لبعض من يحبونهم، لكي لا يتأمَّر عليهم من ابتلي بالرق، ويرفضون أن يكون بالمستوى والموقع الذي استحقه بجهده وجهاده، فوضعه الله ورسوله فيه.

عودة إلى الطعن في إمارة زيد.. وأسامة:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأنه حين جهز النبي «صلى الله عليه وآله» ـ في مرض موته ـ أسامة بن زيد، ليسير إلى حيث قتل أبوه، طعن بعض الناس في إمارة أسامة، كما طعنوا في إمارة أبيه من قبل..

ونقول:

أولاً: إن رواية البخاري وغيره قد أظهرت: أن الذي ضايقهم هو تأمير أسامة على المهاجرين فقط، حيث قال الطاعنون:

«يستعمل هذا الغلام على المهاجرين» الأولين؟![1].

فلاحظ كلمة «المهاجرين» ولاحظ أيضاً كلمة «الأولين».

وأضافت بعض المصادر اليسيرة كلمة «والأنصار»[2].

ولعلها أضيفت في وقت متأخر، من أجل حفظ ماء الوجه، ولتعمية الأمر على الأجيال اللاحقة..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٤ و ٢٤٨ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٥٨٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٥٢ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٢ والبحار ج٢١ ص٤١٠ وج٢٨ ص١٣١ وج٣٠ ص٤٢٩ والمسترشد في الإمامة (بتحقيق المحمودي) ص١١٢ والإحتجاج ج١ ص١٧٣.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٧ والمغازي للواقدي ج٣ ص١١١٨ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٨٨ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٧.

وكان أهم شيء بالنسبة إليهم هو تأمير أسامة على أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأسيد بن حضير[1].

ثانياً: إنه لما ظهر تخلف أبي بكر عن جيش أسامة، وقد لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» المتخلف عن جيش أسامة، كان لابد لهم من لملمة الموضوع، وترقيع الخرق، ورتق الفتق، فعملوا على تحقيق ذلك بأسلوبين:

أحدهما: إنكار أصل صدور اللعن من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى قال الحلبي رداً على ذلك: «لم يرد اللعن في حديث أصلاً»[2].

وزعموا: أن هذا من ملحقات الروافض[3].

الثاني: ادِّعاء أن تخلف أبي بكر عن جيش أسامة كان بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأجل صلاته بالناس[4].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥٢ والبحار ج٣٠ ص٤٣٠ والدرجات الرفيعة ص٤٤٢ وعن إعلام الورى ج١ ص٢٦٣ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٥ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٢٠٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٨.

(٣) راجع: دلائل الصدق ج٣ ق١ ص٤.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٨ والمسترشد للطبري ص١١٦ ودلائل الصدق ج٣ ق١ ص٤ عن ابن روزبهان. وعن البداية والنهاية ج٥ ص٢٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٤١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٥٠ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٧ وكتاب للشافعي ج١ ص٩٩ وفقه السنة ج١ ص٢٥٩ وإختلاف الحديث ص٤٩٧ وكتاب المستدرك للشافعي ص٢٩ و ١٦٠ وعن مسند أحمد ج١ ص٢٠٩ وج٦ ص٢٤٩ وعن صحيح البخاري ج١ ص١٦٦ و ١٧٥ وسنن ابن ماجة ج١ =

مع أن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»، قد روي في مصادر الشيعة والسنة على حد سواء، وقد أرسله جماعة من هؤلاء، إرسال المسلمات. فراجع المصادر في الهامش، وغيرها[1].

= ص٣٨٩ وسنن النسائي ج٢ ص٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٠٤ وج٣ ص٨٢ وعن فتح الباري ج١ ص٤٦٤ وج٥ ص٢٦٩ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٨٣١ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٨٠ وج٦ ص٢٥٣ وسنن الدارقطني ج١ ص٣٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص١٨٤ وج١٣ ص٣٣ وكنز العمال ج٨ ص٣١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢١٥ و ٢٢١ والثقات ج٢ ص١٣١ والكامل ج٦ ص١٣٣ وتاريخ بغداد ج٣ ص٤٤٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٩.

(١) المعيار والموازنة ص٢١١ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي لابن الدمشقي ج٢ (هامش) ص١٧٢، والمواقف ج٨ ص٣٧٦ وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٣٣٨ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص٦٨ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥٢ ودعائم الإسلام ج١ ص٤١ والملل والنحل (ط سنة ١٤١٠هـ) ج١ ص٣٠ والدرجات الرفيعة ص٤٤٢ وعن السقيفة وفدك للجوهري ص٧٧ والمهذب لابن البراج ج١ ص١٣ والبحار ج٢٨ ص١٣٢و ٢٨٨ وج٣٠ ص٤٣١ و ٤٣٢ وج٩٠ ص١٢٤ وج٢٧ ص٣٢٤ والإستغاثة ص٢١.

ولا بأس بمراجعة: إثبات الهداة ج٢ ص٣٤٣ و ٣٤٥ و ٣٤٦ عن منهاج الكرامة، ونهج الحق. ومفتاح الباب الحادي ص١٩٧ وحق اليقين ص١٧٨ و ١٨٢ ومنار الهدى للبحراني ص٤٣٣ ومجموع الغرائب للكفعمي ص٢٨٨ وأبكار الأفكار للآمدي، ومرآة الأسرار لعبد الرحمن بن عبد الرسول، وشرح المواقف للجرجاني ص٣٧٦ ونفس الرحمن ص٥٩٨ وإحقاق الحق ص٢١٨ ومنهاج الكرامة ص١٠٩ وغاية المرام ج٦ ص١١٠ ومجمع الفائدة ج٣ ص٢١٨ =

وقد رواه أبو بكر الجوهري، عن أحمد بن إسحاق بن صالح، عن أحمد بن سيار، عن سعيد بن كثير الأنصاري، عن رجاله، عن عبد الله بن عبد الرحمن[1].

فما معنى ادِّعاء: أنه لم يرد في حديث أصلاً..

أما صلاة أبي بكر بالناس فقد جاءت على سبيل التعدي منه على هذا الأمر، من دون أن يحصل على إذن منه «صلى الله عليه وآله».. فكان أن جاء النبي «صلى الله عليه وآله» يتوكأ على علي «عليه السلام»، والفضل بن العباس، وهو في حال المرض الشديد، فعزل أبا بكر عن الصلاة، وصلى هو بالناس[2].

وسيأتي الحديث عن هذين الأمرين في موضعه إن شاء الله تعالى..

الجرف.. وثنية الوداع:

وذكرت النصوص المتقدمة: أن الجيش قد عسكر في الجرف، وخرج «صلى الله عليه وآله» في إثرهم، وصلى الظهر بالمسلمين في ذلك الموضع، ثم

= والرواشح السماوية ص١٤٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٢٧.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥٢.

(٢) راجع: آفة أصحاب الحديث لابن الجوزي، ومسند أحمد ج٦ ص٢٢٤ وج١ ص٢٣١ و ٢٣٢ و ٣٥٦ والمنتظم ج٤ ص٣١ ودلائل النبوة ج٧ ص١٩١ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٦٨ وعن صحيح البخاري ج١ ص١٦٥ وعن صحيح مسلم ج١ ص٣١٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة (ط الهند) ج٢ ص٣٢٩ وج١٤ ص٥٦١.

عيَّن أمراء الجيش.

والجرف يقع على ثلاثة أميال من المدينة، فهو أبعد من عن ثنية الوداع، لأنها كانت قرب مسجد الراية على ذباب[1].

فما معنى قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» خرج مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع، حيث أوصاهم هناك بوصاياه؟!!

إعتراض جعفر على رسول الله ﷺ:

وقد زعموا: أن جعفر بن أبي طالب «رضوان الله عليه» اعترض على تأمير زيد عليه، فقال له «صلى الله عليه وآله»: «امض، فإنك لا تدري أيّ ذلك خير».

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه القضية، وذلك لما يلي:

أولاً: إن جعفراً «رضوان الله عليه» أجل وأتقى لله من أن يعترض على قرارات رسوله «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن يرفض تنفيذها، أو أنه يشكك في صوابيتها، أو بعدالتها.

وكلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه «عليه السلام» تكفي للتعريف بحقيقته، وبمدى طاعته، وانقياده له «صلى الله عليه وآله»..

ثانياً: إن النص منقول بنحوين، يُفهمان معنيين مختلفين.

فالأول منهما ينسب إلى جعفر قوله: «ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ

---

(١) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٦٩ ومعجم البلدان ج٢ ص١٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٧٣.

زيداً». وهذا يدل على قبول جعفر بتأمير زيد عليه.. ولكنه كان بحاجة إلى توضيح السبب في ذلك، فأفهمه النبي «صلى الله عليه وآله» بأن الوقت لا يسمح بالتصريح، فقال له: لا تدري أيَّ ذلك خير..

والثاني: ينسب إليه قوله: «ما كنت أذهب إن تستعمل علي زيداً». وهذا يدل على أنه يرفض الذهاب بالكلية..

وبعدما تقدم نقول:

هل الصادر عن جعفر هو إظهار التسليم، أم الصادر عنه التصريح بالاعتراض والرفض؟!

أم أن ثمة تصحيفاً عفوياً أو عمدياً من الرواة لتشابه رسم كلمتي «ارهب» و«أذهب».

ثالثاً: إن الأدلة القاطعة قائمة على أن جعفراً كان هو الأمير الأول، فلا مورد لمثل هذه الترهات والأباطيل من الأساس.. وهذا ما سيتضح فيما يلي:

جعفر هو الأمير الأول:

إن غالب محدثي أهل السنة قالوا: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أمَّر على السرية زيداً أولاً، ولكن الصحيح هو أن الأمير الأول كان جعفر بن أبي طالب، كما ذهب إليه الشيعة..

قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

«..قلت: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، وأنكرت الشيعة ذلك، وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول.

فإن قتل فزيد بن حارثة.

فإن قتل فعبد الله بن رواحة.

ورووا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم..»[1].

ثم استشهد بما يأتي من قول حسان بن ثابت، وكعب بن مالك..

بل يمكن أن يستظهر ذلك من قول اليعقوبي، حيث قال:

«..ووجَّه جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة في جيش إلى الشام، لقتال الروم سنة ٨[2].

وروى بعضهم أنه قال: أمير الجيش زيد بن حارثة، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله بن رواحة، فليرتض المسلمون من أحبوا..

وقيل: بل كان جعفر المقدم، ثم زيد بن حارثة، ثم عبد الله بن رواحة..»[3].

وقال العسقلاني عن جعفر: «استعمله رسول الله «صلى الله عليه وآله» على غزوة مؤتة، واستشهد..»[4].

وإن كان يمكن أن يكون مراده: أنه استعمله بعد زيد.

وقال الطوسي: «على أنه قد اختلفت الرواية في تقديم زيد على جعفر؛ فروي أن جعفر كان أميراً أولاً، وأنشدوا في ذلك أبياتاً لحسان بن ثابت،

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي (طبع صادر) ج٢ ص٦٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي (طبع صادر) ج٢ ص٦٥.

(٤) تهذيب التهذيب ج٢ ص١٩٨.

وهي الخ..»[1].

ونحن بدورنا نقول: إن جعفراً كان هو الأمير الأول، وليس زيداً، على عكس ما اشتهر بين المؤرخين والمحدثين..

ونستند في ذلك إلى عدة أمور:

١ ـ الروايات التي أشار إليها ابن أبي الحديد، الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة «عليهم السلام»، وقد قال السيد شرف الدين في هذا المقام: إن «أخبارنا في هذا متظافرة، من طريق العترة الطاهرة..»[2].

ومنها رواية: أبان عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: إنه استعمل عليهم جعفراً، فإن قتل فزيد، فإن قتل فابن رواحة..[3].

٢ ـ ما رواه ابن سعد في طبقاته، بإسناده عن أبي عامر، قال: «بعثني النبي إلى الشام، فلما رجعت مررت على أصحابي، وهم يقاتلون المشركين بمؤتة. قلت: والله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم..

فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، ولبس السلاح (وقال غيره أخذ اللواء زيد بن حارثة)، وكان رأس القوم، ثم حمل جعفر، حتى إذا همَّ أن يخالط العدو، رجع فوحَّش بالسلاح، ثم حمل على العدو، فطاعن حتى قتل.

ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة، فطاعن حتى قتل.

ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فطاعن حتى قتل.

---

(١) تلخيص الشافي ج١ ص٢٢٧.

(٢) النص والإجتهاد (طبع سنة ١٣٨٦هـ) ص٨٥ و (ط سنة ١٤٠٤هـ) ص٢٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص٢٠٥ والبحار ج٢١ ص٥٥ وإعلام الورى (طبعة ثانية) ص١١٠ وأعيان الشيعة ج٢ ص٣٢٤.

ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة..»[1].

٣ ـ الشعر الذي أشار إليه ابن أبي الحديد.. فقد روي أن حسان بن ثابت رثى شهداء مؤتة، فكان من جملة ما قال:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة، منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد، وعبد الله، حيث تتابعوا ... جميعاً، وأسباب المنية تخطر

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الحرب ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الضلالة مجسر[2]

إلى آخر القصيدة.

حيث لم يكتف في هذا الشعر بذكر التتابع: جعفر، فزيد، فابن رواحة.. بل صرح: بأن القائد لهم إلى الحرب ميمون النقيبة أزهر أغر، من آل هاشم، وهو جعفر، رضوان الله تعالى عليه..

٤ ـ قال كعب بن مالك الأنصاري، في رثاء شهداء مؤتة أيضاً:

فكأنما بين الجوانح والحشا ... مما تأوبني شهاب مدخل

---

(١) طبقات ابن سعد ج٢ ص١٢٩ و ١٣٠ وكنز العمال ج١٠ ص٣٣٦ عن ابن عساكر.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧٢ والإصابة ج١ ص٢٣٨ وأعيان الشيعة ج٢ ص٣٢٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٢ و ٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج١ ص١٠٠ وديوان حسان. وراجع: شرح الأخبار ج٣ ص٢٠٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٧ والدرجات الرفيعة ص٧٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٩١.

وجداً على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

إلى أن قال:

فمضوا أمام المسلمين يقودهم ... فُنُقٌ عليهن الحديد المرفل

إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل[1]

فقد صرح هو أيضاً: بتتابع القواد، وبأن جعفراً كان هو القائد، وكان هو ولواؤه قدام أولهم، فنعم الأول..

وبالمناسبة، فإن شاعراً آخر من المسلمين، ممن رجع من غزوة مؤتة قد رثاهم أيضاً، فقال:

كفى حزناً أني رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله في رمس أقبر

قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم ... وخلفت للبلوى مع المتغبر

ثلاثة رهط قدِّموا فتقدموا ... إلى ورد مكروه من الموت أحمر[2]

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص٢٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧ و ٢٨ ومقاتل الطالبيين ص١٥ وأعيان الشيعة ج٢ ص٣٢٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٣ وتهذيب ابن عساكر ج١ ص١٠٢ وشرح الأخبار ج٣ ص٢١٠ و ٢١١ والدرجات الرفيعة ص٧٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢١ والمجدي في إنساب الطالبيين ص٣٢٠ عن ديوان كعب بن مالك ص٢٦٠ ـ ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٩٢ و ٤٩٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٣٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٥٨ و ٢٥٩ ما عدا البيت الثالث. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٨٨ وعن أسد الغابة =

٥ ـ وروى القاضي النعمان، عن أنس بن مالك قال: خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعيناه تذرفان، فقال: أخذ الراية جعفر فقتل، ثم أخذها زيد بن حارث فقتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل، ثم أخذها خالد بن الوليد.

ثم إنه «عليه السلام» التفت إلى مؤتة، وقال لهم: بايعهم، إن أصيب جعفر، فأميركم زيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فأميركم عبد الله بن رواحة. ولم يذكر الإمرة بعده غيره[1].

٦ ـ قد تقدم قول عبد الله بن جعفر ـ أو ابن عباس ـ لمعاوية: «يا معاوية، أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث بعثَ إلى مؤتة أمَّر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم قال: إن هلك فزيد بن حارثة، فإن هلك زيد، فعبد الله بن رواحة، ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم الخ..»[2].

٧ ـ وفي احتجاج الإمام الحسن «عليه السلام» على معاوية ورد قوله: «وقد بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيشاً يوم مؤتة، فقال: عليكم جعفر، فإن هلك فزيد، فإن هلك فعبد الله بن رواحة، فقتلوا جميعاً.

فتراه يترك الأمة ولم يعين لهم مَنِ الخليفة بعده»؟!![3].

= ج٥ ص٣٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨٨.

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٢٠٦ و ٢٠٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس (ط النجف) ص١٨٨ وقاموس الرجال ج٦ ص٤٠ والبحار ج٣٣ ص٢٦٩ ومواقف الشيعة ج٢ ص٧٢.

(٣) الإحتجاج ج٢ ص٦١ والبحار ج٤٤ ص٩٩ ومواقف الشيعة ج١ ص٣٦٨ والعدد القوية ص٤٩.

مؤيدات لما سبق:

ويمكن تأييد ما ذكرناه آنفاً بما يلي:

١ ـ إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» يريد إرسال هذه الثلة من المسلمين لمواجهة جيش عظيم يصل إلى عشرات أو مئات الألوف، فذلك يشير إلى: أن مستوى الخطورة كان في أعلى الدرجات.

وقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأنه كان من عادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يقذف بأهل بيته في مواقف الخطر، ويقدمهم على كل من عداهم. ففي كتاب منه «صلوات الله وسلامه عليه» إلى معاوية قال:

«وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا احمر البأس، وأحجم الناس قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة».

ثم ذكر نتيجة هذا التقديم فقال: «فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة»[1].

٢ ـ ويمكن تأييد ذلك أيضاً بما ذكره السيد الأمين[2] من أن جعفراً «رضوان الله عليه» كان أشد إخلاصاً، وأكثر تصميماً، وأمضى عزماً منهما،

---

(١) نهج البلاغة (بتحقيق عبده) ج٣ ص٩ والبحار ج٣٣ ص١١٢ و ١١٥ ونور البراهين ج٢ ص٣١٨ ونهج السعادة للمحمودي ج٤ ص١٨٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٤٧ وج١٥ ص٧٧ وأنساب الأشراف ص٢٨١ ووقعة صفين للمنقري ص٩٠ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج١ ص٣٦٠ والعقد الفريد ج٤ ص٣٣٦ والمناقب للخوارزمي ص١٧٦ ووضوء النبي للشهرستاني ج٢ ص٣٢٨.

(٢) أعيان الشيعة ج٤ ص١٢٤.

(أي من زيد وابن رواحة) كما دل عليه ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«مُثِّلَ لي جعفر، وزيد، وابن رواحة في خيمة من درٍّ، كل منهم على سرير، فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهم صدود. ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود، قال: فسألت، أو قيل لي: إنهما حين غشيهما الموت أعرضا، أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل»(١).

وهذا يدل: على أن جعفراً «عليه السلام» كان هو الأولى بالقيادة والأحق بالتقديم، فلا معنى لتقديمهما عليه فيها.

٣ ـ عن عمر بن علي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: رأيت جعفراً ملكاً يطير في الجنة تدمى قادمتاه، ورأيت زيداً دون ذلك، فقلت: ما كنت أظن أن زيداً دون جعفر، فأتاه جبرئيل فقال: إن زيداً ليس بدون جعفر، ولكن فضلنا جعفراً لقرابته منك(٢).

فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» لا يظن أن جعفراً دون زيد كما ورد في رواياتهم، فكيف يقدِّم زيداً على جعفر؟!

وهل يصح من النبي «صلى الله عليه وآله» تقديم المفضول، وتأخير

---

(١) ذخائر العقبى ص٢١٩ والبحار ج٢١ ص٦٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٦٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢٦٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٣ وكنز العمال ج١١ ص٦٦٥ والدرجات الرفيعة ص٧٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨ وراجع: كنز العمال ج١١ ص٦٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦٩.

الفاضل؟!

ثم إنه يرد على هذه الرواية:

أولاً: إن مناط التفضيل ليس هو القرابة في حد ذاتها، إذ لو كان ذلك هو الملاك، لكان ينبغي أن يرضى نقلة الأخبار، بتفضيل علي «عليه السلام» على جميع الصحابة، بمن فيهم أبو بكر وعمر كما أن عليهم أن يحكموا بأفضلية العباس عم النبي «صلى الله عليه وآله» على جميعهم أيضاً بمن فيهم علي «عليه السلام».

ثانياً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكذلك الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» قد صرحوا بفضل جعفر، بنحو يظهر: أن زيداً لا يمكن أن يدانيه في الفضل، حيث عدَّه النبي «صلى الله عليه وآله» ـ كما ورد ـ في الذين اصطفاهم الله على العالمين[1].

وعنه «صلى الله عليه وآله»، وعن علي «عليه السلام»: أن جعفراً أحد السبعة الذين لم يخلق في الأرض مثلهم[2].

والأحاديث في فضل جعفر كثيرة لا مجال لتتبعها.

فلا معنى لأن ينسبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «ما كنت أظن أن زيداً دون جعفر».

وبعد كل ما قدمناه: لا يبقى مجال للقول بأن زيداً كان هو الأمير الأول

---

(١) البحار ج٣٧ ص٦٣ عن تفسير فرات، ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٣٦ وتفسير فرات الكوفي (ط وزارة الإرشاد والثقافة الإسلامي ـ طهران) ص٨٠.

(٢) قرب الإسناد ص٢٥ ح٨٤ والكافي (الروضة) ص٤٩ والبحار ج٢٢ ص٢٧٥ ومنتخب الأثر ص١٧٣.

في مؤتة.. ويتعين أن يكون سيد الجيش هو جعفر، الذي أظهر النبي «صلى الله عليه وآله» من الغم عليه ما لم يظهره على أحد، حتى على عمه حمزة، كما أنه «صلى الله عليه وآله» سرَّ بقدومه عليه من أرض الحبشة سروراً عظيماً، حتى لقد قال ـ وكان قدم عليه حين فتح خيبر ـ: «لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على يد أخيك خيبر..»[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٣١ والخصال ص٤٨٤ و ٧٧ والبحار ج٢١ ص٢٤ وراجع: ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٣٥٩ والذكرى ص٢٤٩ وروض الجنان ص٣٢٧ ومدارك الأحكام ج٤ ص٢٠٦ وذخيرة المعاد ج٢ ص٣٤٩ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٤٩٨ وجواهر الكلام ج١٢ ص٢٠٠ ومسند زيد بن علي ص٢٠٣ والمبسوط للطوسي ج١٠ ص٢٣ والقواعد والفوائد ج٢ ص١٦٠ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٥ ص١٩٥ و ١٩٧ ومستدرك الوسائل ج٦ ص٢٢٧ والمسترشد للطبري ص٣٣٣ ومقاتل الطالبيين ص٦ وشرح الأخبار ج٣ ص٢٠٤ ومكارم الأخلاق ص٢٦٢ والإحتجاج ج١ ص١٧٢ وذخائر العقبى ص٢١٤ وعمدة الطالب لابن عنبة ص٣٥ والبحار ج١٨ ص٤١٣ وج٢١ ص٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٦٣ وج٢٢ ص٢٧٦ وج٣٨ ص٢٩٤ وج٣٩ ص٢٠٧ وج٧٣ ص٢٨٣ وج٨٨ ص٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢١١ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٧ والمستدرك للحاكم النيسابوري ج٢ ص٦٢٤ وج٣ ص٢١١ ومجمع الزوائد ج٦ ص٣٠ وج٩ ص٢٧١ و ٢٧٢ و ٤١٩ وج١١ ص٤٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١٦ و ٧٣٢ وج٨ ص٤٦٦ والآحاد والمثاني ج١ ص٢٧٧ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٨١ والأحاديث الطوال ص٤٥ والمعجم الصغير ج١ ص١٩ والمعجم الأوسط ج٢ ص٢٨٧ والمعجم الكبير ج٢ ص١١١ وج٢٢ ص١٠٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٢٨ وج١٥ ص٧٢ ونصب الراية ج٦ ص١٥٢ =

وإذ قد ثبت أن جعفراً كان هو الأمير الأول في غزوة مؤتة، وليس زيد بن حارثة.. فنستطيع أن نفهم ببساطة: أن ثمة يداً تحاول تشويه الحقيقة، والتجني على التاريخ.

ولعل ذنب جعفر الوحيد هو: أنه أخو علي «عليه السلام»، وهذا هو الذي كان يذكي الحرص على تقديم زيد، ولو عن طريق التزوير للحقيقة وللتاريخ..

بل لقد تجاوز الأمر كل الحدود، ونحن نقرأ عن عائشة قولها: ما بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» زيد بن حارثة في سرية إلا أمَّره عليهم ولو بقي لاستخلفه.

= و ١٥٣ وكنز العمال ج١١ ص٦٦٥ و ٦٦٦ وج١٣ ص٣٢٣ وتفسير مجمع البيان ج٣ ص٤٠١ ومنتقى الجمان ج٢ ص٢٧٢ والدرجات الرفيعة ص٦٩ و ٧٤ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٠٨ وج٤ ص٣٥ والكامل لابن عدي ج٥ ص٢٤٣ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٧ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٣ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٣ و و ٢١٦ و ٤٣٧ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٨٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٦ والتنبيه والإشراف ص٢٢٣ والبداية والنهاية ج٣ ص٩١ و ٩٨ وج٤ ص٢٣٤ والعبر وتاريخ المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨١٨ وبشارة المصطفى ص١٦٣ وإعلام الورى ص٢١٠ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٦ و ٣٠ وج٣ ص٣٩٠ و ٣٩١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٦ وج١١ ص١٠٦ و ١٠٧ وينابيع المودة ج١ ص٤٦٨ وج٢ ص٨٠ واللمعة البيضاء للتبريزي ص٢٩٥.

فلماذا تصر عائشة كل هذا الإصرار على رفع مقام زيد إلى حد قولها: لو عاش النبي «صلى الله عليه وآله» لاستخلفه؟!

نعم.. إنه لولا علي «عليه السلام» لتوفرت الدواعي للاحتفاظ بالحقيقة دون تشويه أو تحريف، هذا إن لم تتوفر على جعل الأمور كلها في صالحه.. ولكن ورغم ذلك كله، فإن الله سبحانه لابد أن يعز أولياءه، ويعرِّف الناس بما يكيدهم به الحاقدون، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

لماذا لم يحدد قائداً رابعاً:

وعن سؤال: لماذا لم يحدد النبي «صلى الله عليه وآله» قائداً رابعاً، مع علمه بقتل القادة الثلاثة خصوصاً مع علمه المسبق باستشهادهم، نجيب :

أولاً: بأن المطلوب من الناس هو أن تكون لهم رغبة في الجهاد والبذل والعطاء في سبيل الله، ولا يصح فرض ذلك عليهم، لأن ذلك معناه بطلان عملهم، وأن تصبح تضحياتهم بلا قيمة، بل تكون وبالاً عليهم، إذا لم يقصدوا بها التقرب إلى الله تعالى.. فلابد من اعطائهم الفرصة للتصميم، عن رضا واختيار.. وهذا ما حصل بالفعل بعد استشهاد القادة الثلاثة.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» وإن كان يعلم باستشهاد القادة الثلاثة لكن هذا العلم لم يصل إليه بالطرق العادية، وبالتالي فلا يحق له أن يعاملهم على أساسه، لأن الواجب عليه هو أن يأخذهم بما يصل إليه وإليهم بالوسائل العادية، لا ما يصل إليه بعلم الشاهدية.

حديث الضبابة:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى ذلك الجيش عن أن

يأتوا مؤتة، فغشيتهم ضبابة، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة.

ونقول:

أولاً: لم يظهر لنا أي سبب يدعو إلى نهي النبي «صلى الله عليه وآله» لهم عن أن يأتوا مؤتة.

والحال أن المقصود هو ـ كما يزعمون ـ: مواجهة الذين قتلوا الحارث بن عمير وكانوا في مؤتة..

بل قد صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الاسلام..

ثانياً: إن الذي تغشاه الضبابة حتى لا يبصر؛ لا يواصل المشي بصورة عشوائية، ولا يرضى لنفسه بأن يبقى تائهاً في الصحراء لا يدري أين تنتهي به قدماه.. خصوصاً، وأن السير في تلك الصحارى لا يستقيم بدون أدلاء من ذوي الخبرة، وما أكثر ما تاه الناس عن الطريق حتى مع الأدلاء، فابتلعتهم الصحراء حتى ماتوا جميعاً جوعاً أو عطشاً.

فمن تغشاه الظلمة حتى لا يبصر، لابد أن يقف في مكان، ولا يتحرك إلى أن ينقشع الضباب، ويتمكن من رؤية الطريق.

ثالثاً: إذا كان الروم قد جمعوا مائتي ألف، أو أكثر بكثير، فإن ذلك لم يكن ليخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي كانت عيونه مبثوثة في كل مكان.. وهو يلاحق جميع الاحتمالات، في مختلف الاتجاهات، حتى ليكاد يحصي على أعدائه أنفاسهم، وتبلغه عنهم كل شاردة وواردة.

وكان هو نفسه قد غزا دومة الجندل في البلقاء قبل مدة، وكان يرصد كل المواقع التي يحتمل أن يكون لها ميل لمهاجمته، فهل يغفل عن بلاد الشام،

التي قتل فيها رسوله، فلا يرصد ما يجري فيها، مما يعنيه؟!

وهل يغفل عن رصد الملوك الذين كان قد دعاهم إلى الإيمان به، والقبول بدعوته، والانقياد له؟ وكيف يتصورون أن يجتمع لحربه مئات الألوف، وهو لا يدري؟! إن ذلك غير مقبول، ولا معقول.

إذا كان «صلى الله عليه وآله» بصدد إرسال جيش إلى تلك البلاد، فلابد أن يكون لديه قدر كافٍ من المعلومات حول مسير ومصير ذلك الجيش، وأهدافه، ومهمته، وقدراته، وقدرات الجيش الذي قد يواجهه..

ولأجل ذلك كله، نعود فنذكر القارئ بأن:

جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجلٍ، يريد أن يتصدى لمهمة كبرى وحاسمة، لا يمكن أن يسير بلا هدف، وكأنه معصوب العينين.

خصوصاً إذا قلنا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لابد أن يكون قد أخبرهم، أو أخبر قادتهم على الأقل بطبيعة، وصعوبة المهمة التي كان أوكلها إليهم، ولابد أن يكون قد أوصاهم بتوخي الحذر الشديد في تحركاتهم، حتى لا يقعوا في فخ ينصبه لهم عدوهم..

وبذلك يتضح: أن السير في غمار تلك الضبابة لا يمكن أن يتلاءم مع المنطق السليم، والنظر القويم.

روحيات ابن رواحة:

وروى محمد بن عمر عن عطاء بن مسلم، قال: «لما ودع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن رواحة، قال ابن رواحة: يا رسول الله، مرني بشيء أحفظه عنك.

قال: «إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل، فأكثر السجود».

قال عبد الله بن رواحة: زدني يا رسول الله.

قال: «اذكر الله، فإنه عون لك على ما تطالب».

فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع، فقال: يارسول الله، إن الله وتر يحب الوتر.

فقال: «يابن رواحة، ما عجزت، فلا تعجزن إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة».

قال ابن رواحة: لا أسألك عن شيء بعدها[1].

قالوا: «فتجهز الناس، ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف[2]. فلما

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٦ و ١٤٧ وفي هامشه: عن الدر المنثور ج٣ ص١٨٩ عن ابن عساكر، والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٨ والبحار ج٢١ ص٦٠ عن المعتزلي، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٥.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٦ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٩ وإعلام الورى ج١ ص٢١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٥ وشرح الأخبار ج٣ ص٢٠٦ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٦ والبحار ج٢١ ص٥٦ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٨ والنص والإجتهاد ص٢٨ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٨ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٧ وج٢٨ ص١٢٤ وعن أسد الغابة ج٣ ص١٥٨.

حضر خروجهم ودَّع الناس أمراء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسلَّموا عليهم. فلما ودَّع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكى.

فقالوا: «ما يبكيك يابن رواحة»؟.

فقال: «أما والله، ما بي حُبُّ الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾[1]. فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود»؟

فقال المسلمون: «صحبكم الله، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين».

فقال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا[2]

---

(١) الآية ٧١ من سورة مريم.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٦ و ٧٣٧ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٦ وج٢٨ ص١٢٤ وعن أسد الغابة ج٣ ص١٥٨وتهذيب الكمال ج١٤ ص٥٠٧ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٩ وعن البداية النهاية ج٤ ص٢٧٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٦.

قال ابن اسحاق: ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فودعه ثم قال:

فثبت الله ما آتاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة   الله يعلم أني ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله   والوجه منك فقد أزرى به القدر

هكذا أنشد ابن هشام هذه الأبيات، وأنشدها ابن اسحاق، بلفظ فيه إقواء.

قال ابن اسحاق: «ثم خرج القوم، وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشيعهم، حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

خلف السلام على امرئ ودعته   في النخل خير مشيع وخليل»[1]

وروي عن ابن عباس: أن رسول «صلى الله عليه وآله» بعث إلى مؤتة، فاستعمل زيداً، وذكر الحديث، وفيه: فتخلَّف ابن رواحة، فجمع مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رآه، فقال: «ما منعك أن تغدو مع أصحابك»؟

قال: أردت أن أصلي معك الجمعة، ثم ألحقهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٥ و ١٤٦. وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٥٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٦ وج٢٨ ص٩٣ و ٩٤ و ١٢٤ وعن البداية النهاية ج٤ ص٢٧٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٦.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم».

وفي لفظ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٧ وقال في هامشه: أخرجه الترمذي (٥٢٧) وأحمد في المسند ج١ ص٢٢٤ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص٣٩٣.

وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٢٤ وعن مسند أحمد ج٣ ص١٤١ و ١٥٣ و ٢٠٧ و ٤٣٣ وج٥ ص٢٦٦ وعن صحيح البخاري ج٣ ص٢٠٢ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٣٦ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٢١ وسنن الترمذي ج٣ ص١٠٠ و ١٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٨٧ وشرح مسلم للنووي ج١٣ ص٢٦ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٧٩ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٥٤ وج٥ ص٢٣٥ ومسند أبي داود ص٣٥٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٥٦٠ وج٨ ص٥٤٥ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣٨١.

وراجع: منتخب مسند عبد بن حميد ص١٦٨ و ٢١٩ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٤٦٢ والمعجم الأوسط ج٥ ص٩٥ والمعجم الكبير ج٦ ص١٩٠ وج١١ ص٣٠٧ ومسند الشاميين ج٣ ص٣١٠ ورياض الصالحين للنووي ص٥٢٤ وكنز العمال ج٤ ص٣٠٤ و ٣١٨ و ٣١٩ وج١٠ ص٥٦١ وعن أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٦٠٠ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٦١ وج١٧ ص٢٦٥ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٨ والدر المنثور ج١ ص٢٤٩ و ٢٥٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص٩٢ وج٤١ ص٤٨٣ وتذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٧١ وتاريخ جرجان ص١٤٦.

المسير بعد الوداع:

قال ابن اسحاق، ومحمد بن عمر: ثم مضى الناس.

وعن زيد بن أرقم قال: «كنت يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة، فلم أر وليّ يتيم كان خيراً منه، فخرجنا إلى مؤتة، فكان يردفني خلفه على حقيبة رحله، فوالله، إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أدّيْتِني وحملت رحلي	مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم، وخلاك ذم	ولا أرجع الى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني	بأرض الشام مشتهي الثواء
وردك كل ذي نسب قريب	إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل	ولا نخل أسافلها رواء

قال: فلما سمعتهن منه بكيت، فخفقني بالدرة، وقال: «ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله الشهادة، فأستريح من الدنيا ونصبها وهمومها وأحزانها، وترجع بين شعبتي الرحل»؟

زاد ابن إسحاق قوله: ثم قال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه في بعض شعره، وهو يرتجز:

يا زيدُ زيدَ اليَعمُلات الذُّبَّل	تطاول الليل هُديتَ فانزل

زاد محمد بن عمر: ثم نزل نزلةً من الليل، ثم صلى ركعتين ودعا فيهما دعاء طويلاً، ثم قال: يا غلام.

قلت: لبيك.

قال: هي إن شاء الله الشهادة[1].

ابن رواحة.. فقط:

أظهرت النصوص التي بين أيدينا: أن ابن رواحة كان متأثراً بالجو الروحي، حين عيَّنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في موقع القيادة بعد جعفر وزيد.

وقد أظهرت أشعاره ـ أيضاً ـ: أنه كان يهيء نفسه لاستقبال الشهادة، فراجعها، وراجع قوله لزيد بن أرقم: ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله الشهادة الخ..

وقوله أيضاً بعد صلاته ودعائه: هي إن شاء الله الشهادة.

ثم قوله للمسلمين حين وجلوا من كثرة العدو: «إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة».

فذلك كله يدل على: أنه لم يكن يقول ويتصرف على هذا النحو، لأنه كان يتوقع أمراً لا يعرف عنه شيئاً، بل كان على علم ببعض النتائج التي ستنتهي إليها تلك الحرب، ربما بإخبار النبي «صلى الله عليه وآله» له، ولزيد، ولجعفر، إذ لم يكن «صلى الله عليه وآله» ليخبره بهذا الأمر دونهما.

أو لأنه قد استفاد ذلك من سكوته «صلى الله عليه وآله» عما قاله ابن مهض (أو فنحص) اليهودي.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٩ وعن الإصابة ج٤ ص٧٤ و ٧٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١١٧ و ١١٨ و ١١٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٧.

فأثر ذلك في نفسه، وصار يتعامل مع الأمور على هذا الأساس.

لكن ما يدعو إلى التأمل: أننا لا نجد لدى زيد وجعفر أية تصريحات، أو تصرفات تشير إلى أنهم كانوا يعيشون حالة استثنائية ـ كما كان الحال بالنسبة لعبد الله بن رواحة!!

ولا نستطيع أن نصدق أنفسنا إذا أردنا أن نعزو ذلك إلى عدم معرفتهما بما كان يعرفه ابن رواحة، فهما قد سمعا ما سمع، ورأيا ما رأى، ولا نظن أنه «صلى الله عليه وآله» قد اختصه بسرٍّ ذلك دونهما.

لكن يمكننا القول بأنهما كانا أقوى منه، على مواجهة هذا الأمر، وأنفذ بصيرة منه فيه، وأثبت جأشاً، وأكثر تأنياً وتقبلاً له، وأصبر عليه.

ولعل هذا يفسر لنا ما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في سرير ابن رواحة ازوراراً، وصدوداً، بل سيأتي أنه رأى ذلك في سرير زيد أيضاً.

وعلى كل حال، فإن لكل واحد منهما ـ يعني زيداً وابن رواحة ـ مقامه ومرتبته، وكان مقام جعفر أعلى وأسمى، ولذلك كان سريره بلا عيب، لأنه استقبل الموت حين استشهاده، بكل سكينة ورضاً وطمأنينة.. والله هو العالم بالسرائر، والمطلع على الدخائل والضمائر.

ليس إلا المعايير الإلهية:

وقد أظهرت قضية تخلف ابن رواحة للفوز بصلاة الجماعة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطأه في تقديراته للأمور، وأن ثمة معايير إلهية، وتقديرات ربانية لمعنى القيمة تختلف كثيراً عما يعرفه الناس ويفهمونه، أو

فقل عما يتوهمونه..

فقد أظهرت هذه القضية حقيقة: أن غزوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وأنه لو أنفق ابن رواحة ما في الأرض جميعاً، ما أدرك غدوة أصحابه إلى الجهاد في سبيله تعالى، مع أن ما فعله لم يكن فيه إنفاق لشيء من المال، ولا تخلى عن أمر دنيوي، وإنما تخلف ليفوز بثواب الصلاة جماعة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فما معنى أن يذكر إنفاق ما في الأرض جميعاً؟!

كما أنه «رحمه الله» لم يتخلف عن الغدوة والروحة في سبيل الله عز وجل، بل هو عازم على هذا الأمر بمجرد انتهاء صلاته.. فلماذا إذن يوجه إليه النبي «صلى الله عليه وآله» هذا التحذير، أو هذا التوجيه الناقد..

فلماذا ذكر النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك أيضاً؟!

فهل يريد أن يقول له: إن مجرد تأخره عن أصحابه، وغدوهم للجهاد قبله، يجعل ثوابهم أعظم من ثوابه، وأن الصلاة معه «صلى الله عليه وآله» لا تجبر ما فاته من ثواب المبادرة إلى المسير؟!

أم أنه يريد أن يقول له: إن ما فعله قد يشجع الآخرين على فعل مثله، وذلك يوجب انفلات الزمام، وتشويش الأمر على القيادة؟!

بل إن نفس فَقْدِ الناس له في غدوهم، فلا يجدونه معهم ـ وهو أحد قادتهم ـ سوف يحدث بلبلة، وتردداً وتشويشاً لديهم..

فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يقول له بالإضافة إلى ذلك كله: إن ما فاته من الثواب لا يمكن تعويضه، ولو بإنفاق جميع ما في الدنيا، وأن يبادر إلى تصحيح نظرته للأمور، وأن يأخذ معايير المثوبة والعقوبة من مصادرها

الحقيقية، فإن عقول البشر لا تستطيع إدراك ذلك.

وصايا النبي ﷺ لابن رواحة:

وعن وصايا النبي «صلى الله عليه وآله» لابن رواحة نقول:

١ ـ إن أول وصية زود بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ابن رواحة هي قوله: «إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل، فأكثر السجود».

وهي وصية غاية في الأهمية والدقة بالنسبة لرجل يحتاج إلى شحنات روحية قوية، تخوِّله إنجاز مهمة بالغة الحساسية.

أما بالنسبة إليه، فلأنها تعني ذهاب نفسه.

وأما بالنسبة للعدو، فلابد لهذه التضحيات التي يصنعها أهلها باختيارهم، ولا ترد عليهم فجأة، ولا تُفرض عليهم من قِبل غيرهم.

نعم، لابد أن تترك أثرها البالغ في روح عدو يحب الدنيا، ويقاتل من أجلها، ويريد أن يبقى حياً، لكي يستفيد من لذائذها، ويتمتع بمباهجها.

كما أنها لابد أن تؤثر في جند الإسلام ثباتاً، وإصراراً وعزماً، وإقداماً، وبذلاً، وتضحيات..

ومن الواضح: أن السجود لله تعالى هو غاية الخضوع، والتذلل له سبحانه، وهو يؤكد لدى الساجد الإحساس بعظمته سبحانه، ويقلل من درجة الاعتداد بالنفس، ويهون من شأنها، ويهيء المناخ الروحي للتخلي عنها، ثقة بما عنده سبحانه وتعالى.

وقد أظهر صدود ابن رواحة عن الموت، حين وافته الشهادة، ثم إقباله عليه ـ أظهر ـ أنه كان بحاجة إلى الإكثار من هذا السجود لترويض نفسه

وتهيئتها لهذا المقام العظيم.

٢ ـ ثم جاءت الوصية الثانية لتأمر ابن رواحة بذكر الله تعالى، فإنه عون له على ما يصبو له ويسعى إليه. أي أن عليه أن لا يعتمد على قدراته الذاتية، لأن نفسه قد تخذله في أحرج اللحظات. ولا علاج لهذا الأمر إلا بذكره تعالى الذي تشعر هذه النفس بهيمنته عليها، وبمالكيته لها، وبأنه هو الحافظ، وهو المدبر لها والرحيم والرؤوف بها، والعطوف عليها، فتستسلم له، وتكف عن المنازعة، وتجنح للانقياد والمطاوعة.

٣ ـ ثم تأتي الوصية الثالثة لتقول له: إن عليه أن لا يستسلم للشعور بالعجز في مواجهة تمردات نفسه المتكررة، وأن عليه أن يعيد المحاولة مرات ومرات، حتى لو بلغت عشراً، فإن الإخفاق في ذلك كله لا يمنع من النجاح مرة واحدة بعدها، ليكون في هذه المرة الفوز العظيم، والنصر المؤزر على هذه النفس الأمارة بالسوء.

وهكذا فإن هذه الوصايا النبوية تكون قد أعطت الانطباع عن حقائق، ودقائق كان لابد له «صلى الله عليه وآله» من التعاطي معها، ومعالجتها برفق وأناة، وبواقعية وموضوعية، وهكذا كان.

ملحق

كيف جرت الأمور؟!

وإذا جاز لنا أن نقدم تصوراً محتملاً، ومعقولاً، وربما مقبولاً لما جرت عليه الأمور في أحداث مؤتة.. فإننا نقول:

لعل النبي «صلى الله عليه وآله» قد رأى في طريقة تعامل قيصر مع رسله حين أرسل إليه يدعوه للإسلام، ما يشير إلى طبيعة تفكيره، ويشي بحقيقة الأساليب والسبل التي ينتهجها..

ثم جاء انتصار هرقل على ملك فارس، ونذر أن يمشي إلى بيت المقدس..

وكانت مئات الألوف من العساكر ترافقه في مسيره ذاك، ورأى نفسه، وعساكره على مقربة من مركز انطلاقة النبي «صلى الله عليه وآله» في رسالته، وهو الإنسان الذي لا مجال لإهمال أمره، فضلاً عن نسيانه أو تناسيه. ففكر في أن يعطف بجيوشه عليه لينهي أمره، ولينام قرير العين فارغ البال، لا يرى في الأفق أي شيء يخافه أو يخشاه، لا في قريب الأيام، ولا في بعيدها..

فعرف النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمر، فأرسل في العرب ينذرهم

بالخطر، ويستنفرهم إلى الشام[1].

فاجتمع له منهم ثلاثة آلاف رجال، مع أن المسلمين لم يزيدوا على ألف وخمسمئة، أو أزيد بقليل كما ظهر في الحديبية وخيبر.. مما يعني أن الذين استجابوا لاستنفاره كان فيهم المسلم وغير المسلم، لأنهم عرفوا أن الخطب داهم، وأن المصيبة سوف تعم الجميع..

فكان خطة رسول الله «صلى الله عليه وآله» تقضي بالمقاومة، حتى استشهاد القادة. ثم تتواصل الحرب ويصمد جيش المسلمين، ولو ساعة واحدة ليدرك قادة جيش الروم ـ وعلى رأسهم ذلك الملك المجرب والخبير بالأمور ـ أن الحرب مع هؤلاء لا نهاية لها.. بدليل أن قتل القادة لا يحسم المعركة معهم، بل ربما يزيدها تأججاً وتوهجاً، فلابد من حساب الأمور بطريقة أخرى تحمل في طياتها، التراجع وإيقاف الحرب، وإعادة النظر في أمر هذا الدين، ودراسة تعاليمه وحقائقه، بل ربما يفكر هرقل بإفساح المجال لهذا الدين لينتشر في بلاده، ولو برجاء أن يكون هو المستفيد من هذه القوة والشوكة، التي رأى نماذج رائعة منها في مؤتة.

أي أن من جملة ما أراده «صلى الله عليه وآله» هو أن يفاجئهم بحقيقة أنه حتى قتل القادة لا ينهي الحرب، بل هي تستمر إلى آخر شخص قادر على حمل السلاح من المسلمين، وهذا معناه: أن الخسائر التي لابد أن يمنى

---

(١) كما دلت عليه النصوص التي ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام (سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧)، وهو ما ذكر ابن إسحاق أنه حصل قبل مؤتة، فراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٥.

بها من يقاتل هذا النوع من الناس لا مجال للتكهن لا بحجمها ولا بمستواها، وهذا يعطي انطباعاً مفاده: أن ما يحارب هؤلاء الرجال من أجله ليس أمراً دنيوياً يرضون إذا أخذوه، أو يسخطون إذا فقدوه، بل القضية أبعد من ذلك بكثير.

وبذلك يكون ما جرى في مؤتة، ومن خلال صبر ساعة قد حقق أعظم إنجاز عرفه تاريخ البشرية، وذلك بدخول الإسلام بأيسر السبل إلى أعظم الإمبراطوريات وأقواها.

وبذلك أيضاً: يتغير وجه التاريخ، ويتحول مسار حركة الأمم.. ولكن خالداً قد ضيع ذلك كله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم إن التاريخ يعيد نفسه، حين يتم نقض خطة النبي «صلى الله عليه وآله» في حرب أخرى، جاءت متتمة لحرب مؤتة. وتريد أن تستدرك ما ضيعه المنهزمون فيها.. وذلك حين جهز النبي «صلى الله عليه وآله» أسامة بن زيد، ليقود جيشاً إلى مؤتة نفسها، حيث استشهد أبوه الذي كان أحد القادة الثلاثة في تلك السرية.

وإذ بأناس آخرين ينبرون أيضاً ليضيعوا على الأمة، وعلى النبي «صلى الله عليه وآله» الفرصة، ويتم على أيديهم إفشال خطته، وتذهب جهوده أدراج الرياح.

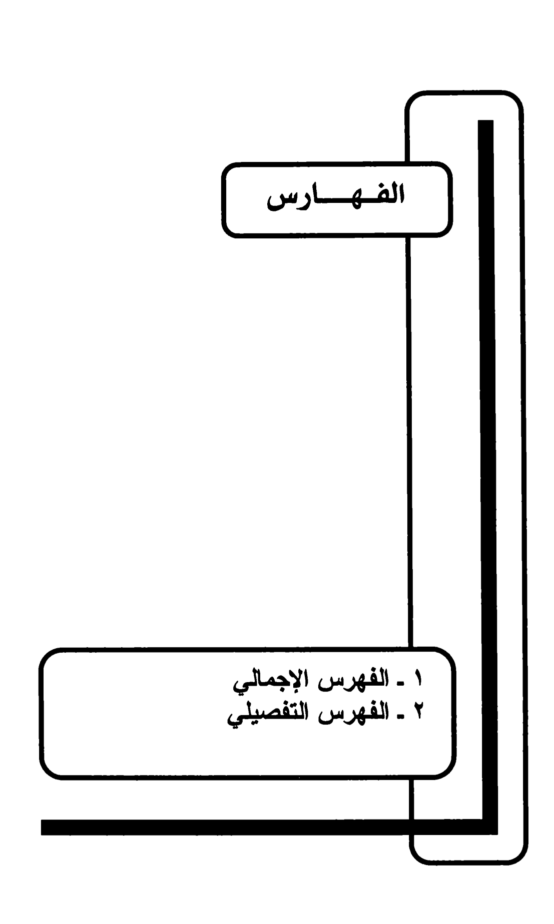
ولا نكاد نشك في أن النتائج التي كان يتوخاها «صلى الله عليه وآله» من هذه السرية كانت تداني في خطورتها، وفي أهميتها ونفعها للإسلام ما كان يتوخاه من سرية مؤتة بالذات..

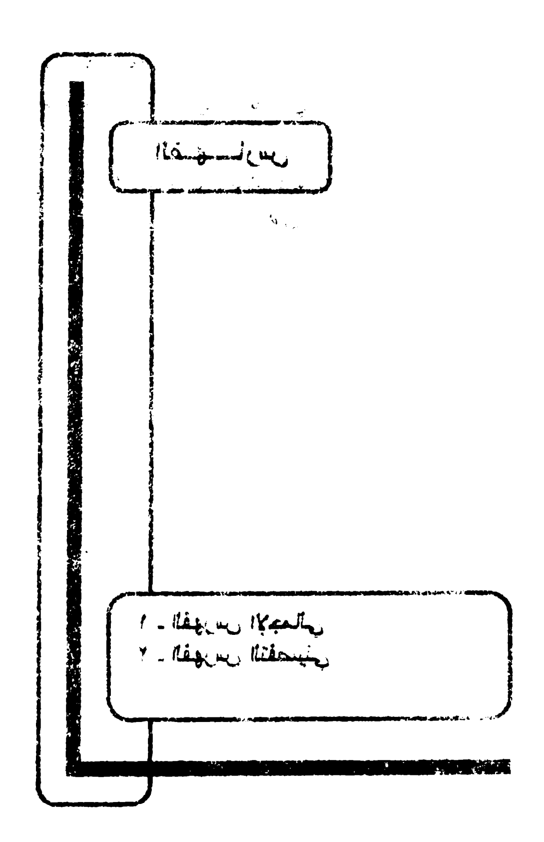
مع ملاحظة: أن هذا الفريق قد استعمل نفس الأسلوب الذي استُعْمِل

في مؤتة، فقد طعنوا في قيادة أسامة، كما طعنوا في أمارة أبيه زيد من قبل..

وقد بلغ من إصرارهم على عصيان امر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنهم لم يكترثوا حتى باللعن الذي سجله رسول الله «صلى الله عليه وآله» على من يتخلف عن جيش أسامة..

وهذا اللعن يشير أيضاً: إلى مدى أهمية وخطورة هذا الأمر بالنسبة إليه «صلى الله عليه وآله»، وبالنسبة لأمة الإسلام بصورة عامة..


الفهـــارس
١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي


الفهارس
١ - الفهارس الإجمالية
٢ - الفهارس التفصيلية

١ ـ الفهرس الإجمالي

الباب العاشر: بين خيبر ومؤتة

الباب الحادي عشر: مؤتة.. إلى الفتح..

(الفهرس الإجمالي)

[illegible]

[illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب العاشر: بين خيبر وموتة

الفصل الأول: فتح وادي القرى.. ورد الشمس..

الفصل الثاني: سرايا بين وادي القرى وعمرة القضاء

الفصل الثالث: شخصيات.. وأحداث.. إلى عمرة القضاء

الفصل الرابع: تكبيرات صلاة الميت.. وصلاة الغائب..

الفصل السادس: من مكة إلى المدينة..

الباب الحادي عشر: مؤتة.. إلى الفتح..

الفصل الأول: من المدينة.. إلى مؤتة

الفهارس: